نُشوءُ اللغةِ العربيَّةِ ونُمُوّها واكتهالها

بقلم

الأب أنستاس ماري الكرملي

من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

يباع في مصر : في مكتب ويس سركيس في شارع الفجالة ٥٣

وفي العراق : في دير الآباء الكرمليين في بغداد في كنيسة اللاتين

القاهرة في سنة ١٩٣٨

طبع في

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦ ، بمصر

رقم التسجيل ٢٣٥/١

رقم التصنيف

اسم الكتاب نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها

المؤلف

عدد الاجزاء

٣٢٠

نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

يباع في مصر: في مكتبة لويس سركيس في شارع الفجالة ٥٣
وفي العراق: في دير الآباء الكرمليين في بغداد في كنيسة اللاتين

القاهرة في سنة ١٩٣٨

طبع في
المطبعة العصرية
بالفجالة، بشارع الخليج الناصري رقم ٦، بمصر

تصحيح بعض الأغلاط الواردة في الكتاب

صحيفة	سطر	غلط	صوابه
٢	١٧	قَيْد	قيد
٣	١١	لطمه	لَطْمَةُ
٤	١٠ر١٦	ق ، مح	(أي القاموس ومحيط المحيط)
١٠	١٥	تيرقعت	تبرقعت
١١	١٩	اسماءِ الافعال	اسماء الافعال
١٢	١٣	اختبار	اختيار
١٤	١٦	القوم الذي ذهبوا	القوم الذين ذهبوا
١٥	١١	اَصول	اُصول
٣٥	٢٠	كلام العرب	كلام العجم
٣٦	١٠	يصعب	تصعب
٤١	٥	MANGANNEAU	MANGONNEAU
٧٥	٢٩	اليه	اليها
٩٢	٢٣	ووأما	وأما
١١٩	١١	جابلاب	حلبلاب
١٢٢	١	العُصْفَور	العُصْفُور
١٣٠	١٢	تكون	يكون
١٧٤	٤	فالارسية	فالارمية
١٩١	١٢	ذهاب	زهاب
٢٣١	١٨	القَطْرَب	الغَطْرب

وهناك غير هذه الاغلاط فاكتفينا بهذا القليل. وقد ذكرها كلها لنا الأستاذ الجليل روكس زائد العزيزي مدرس اللغة العربية في مدرسة الاتحاد الكاثوليكي في عمّان حاضرة شرقيّ الأردن . فنشكره عليها كل الشكر .

نُشُوءُ اللغةِ العربيَّة
ونُمُوِّهَا واكتِهالُها

بقــــلم

الأب أنَسْتَاسَ مَارِيّ الكرمليّ

من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكيّ

يباع في مصر: في مكتبة ويس سركيس في شارع الفجالة ٥٣

وفي العراق: في دير الآباء الكرمليين في بغداد في كنيسة اللاتين

القاهرة في سنة ١٩٣٨

طبع في

المطبعة العصرية

بالفجالة، بشارع الخليج الناصري رقم ٦، بمصر

كلمة لا بدّ منها

عقدتُ هذا الكتاب على تسعةٍ وثلاثين فصلاً ، وختمتُهُ بموجَزٍ ، هو بمنزلة خلاصةٍ لهُ . وقد توخّيْتُ أَلّا تكون هذهِ الفصول متناسقةً في الطول ، ولا في القِصَر ، ليُشْعِرَ القارئَ بأنَّ ما كان منها قصيراً ، يجد مثل موضوعهِ شيئاً كُنَاراً في تصانيف النحاة ، واللغويين الأقدمين على اختلاف عصورهم وطبقاتهم .

وأما الفُصول الطوال ، فهي من وضعي ، فلا يُصيب القارئُ ما يُضَارعها في أسفار القابضين على اليراع ، فأشبعتُ البحث قولاً ، وإن لم أقل كل ما كنتُ أوَدُّ أن أقولهُ ، لأنَّ ما تعرضتُ لهُ ، لم يذكرهُ غيري ، أو ربما يستغربهُ المطالع أو يُنكرهُ عليَّ .

وقد تعودتُ سماع النقد ، بل أقذع النقد وأقبحهُ حتى مَرَدتُ عليه . فان كان القائل مصيباً في قولهِ ، أو في بعض قولهِ ، أُجبتهُ ، وإلا نبذتهُ نبذ النواة ، تاركاً لهُ الدهر لِيؤَدِّبَهُ : فهو أحسن مؤدّب ، لمن يأكل قلبهُ الحسد ، أو الحقد ، أو الضغينة ، أو ما تريد أن تسمّيَهُ . وكفى .

الأب أنستاس ماري الكرملي

من اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي

باسمه العظيم

بعد حمد الله تعالى على آلائه وأنواره ، أقول :

١ً. تصدير

هذا بحث لُغَويّ ، جَرَيْتُ فيه على الأُسْلُوب الحديث ، تمحيصاً للحقيقة ، ودفاعاً عن اللغة المُضَرِيَّة ، وإيضاحاً لما فيها من دقائق الاوضاع ، وخفايا الاسرار ، وغوامض الحروف ، وخصائصها ، وبدائع الصيغ وأوزانها ، وما فيها من مختلفات لُغَى القبائل ، متوقعاً البلوغ به الى الحقّ ، غير مبتغٍ أجراً ولا شكوراً ؛ إنما كل أُمْنِيَّتي خدمة العربية ، وحَمْل أبنائها على السير في مثل هذا النهج ، ليعلم غيرهم ان لسان العرب فوق كل لسان ؛ ولا تُدانيها لسان أخرى من السنة العالم جمالاً ، ولا تركيباً ، ولا أصولاً ، ولا . . . ولا . . . ولا . . .

٢ً. نظرة عامة خاطفة ، في نشوء لغة قحطان

اللغويون على فريقَيْن متعادلين على سُرُر موضونة :

فريق يذهب الى ان الكلم ، وضعت في أول أمرها على هجآء واحد : متحرك فساكن ، محاكاةً لأصوات الطبيعة ، ثم ثُمِّتَتْ (أي زيد فيها حرف أو أكثر في الصدر أو القلب أو الطرف) ، فتصرَّف المتكلمون بها تصرُّفاً ، يختلف باختلاف البلاد ، والقبائل ، والبيئات ، والأهويه ، فكان لكلّ زيادةٍ ، او حذف ، أو قلب ، او ابدال ، أو صيغة ، مَعْنَاةٌ أو غايةٌ ، أو فكرة ، دون اختها ، ثم جاء الاستعمال فأقرّها مع الزمن ، على ما أوحته اليهم الطبيعة ، أو ساقهم إليه الاستقراء ، والتتبع

الدقيق . وفي كل ذلك من الاسرار ، والغوامض الآخذة بالألباب . ما تجلّت لها بعد ذلك تجليّاً بديعاً ، استقرّت على سُنَن ، واصول ، وأحكام ثابتة لن تتزعزع .

وفريق يقول : ان الكلم وضعت في أول نشوءها على ثلاثة أحرف بهجاء واحد أو بهجاءين . ثم جرى عليها المتكلمون بها ، على حد ما تقدمت الاشارة اليـه قُبيل هذا ، فاتسعت لهم الآفاق المتنوّعة ، وظهرت الفروق ، وكثرت اللغـات ، واختلفت اللثغات ، إلى آخر ما كان من هذا القبيل ، على السبيل الذي اتضح لك آنفاً.

على اننا اتبعنا الرأي الأول ، منذ أن اولعنا بهذه اللغة المبينـة الرائعة ، فأخذنا بنشرهِ وتفصيل دقائقه منذ سنة ١٨٨١ ، وأوضحنا كثيراً من مناحيهِ ، في الصحف والمجلات ، التي كانت تنشر يومئذٍ في الديار العربية اللسان ، ولا ننفك نصرح به إلى يومنا هذا ، دون ما ملل ولا وجل ، نبوح به على رؤوس الملإِ ، أو نجهر به في المجالس، أو ندافع عنهُ في المجامع ، أو ندعمهُ في الاندية ، حتى انه لم يخفَ على أحد ، بل عُرِفنا بهِ لدى الجميع ، والناس لنا بين مادح وقادح ، وهم كلما زادونا قدحاً ، زدناهم مدحاً ، وازددنا مضياً في وجهنا ، لا نلوي على غير الرأي المذكور ، بعْد ان تجلّت لنا صحتهُ ، وظهرت لنا محاسنهُ واطايبهُ .

٣ً. مصطلحات لغوية لا بُدَّ منها

عرف بعض حُذّاق أبناء يعرب الأقدمين هذا الرأي ومالوا اليه . وممن قال به، ولم يحد عنه قَيْد شعرة ، الاصبهاني صاحب كتاب غريب القرآن ؛ فانه بنى معجمـه الجليل ، على اعتبـار المضاعف هجاءً واحداً ، ولم يُبَالِ تكرار حرفهِ الأخير ، فهو عنـدهُ من وضع الخيَال ، لا من وضع العلم ولا التحقيق . أي انه اذا اراد ذكر (مدّ يَمُدُّ مَدّاً) مثلاً في سِفرهِ ، ذكرها كأنها مركبة من مادة (مَدْ) أي ميم ودال ساكنة ، ولا يلتفت أبداً الى انها من ثلاثة أحرف أي (م د د) ، كما يفعل سائر اللغويين . ولهذا السبب عينِهِ، يذكر (مدّ) قبل (مدح) مثلاً، ولا يقدم هذه على تلك ؛ على ما نشاهده في معظم معاجم اللغـة ، كالقاموس ، ولسان العرب ، وأساس البلاغة وتاج العروس وغيرها .

والمستشرقون وضعوا معاجمهم مقتفين اثر الاصبهاني ، ولم يبتكروا الطريقة من عندهم ، بخلاف ما يظنه جمهور المتطفلين على اللغة .

و يُسَمّى الحرفان اللذان ينشأ منهما معنىً ، أو إن شئت فقُلْ – و يسمّى الهجآء الواحد اذا أفاد معنىً – (مادةَ) ، أو (تركيبًا) ، أو (أصلاً) ، أو (ترجمة) .

و يلازم كلاً من هذه الاسمآء الأربعة هذا الاصطلاح ، وان تعدّد الهجاء ، فكان اثنين أو ثلاثة أو أكثر .

وقد استقلت كل مادة بمعنىً فاشتهرت به ، واذا تقاربت أحرف بمخارجها من أحرف مخارج كلم أخرى ، تدانت أيضًا معانيها بعضها من بعض ، وتلازمت ، وتضامّت، وظهرت القربى بينهما كل الظهور . مثال ذلك :

(لَدَمَهُ) أي ضربه بشيء ثقيل يُسْمع وقعهُ – .

و (لَطَمَهُ) أي ضرب خدّهُ أو صفحة جسدهِ بالكفِّ مفتوحة ، أو بباطن كفهِ – .

و (لَتَمَهُ) : ضربه وأكثر ما يكون اللتم : الطعن في النحر – .

و (لَثَمَ أنفهُ) : لكمهُ – .

و (لَحَمَهُ) : أضرّ به وناله بمكروهٍ – .

و (لخَهُ) : لطمه .

و (لدَمَهُ) : لَطَمَه – .

و (لَكَمَه) : ضربه باليد مجموعة الأصابع ، او لكزهُ ، او دفعه – الى آخر تلك الامثال . وكل حروفها متقاربة المخرج ومتقاربة المعنى ، الذي هو (الضَرْب) .

واذا زاد الهجاء حرفًا ، فصار هجاءين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، سمي ما زاد على أولهِ (تصديرًا PRÉFIXE) – وما زاد في قلبهِ : (حشوًا INFIXE) – وما زاد في آخره (كاسعًا SUFFIXE) وما زاد في أولهِ أو آخرهِ (مُطَرِّفًا AFFIXE) ، وما زاد في أي موضع كان سُمّي (مُفَنِّمًا PARTICULE AUGMENTATIVE) والمصدر التفنيم . ويقال له أيضًا (الضمّ) و (التوسيع) .

وهناك غير هذه الأسمآء ، لهذه الاوضاع نفسها ، فذكرنا ما اشتهر منها .

ونحن نورد هنا أمثلة على التصدير والحشو والكسْع .

أ — امثلة التصدير

ثَرَمَ — الثَّرَمُ محركةً. انكسار السنّ من أصلها أو سنّ من الثنايا، والرَّبَاعِيَات . أو خاصّ بالثَّنِيَّةِ . ثَرِمَ كفرحَ فهو أثْرَمُ وهي ثَرْمَاء (ق) وفي الثرَم معنى القطع .

جَرَمَ — الجَرْمُ : القطعُ . جَرَمَهُ يَجْرِمُهُ جَرْمًا : قَطَعَهُ (ق) .

حَرَمَ — حَرَمَهُ الشيء يحرِمُهُ وحَرِمهُ يَحْرَمُهُ حريمًا وحِرْمانًا وحِرْمًا وحِرْمَةً وحَرِمًا وحَرِمَةً وحريمة : منعهُ إياهُ . ومنهُ حَرَمَ أسقف النصارى فلانًا : قطعهُ من شركة المؤمنين . والاسم الحِرْم بالكسر . وفيه معنى القطع (محيح)

خَرَمَ — خَرَمَ الخَرَزَةَ يخرِمها وخرَّمها فتخرَّمَت : فصَمَها . وفلانًا . شقّ وَتَرَةَ أنفهِ . وهي ما بين مَنْخِرَيْهِ فخَرِم هو كفرِح أي تخرَّمت وَتَرَتُهُ . والخَرَمَة ، محركةً، موضع الخَرْم من الأنف . والخرماء : الأذن المنخرمة (ق) والقطع ظاهر في المادة .

شَرَمَ — الشَرْم : الشقّ ، والفِعْل : كضرب وقطع ما بين الأرنبة . ورجل أشْرَمُ بيّن الشَرَم محركةً ، أي مشروم الأنف . ومنهُ قيل لأبرَهةَ : « الأشْرَمُ » (ق) .

صَرَمَ — يَصرِمُهُ صَرْمًا ويُضَمُّ : قطعهُ بائنًا . وفلانًا : قطع كلامهُ . والنخل والشجر : جَزَّهُ كاصطرمهُ (ق) .

عَرَمَ — عَرَمَ العظم : نزع ما عليه من لحم كتعرَّمهُ (ق)

غَرِمَ — الغَرَام : الهلاك والعذَابُ . والغريم : الدائن والمديون ، ضدٌّ (ق) ومعنى القطع لا يخفى على أحد .

والأصل في كل ما تقدم : الرمّ يقال : رمَّ الشيء أكلهُ . والرُّمَّة بالضم :قطعة من حبل و بكسر (ق) .

ب — امثلة الحشو

رَتَمَ – رتم فلان الشيء . كسرهُ أو دقّهُ ، أو خاص بكسر الأنف .

رَثَمَ – رثمَ (بثاء مثلثة) أنفهُ أو فاهُ : كسرهُ حتى تقطّرَ الدم منهُ .

رَجَمَ – رجم فلان فلاناً : قتله ورماهُ بالحجارة . وهذا الأخير هو الأصل في معناه ، وباقي المعاني متفرع منهُ .

رَدَمَ – ردم الباب : سدّهُ كلهُ أو ثلثهُ .

رَسَمَ – رسمتِ الناقةُ : أثّرت في الأرض . ورسم أيضاً : كتب وخط .

رَشَمَ – رشم : كتب وخط .

رَضَمَ – رضم الأرضَ : أثارها لزرع ونحوهِ .

رَطَمَ – رطمَ بسلحهِ : رمى بهِ .

رَغَمَ – رغمَ فلان فلاناً : كرههُ وقسرهُ وفعل شيئاً على رغمِهِ .

رَقَمَ – رقمَ الكتاب : رسم حروفهُ . والرسم لايخلو من ضرب القلم للورق .

رَكَمَ – ركم الشيء : جمعهُ وألقى بعضهُ فوق بعضٍ .

(من جمهور اللغويين اصحاب المعاجم المطولة)

وفي كل هذه الألفاظ معنى جامع هو الكسر أو الدق أو الضرب . والاصل فيهِ الرم ، كما تقدّم شرحهُ ، لكن المُقَثِّم هنا حرف الوسط أو حرف القلب . فأحدث في محوّلاتهِ غير ما أحدث في ما صُدِّرَ بأحرفٍ أُخر .

ج — امثلة الكسع او التذييل

نَبَأَ – نبأ الشيء : ارتفع وعلى القوم : طلع عليهم . ومن أرض الى أرض : خرج ونبأ : صات خفياً أوهو صوت الكلاب مثل النبح .

نَبَتَ – نبت الزرع : خرج من الأرض . والانسان نما شبابهُ

نبَثَ – البئر : أخرج ترابها ، وعن الأمر والسرّ : بحث عنهُ .

نَبَجَ – نبجت القبجة : خرجت من مكنها .

نَبَحَ – نبح الكلب والظبي والتيس والحية : أخرج صوتاً .

نَبَخَ – النَّبخُ : جدري الغنم وغيرهِ وما نفط من اليد عن العمل . ونبخ العجين حمض وفسد فخرج عليه شيء كالرغوة أو كالنفاطات .

نَبَذَ – نبذ الشيء : طرحهُ من يدهِ ، أمامهُ أو وراءهُ ، أو هو عامّ .

نَبَرَ – نبر الشيء : رفعهُ . والمغنّي رفع صوتهُ بعد خفضٍ ، والحرف همزهُ

نَبَزَ – نبزهُ أي لمزهُ بمعنى عابهُ وأشار اليهِ بعينهِ ونحوها وضربهُ ودفعهُ .

نَبَسَ – نبس بالمجلس : تكلم أي أخرج كلاماً .

نَبَشَ – نبش الشيء المستوي : أبرزهُ . والكنز عن الأرض كشفهُ عنها وأخرجهُ .

نَبَصَ – نبصَ بمعنى نَبَسَ . يقال : ما يَنْبِصُ أي ما يتكلّم . ونبص الطائر والعصفور نبيصاً : صوَّت ضعيفاً . ونَبَصَ الغلام نبيصاً : صوَّت بشفتيهِ اذا أراد تزويج طائر بأنثاهُ .

نَبَضَ – نبض فلان في قوسهِ : أصاتها أو حرَّكَ وترها لترنَّ . ونبض العِرْقُ : تحرَّك .

نَبَطَ – الماء : نبع . ونبط فلان البئر : استخرج ماءها .

نَبَعَ – نبع الماء : خرج من العين

نَبَغَ – نبغ الشيء : خرج وظهر والماء : نبع . وفلان قال الشعر وأجادهُ ولم يكن في إرث الشعر . ونبغ رأسهُ : ثار منهُ النُّباغَة وهي الهِبْرِية وهي شيء كالنخالة يتساقط من الرأس .

نَبَقَ – نبقَ الرجل : كَتَبَ . والشيء : خرج .

نَبَلَ – نبلَ الابل : ساقها سوقاً شديداً . وكذلك اذا قام بمصلحتها .

نَبَكَ – النبْك بالفتح : ما ارتفع من الأرض . والنَّبْك على ما قال ابن شميل : مثل الفَلْكة ، غير أن الفَلْكَة أعلاها مدوَّر مجتمع والنَّبْكة : رأسها محدَّد كأنهُ سنان رُمح ، وهما مُصْعِدَتان . ومكان نابك : مرتفع .

نَبِهَ – نَبِهَ من نومهِ : قام منه واستيقظ . ونَبِهَ الرّجل نباهةً : شرُف واشتهر فهو نابهٌ ونبيهٌ ونبهٌ .

نَبَا – نبا الشيءُ : بعد وتأخر ولم يستقم مكانهُ . والسيف عن الضريبة نَبْواً : كلَّ وارتدَّ عنها ولم يمض . والنَّباوَة : ما ارتفع من الأرض .

والأصل في كل ذلك من نَبَّ . يقال : نبَّ التيس خاصةً يَنِبُّ نبًّا وَنَبابًا ونَبيبًا : صاح عند الهياج .

وقد اكتفينا من كل زيادة بمادَّةٍ واحدةٍ ، والا فانَّ الكلم الثلاثية كلها لا تخرج عن ان أصلها بُنِيَ على هجاء واحدٍ . ثم تفرعت الفروع بضم الحروف اليها . فجاءت المعاني متعدّدة مختلفة . وقد يكون هذا الاختلاف زهيداً أم غير زهيد بموجب قوة كل حرف ، وما اختصّ به من المعنى .

٤ً . اتفاق وضع أبناءِ العرَب ، مع وضع أبناءِ الغرْب

ولما كان وضع الكلم مبنيًّا على محاكاة الطبيعة ، وعلى الهجاء الواحد في أغلب الأحايين ، قد يتفق مصطلح العرب ومصطلح أبناء الغرب ، إذا اتفق الخاطران في توهم صوت الطبيعة ، ولا يكون هذا الأمر الا إذا كان ثمَّ هجاء واحد أو هجاءان إثنان لا أكثر .

فمثال الهجاء الواحد قول العرب (ردَّ) ولا جرم أن أصله (ردْ) بفتح فسكون وهو في اللاتينية REDDERE . ومن المعلوم أن ERE كاسعة تكسع بها كثير من أفعالهم كما قد تكسع بهتين الأخريين : IRE كما في FINIRE أو ARE كما في AMARE . إذن REDDERE ليست إلا (رَدْ) العربية لا غير .

ومثال ماعندهم وعندنا من الأسماء REGIO وفى حالة الاضافة REGIONIS أي الناحية . فقولهم REGIO ينظر الى لفظتنا (رجا) أو (رَجَآء) .

على أن فقهاء تلك اللغة يقولون إن REDDERE مشتق عندهم من DO و RE وإن REGIO من REGO ونحن لا نوافقهم كما ترى .

ومن أفعال لغة اليونان : (ago) ἄγω ومعناها عندهم (ساق) فهي العربيـــة (حَجَا) بمعنى ساق . ومنه قولهم : حجتِ الريحُ السفينه : ساقتها . وقولهم هذا هو من باب التنظير والتمثيل لا من باب التقييد والتخصيص .

ومن الأسماء قول الهلِّنيين(NANOS) νᾶνος . وقد نقلها الرومان الى لغتهم فقالوا (νᾶνος) بمعنى القزم والرجل الصعيف . وقد حار علماؤهم في تأصيل هذه الكلمة . ومن عادتهم أنهم يجدون مجانساً لكل لفظة يونانية في الهنــدية الفصحى أو في لسان من ألسنة أهل الغرب . وقد أقرَّ فقهاؤهم اللغويون بأنهم لم يجدوا لها مقابلاً في أي لغة من لغى تلك الديار مع ما بذلوا من السعي في هـــذا الوجه . أما المضرية فانها تنادي بأنها من أصولها ، أي أنها من (النَّعّ) بفتح فتشديد أو بضم فتشديد . قال في لسان العرب : النُّعُّ : (وضبطها ضبط قلم بالضم) الضعيف . وفي القاموس : والنَّعّ (وضبطها ضبط قلم بالفتح . ويكون كذلك كل مرة لا يصرح بوزن أو بكلام آخر) الرجـل الضعيف . » اه . والذي عندنا أن الفتح هو الأفصح لوجود هذه الكلمة نفسها بالفتح في اللغتين المؤتمتين أي اليونديه واللاتينية ، لكن الصاغاني ومن أخذ أخذهُ نقلوا عن ابن الاعرابي النع : « الضَّعف » كما هو نص العباب والتكملة لا الضعيف لكن رواية المجد وابن مكرم متفقتان على أن النع هو الضعيفُ . وأما اختلاف الضبط فالصواب مع القاموس دون لسان العرب . ولعل ضبط هذا الديوان ناشىء من النساخ لا من المؤلف نفسهِ . أو لعل الضَّبْطَيْن جائزان . ومثل النَّعّ : النأنأة والنأناء والنوْنُؤ والمنأنأ وكلها تعني العاجز الجبان .

وقد ذكرنا من كل لغةٍ شاهدين من باب الاشارة لا غير ، وإلا فالألفاظ تعدُّ بالمئات وهي مُهَيَّأَة في معجمَينا : اليوناني العربيّ واللاتيني العربيّ .

٥ً. ترتيب نشوء المفردات في اول وضعها

يؤخذ مما بسطناه بين يديك، أن المفردات أول ما نشأ منها، كان موضوعاً على هجاء واحدٍ، محاكاة للطبيعة، أوله متحرك وثانيهِ متحرك. — ثم جاء المضاعف، من ثلاثي ورباعي، فيكون ثلاثياً اذا لم تتخيل الحركة في الشيء، ورباعياً اذا تخيلتها فيهِ. وانما حُرّك الساكن في آخر الهجاء لحاجة الناطق إلى إسماع الحرف الاخير من الكلمة التي ينطق بها لئلا يختلط مَخْرَج حرفٍ، بمَخْرَج حرف آخر يقاربهُ ويدانيهِ صَوْتاً، ولا يكون ذلك إلا بالشدّ على الحرف الأخير وابرازهِ متحركاً لكي لا يقع أدنى لبس.

ولما كان بعضهم يطيل حركة أول الهجاء، وآخرون يطيلونها في آخره، وكلٌّ يجري على ما يبدو له من توجيهِ فكر السامع إلى لفظهِ، على خلاف من يشدد الحرف الأخير من لفظتهِ، نشأ في وقتٍ واحد الأجوف والناقص. فالذي أراد أن يحاكي حكاية صوت صَرّار الليل، حاكاه بأن قال (صَرْ) ولما حاول أن يثبت لسامعهِ أن الحرف الأخير هو راء قال: (صَرّ) وشد على الحرف الأخير وهو الرآء، ولما أراد أن يفهم السامع أن الصَرّار كان يكرّر صوتهُ قال: (صَرْصَرَ) فأسكن الرآء الاولى، على الوضع الاول لحكاية صوت الحشرة، وحرّك الثانيـة للاشارة الى مواصلتـهِ للكلام، أما أنه لو لم يرد مواصلتهُ بل قطعهُ، قال (صَرْصَرْ) لا غير، أي بتحريك الصادين واسكان الراءين.

ولما حاول فريق أن يمدوا صوتهم على أول الهجاء، اضْطُرُّوا أن يقولوا (صَارْ) في مكان (صَرْ) ولم يخصوهُ بصرّار الليـل بل أطلقوه على كل ذي صوتٍ، وغدا معنى (صار يصور) : صَوَّت يصوِّت بمعنى عامّ. والذين لم يمـدُّوا اول الهجاء ومَدُّوا آخرهُ قالوا (صَرَى يَصْرِي) وخصوا معنـاهُ بالقطع، كأن المقطوع يحكي (صَرَى).

وبعد أن عُرِف المضاعف والأجوف والناقص في وقت واحد، نشأ المهموز

وهو أثقل وطأةً على اللسان من سائر الصيغ . فكان مهموز الأوّل ، (أو مهموز الفآء) ، ومهموز الثاني ، (او مهموز العين) ، ومهموز الثالث (أو مهموز اللام) .

وفي الآخر ظهر المثال الواوي واليائي .

ونحن في ذكرنا الافعال بهذا الترتيب ، لا نريد أن نقول : إنها حدثت بعد أن مرّ على الطائفة الواحدة منها عصور طوال أو مُدَدٌ قصار ، بل نريد أن نشير إلى أن تلك التحوّلات نشأت شيئاً بعد شيء ، والطائفة الاولى منها ساقت الناطقين، فدفعتهم الى ما بعدها ، من غير أن نُعَيّن زمناً ، ولا نحدّد وقتاً ، فهذا كلهُ موكول الى الغرائز والبيئات والمتكلّمين بلغة يعرب ، وقحطان ، واسماعيل .

٦ً . اثبات ما تقدم من كلام السَلَف

قال ابن منظور في ترجمة (ه ج ج) : وهَجْ هَجْ ، وهَجِ هَجِ ، وهَجَا هَجَا : زجر الكلب ، وأورد الأزهريُّ هذه الكلمات ، قال : يقال للأسد والذئب وغيرها في التسكين . قال ابن سِيدَهْ : وقد يقال : هَجَا هَجَا ، للابل ، قال هِمْيَانُ :

نَسْـمَعُ لِلأَعْبُدِ زَجْراً نافِجَا من قِيلِهِمْ : أَيَا هَجَا ، أَيَا هَجَا

قال الأزهريّ : وان شئتَ قلتهما مرة واحدة ، وقال الشاعر :

سَفَرَتْ فقلتُ لها : هَجِ ، فتبرقَعَتْ ، فذكرتُ حِين تبَرْقَعتْ ضَبَّارا

وضَبَّار ، اسم كلب . ورواهُ اللحيانيّ : هِجِي . الازهري : ويقال في معنى هَجْ هجْ : جَهْ جَهْ على القلب » اه كلام ابن مكرَّم .

وقال المذكور في تركيب (صرر) : « يقال صَرَّ العُصْفُور يَصِرُّ اذا صاحَ ، وصَرَّ الجُنْدُبُ يَصِرُّ صَرِيراً ، وصرَّ الباب يَصِرُّ ، وكلُّ صوتٍ شبهُ ذاك فهو صرير : اذا امتدَّ ، فاذا كان فيهِ تخفيف وترجيع في إعادةٍ ، ضوعف ، كقولك صَرْصَرَ الاخطبُ صَرْصَرَةً ، كأنهم قدّروا في صوت الجُنْدُب المدَّ ، وفي صوت

الأَخْطَبِ الترجيعَ ، لحكوه على ذلك . وكذلك الصقر والبازي » . وقد نقل الشارح هذا النص ولم يعزُهُ إلى قائلهِ على مألوف عادته .

وفي القاموس : « مَأْمَاتِ الشاةُ والظَبْيَةُ : واصَلَتْ صَوْتَها فقالت : مِئْ مِئْ »

وقال الازهري : « صَهْ القَوْمَ ، وصَهْصَهَ بهم : زجرهم . وقد قالوا : صَهْصَيْتُ، فأبدلوا الياء من الهاء ، كما قالوا دَهْدَيْت في دَهْدَهْتُ . – وصَهْ كلمة زَجْرٍ للسكوت .

قال : صَـهْ لا تَـكلَّمْ لِجَمَادٍ بِدَاهِيَةٍ ، عَلَيْكَ عَيْنٌ مِن الأَجْذَاعِ والقَصَبِ

وصَهْ ، كلمة بُنيتْ على السكون ، وهو اسم ، سُمِّيَ به الفعل ، ومعناه : اسكُتْ . تقول للرجل اذا سَكَّتَّهُ وأسكَتَّهُ : صَهْ ، فإنْ وصلتَ ، نوَّنْتَ فقُلْتَ صَهٍ صَهْ . وكذلك : مَهْ ، فان وصلتَ ، قلْتَ : مَهٍ مَهْ . وكذلك تقول للشيء اذا رضيتَهُ : بَخْ وبخٍ بَخْ . ويقال : صَهٍ ، بالكسر . قال ابن جنّي : اما قولهم : صَهٍ ، اذا نوَّنْتَ فكأنك قلتَ : سكوتاً : واذا لم تُنوِّنْ ، فكأنك قلتَ : السُكُوتَ فصار التنوينُ علمَ التنكير ، وتركُهُ علم التعريف . وانشد الليث :

إذا قال حادِينـا لِتَشبيهِ نَبْأَةٍ ٭ صَهٍ لم يَكُنْ إلاَّ دَوِيُّ المَسَامِعِ

قال : وكلُّ شيءٍ من موقوف الزَجْرِ ، فانَّ العرَبَ قد تنوِّنهُ مخفوضاً ؛ وما كان غير موقوفٍ ، فعلى حركةِ صَرْفهُ في الوجوه كلها . وتُضَاعَفُ صَهْ ، فيقال : صَهْصَهْتُ بالقوم » اه . وقال المبرِّد : ان وصلتَ فقلتَ : صَهٍ يا رَجُلُ ! بالتنوين ، فانما تريد الفَرْقَ بين التعريف والتنكير ، لأنّ التنوين تنكيرٌ . وقال ابن الاثير : وقد تكرر ذكر صَـهْ في الحديث ، وهي تكون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بمعنى اسْكُتْ . قال : وهي من أسماء الافعال ، وتنوَّن ، ولا تنوَّن ، فهي للتنكير كأنك قلت : اسكت سكوتاً ، واذا لم تُنون ، فللتعريف ، أي اسكت السكوت المعروف منك والله تعالى اعلم . اه .

ويمكننا أن نُطِيلُ النَفَسَ في الاستشهاد . لكن النتيجة واحدة وكذلك تكون

الفائدة . فلقد ظهر لنا نشوء اول الكلمة وصُوَر انتقالها من حالة الى حالة أخرى، حتى لم يبق لنا شكٌ في هذا التحوُّل العجيب أي انتقال الكلمة الحاكية للصوت إلى المضاعف الثلاثي والرباعي ، ومما يؤيد كلام الأقدمين ، قول امام اللغويين المتأخرين، الشيخ ابرهيم اليازجي. فقد جاء في مجلة الطبيب (في السنة ١٨٨٤ في ص ١٩٤) :

« ان الثنائي موضوع في الأصل على حَرْفَيْن، والتشديد في الثاني طارئٌ من قِبل الصناعة . . . فانك اذا تفقّدتَ هذه الأفعال في العبرانيـة والسريانية . . . وجدتها فيهما مخففـة ساكنةَ الأواخِر، جرياً على الحكاية الاصلية ، لأن الذي سمع قرع حسم بآخَرَ مثلاً ، سمع شيئاً يُحاكي « دَقْ » بالاسكان ، فحكاه بصورته مخفّفاً ؛ ثم لما احتاجوا الى تحريك الثاني في بعض الصُـوَر التصريفية ، كرهوا أن يوالوا بين متحركَيْن ، لا فاصل بينهما ، فوسّطوا بينهما ساكناً ، إمّا من جنس ذلك المتحرّك، فقالوا « دَقّوْ » مثلاً بالتشديد ، وهو اختيار العبرانيين ، وعليهِ جرت العرب ؛ أو حرف مـدّ من جنس حركة الأول فقالوا « دَاقُون » أي « دَقُّوا » أيضاً ، وهو اختيار السريان » اه .

واليك الآن شاهداً على تولّد الاجوف والمهموز من المضعّف. قال ابو الفضـل جمـال الدين في (ذيم) : « الذَّيْمُ والذَّامُ العَيْب. . . وقد ذَامَهُ يَذِيمُهُ ذَيْماً وذاماً : عابهُ . وذِمْتُهُ أذِيمُهُ ، وذَأَمْتهُ ، وذَمَمْتُهُ ، كلهُ بمعنىً ، عن الاخفش ، فهو مَذِيم على النقص ، ومَذْيُوم على التمام ، ومَـذْؤُوم اذا هَمَزْتَ ، ومَـذْمُوم من المضاعف . وقيل : الذيْمُ والذَّامُ : الذَمّ . » اه المقصود من ايرادِه .

وقال ابن الاعرابي : « من العرب ، من يقلب أحد الحرفين المُدْغمين ياء ، فيقول في مَرّ . مَيْر، وفي زِرّ . زِير ، وهو الدُجة ، وفي رِزّ . ريز » (راجع لسان العرب في زور)

وقال السيد مرتضى . « كاع عن الشيء يَكَاعُ ، كخاف يَخَافُ ، لغـة في كَعّ يَكَعُّ ، وقال اللغويون : زال عمرهُ مثل زلّ . والشواهد أكثر من أن تُحصى .

فقد رأينا الاجوف والمهموز العين . فأما المهموز الاول ، فالامثـلة أيضاً كثيرة ولكن نجتزىء بشاهدٍ واحد قديم وهو : (ذَنْ) بفتح الذال المعجمة ونون ساكنة

وقد هجرها الادباء وأكثر اللغويين ، لأن من عادتهم الاعتماد على الثلاثي لشيوعهِ في العربية والرواية المشهورة هي همزها ، أي (إِذَنْ) ومن غريب الاتفاق أن (ذَنْ) كالانكليزية THEN مبنىً ومعنى ، وهذا من أغرب ما صادفتُهُ في اللغة .

وقد ذكر صاحب اللسان كلاماً طويلاً في مقدّمة ديوانهِ لغات العرب في من يهمز بعض الالفاظ ومن لا يهمزها ، فيحسن بالمتتبع أن ينظر فيها إذا أحبّ التوسع في هذا البحث فيرى ما يرضيهِ عن ضروب المهموز . ونأخذ عن بعضهم ما جاء بخصوص الهمز ، وننبه القارىء على أن الهمز في أول الكلمة موجود في جميع اللغات ، فلا عبرة له هنا . أما مهموز العين واللام فخاصّان بالعربية ، على ان قريش ، وكانت لغتها أفصح اللغات ، ما كانت تهمز (او تَنْبِر) لكن سيبويهِ قال : « ليس أحد من العرب إلا ويقول : تنبّأ مُسَيْلِمةُ ، بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز في « النبيّ » كما تركوه في الذُّرِّيَّة والبَرِيَّة والخابِيَة » ، إلا أهل مكة ، فانهم يهمزون هذه الاحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب في ذلك . قال : والهمز في النبيّ لغة رديئة ، يعني لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك . — ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قيل : يا نَبِيء الله ! فقال له ، لا تَنْبِرْ باسمي ، فانما أنا نَبِيُّ الله . — وفي رواية : فقال لستُ بنبيء الله ، ولكني نبيُّ الله . وذلك بأنهُ عليهِ السلام أنكر الهمز في اسمهِ ، فردّه على قائله ، لأنهُ لم يدرِ بما سمّاه ، فأشفَقَ أن يُمْسِكَ على ذلك ، وفيهِ شيءٌ يتعلّقُ بالشَّرْع ، فيكون بالإمساك عنهُ مُبِيحَ محظُورٍ ، أو حاظِرَ مُباحٍ » اه عن اللسان

وأما في تاج العروس فقد قال : « وفي رواية ، فقال : إنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ لا نَنْبِرُ . والنَّبْرُ . همز الحَرْف . ولم تكن قريش تهمز في كلامها . ولما حجّ المهديُّ ، قدّم الكسائيَّ يُصَلّي بالمدينةِ ، فهَمَزَ ، فأنكر أهل المدينة عليهِ وقالوا تنبِر في مسجد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم بالقرآن » (مادة نبر) وكذلك (لسان العرب في المادة المذكورة)

وقريش تعوّض عن الهمز بالتخفيف فتجعله بين بين . » في الحديث : انهُ أُتِيَ بأسيرٍ يُرْعَدُ . فقال لقومٍ : اذهبوا بهِ ، فأَدْفُوهُ . فذهبوا بهِ فقتلوهُ . فوداهُ رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم . أراد : الادفاء من الدّفء ، وأن يُدْفأ بثوب ، فحسبوه بمعنى القتل في لغة أهل اليمن . وأراد أدْفئوهُ بالهمز . فخفّفهُ بحذف الهمزة ، وهو تخفيف شاذّ كقولهم : لاَ هَنَاكَ المَرْتَعُ (بمعنى لا هَنأك المَرْتَعُ) ، وتخفيفهُ القياسيّ أنْ تُجْعَلَ الهمزةُ بينَ بينَ ، لا أن تُحْذَفَ ، فارتكَبَ الشُذوذَ ، لأنَّ الهمزَ ليس من لغة قُرَيْشٍ . فأما القتل ، فيقال فيهِ : أدْفأْتُ الجريحَ ، ودَافأْتُهُ ، ودَفَوْتُهُ ، ودَافيْتُهُ ، ودافَفْتُهُ : اذا أجهزتَ عليهِ . » انتهى بحرفهِ (عن اللسان في دف أ)

وقد ذكر لك الامام اللغوي دافّ ، وأدْفأ ، ودفا يدفو ، بمعنًى واحد وفيها المضَاعف ، والمهموز ، والناقص ، وان اختلفت أبوابها وصيغها . فهذا كلام واضح على أن جميعها ناشئة من المضاعف الثلاثي .

٧ . أوائل صيغ الفعل المزيد أو أوائل أوزانهِ

ذكرنا في الفقرة السابقة ، ان المضاعف الرباعي ، هو أول ما نشأ من صيغ الأفعال ، بعد المضاعف الثلاثي . ونشأ في الوقت عَيْنِهِ ، وزن فَعَّل تفعيلاً من المضاعف أيضاً عند قومٍ غير القوم الذي ذهبوا إلى المضاعف الرباعي . ودونك ما قال صاحب لسان العرب في (خ ب ب) :

« أبو عمرو : خَبْخَبَ وخَوْخَ : إذا استرخى بطنُهُ . وَخَبْخَبَ : إذا غَدَرَ . وتَخَبْخَبَ الحرُّ : سَكَنَ بعضُ فَوْرَتِهِ . وَخَبْخِبُوا عَنكمْ من الظهيرةِ : أبْرِدُوا . وَأصْلُهُ : خَبِّبُوا ، لأنَّ في الكلمة خاءً ، وهذهِ عِلَّةُ جميع مايشبههُ من الكلمات » اه .

على أن هذا رأيٌ . والذي تضح لنا في ما تقدَّم الاستشهاد بهِ ان المضاعف الرُّباعي ليس شيئاً سوى تكرير حرفي المضاعف الثلاثي في أول وضعهِ ، أي بغير تضعيف

الآخر ، فيكون أصـل فعلّ في خبب : خَبْخَبَ ، قَقُصِرَ . وهكذا يقال على كل ما يشبهُ .

وتفعّلَ تفعّلاً نتيجة فعّل تفعيلاً . قال في التهذيب ، ونقلهُ أبوالفضل جمال الدين: « يقال : انقضّ البازي على الصيد وتقضّضَ : إذا أسرعَ في طيرانه منكدِرًا على الصّيد . قال : وربما قالوا تَقَضَّى يتَقَضّى . وكان في الأصل تَقَضَّضَ ، ولما اجتمعت ثلاث ضاداتٍ ، قُلِبت إحداهُنّ ياء ، كما قالوا تمطّى ، وأصلهُ تمطّط أي تمدّد . » اه

وأما بقية الأوزان من المزيد ، فنشأت على تتالي الأزمان . والكلام عليها هنا يطول ، فاجتزأنا هنا بأوائلها التي ذكرناها ، أي فَعْلَلَ المضاعف وفعّلَ تفعيلاً ، وتفعّل تفعّلاً ، وادّخرنا الكلام على ما بقي منها في كتاب آخر .

٨ . زيادة الأحرف على الأسماء

زيادة الأحرف على أصول الكلمة الواحدة نشأت بعـد أن تشعّبت حاجات الانسان ، لأن تلك الحاجَ لم تأتِ سراعاً ، ولا عفواً ، ولا فوراً ، بل جاءتهُ شيئاً بعد شيء ، فزاد الأحرف للدلالةِ على حاجهِ الجـديدة . هذا إذا كانت الزيادة على الأصل ، بلغت ستة أحرف ، أوسبعة في الأكثر . أما إذا طغت على هذا القدر ، أو إذا كانت تلك الأحرف ليست مما زيد على الأصل ، فلا جرم أنها من المعرّب الدخيل على كلام أهل الضاد .

على أنه قد تكون الكلمة الواحدة من بنات الثلاثة والأربعـة ، وهي مع ذلك من الدخيل . فان السيوطي ذكرالفاظاً كثيرة معرّبة وهي ثلاثية الأحرف،أو رباعيتها، كالكُوب والبيعَة والتنُّور والتنبير والجِرْم والحَصَب إلى غيرها ، قائلاً إنهـا من كلام الأعاجم . بيد أن الحكم يجري على الأكثر والأغلب . وفي كثرة أحرف الكلمة وتعدّيها السّبْعَةَ ، ما يدل دلالة صريحة على عجمتها .

٩ً . مُوَسِّعات لغة العرب

مِمَّا وسع كلام الناطقين بالضاد توسيعًا لا يقابلهُ شيء في سائر اللُّغَى المعروفة ، ماوقع فيها من القلب ، والابدال ، والتصحيف ، والتحريف ، وتشابه رسم الحروف ، والتعريب . ونحن نقول كلمة على كل من هذه الدواعي الموسّعات .

١٠ً . القَلْب

المراد بالقلب هنا تقديم بعض أحرف الكلمة على بعضها كقولك : اسْتَدْمَى غريمَهُ واسْتَدَامَهُ إذا رَفِقَ بهِ (راجع المزهر طبعة بولاق الأولى ١ : ٢٣١) واعْتَامَ الرَّجل واعْتَمَى : إذا اختار (فيه) ويسمَّى القلب المكاني وهو غيرُ القلب الصَّرْفيّ الذي هو إبدال أحرف العلة والهمزة بعضها من بعض ، وكلاهما غير الإبدال كما سترى.

والمقلوب في كلامهم أكثر من أن يُحْصَى . وكنا قد وضعنا رسالة كبيرة فيه ففقدناها . فمن هذا الباب ما يأتي وقد ذكرها صاحب المزهر : انتقى فلان الشيء وَانْتَاقَهُ : من النقاوة

وقاف الأثر وقفَاهُ

وأشَافَ الرجل على الأمر وأشفى : إذا أشرَفَ عليهِ.

وجاءت الخيل شواعي وشوائع : متفرقة .

وشاكي السلاح وشائك السلاحِ .

وشاهي البَصَرِ وشايهُ البصر : حديدهُ

ورجلٌ هاعٍ لاعٍ وهائع لائع : جزوع .

وجرفٍ هارٍ وهائرٍ

وعاقني عنهُ عائق وعاقٍ .

وفى غير المزهر :

القاءة والآقة : الطاعة .

وعاث يعيث وعَثَى يَعْثِي .

وآن يئين وأنى يأني .

وقال الزجّاج في شرح أدب الكاتب : ذكر بعض أهل اللغة : ان الجاه مقلوب من الوَجْه واستدِلّ على ذلك بقولهم : وَجُهَ الرجل فهو وجيه : اذا كان ذا جاهٍ ، ففصلوا بين الجاه والوجْهِ بالقلب .

وفي كتب اللغة : جذب وجبذ .

وفي ديوان الشارح ولسان العرب : « قال الأزهريّ : النون في الشُّكْبان ، نون جمع ، كأنهُ في الأصل: شُبْكَان، فقلبت الشُّكْبَان » .

وقالوا : تَقَرْطَبَ الرجل على قفاه ، وتبرقط : إذا سقط .

والعَوْطَب كالعوبط وهي الداهية . قال ابن دُرَيْد في جمهرته : كأنهُ مقلوب .

وقالوا : الصُّبْر والبُصْرُ : الجانب .

وربض كرَضَب .

وأنبَضَ القوسُ وأنضَبَ .

وما أطيبهُ وما أيطبَهُ .

وجارية بُقَعَة وقُبَعَة وهي التي تُظهر وجهها ثم تخفيه .

وغلام مُبْعَنْق ومُعْبَنْق : سيّء الخلق .

وفي اللسان : عُقاب عَقَنْبَاة ، وعَبَنْقَاة ، وقَعَنْبَاة ، وبَعَنْقَاة : حديدة المخالب . وقيل : هي السريعة الخطف المُنْكَرَة . وقال ابن الاعرابي: كل ذلك على المبالغة ، كما قالوا – أسَدٌ أسِد ، وكَلْب كَلِب، واعْبَنْقَى وابْعَنْقَى: إذا ساء خُلُقُهُ » اه .

وقالوا : عجوز شَهْبَرَة وشَرْهَبَة : مُسِنّة .

والصُّعْبُور والصُّعْرُوب : الصغير الرأس من الناس وغيرهم .

وقال الشارح في مادة (ح و ج) : والمقلوب في كلام العرب كثير .

ومن القلب عندهم ، القلب الذي لا يستحيل بالانعكاس مثل : فَحَّتِ الحية وحَفَّت . إلا أن بعض المتقعّرين منهم قالوا : الحفيف من جلدها ، والفحيح من فيها . وقالوا : ماء عُقّ ، وماء قُعّ ، وهو المُرّ . والكِنْع : العِنْك ، وهو الأصل وسُدْفَة من

الليل ، من أوله إلى ثلثِهِ ، أو قطعة منهُ مظلمــة ، أو الثُّلُثُ الباقي . وهناك مثل الآء والبأب والسَّلِسِ والدَّدَدِ .

ومثل القلب الذي لا يستحيل بالانعكاس ، لا يُرى إلا في لغتنا . وأما مثل القلب المألوف ، فيرى منــهُ في الألسنة القديمة فقط ، كالعِبْرِية ، والإِرَميــةَّ ، واليونانيةَّ ، واللاتينية ، لكنهُ ليس بفاشٍ فيها فُشُوَّها في لغة مُضَر .

١١ً . الإِبدال

المراد بالإِبدال هنا : إقامة حرفٍ مكان حرفٍ آخر ، قد يقاربهُ مخــرجاً وربما لا يقاربهُ ، أو يكون بقلب الحَرْف نفسهِ لفظاً آخر على معنى إحالتهِ إليهِ . وقد قالوا : ان حروف البدَل في الادغام أربعة عشر يجمعهــا قولك : « بِجِدٍّ صَرْفُ شَــكِسٍ ، أَمِنَ طَيَّ ثَوْبِ عِزَّتهِ » ومجموعها اثنان وعشرون حرفاً . وقد وجدنا نحن أن الابدال قد يتسع في جميع حروف الهجآء بلا شاذٍّ . وقد وضعنا كتاباً فيهِ ، وهو الآن بيدنا وهو غير مطبوع سميناهُ « جمهرة اللغات » .

« ومُثُلُ ذلك : الوأْلُ والوَعْل والوَغْل : المَوْئِل (التاج في وأل) .

القَرَا : القَرَع : الذي يؤكل . عن ابن الاعرابي ، كأنَّ عينهُ مبدلة من الألف ، (عنهُ في قرو) .

أَوْقَهُ فتأَوَّق بمعنى عَوَّقَهُ فتعوَّق أي أَخَّرَهُ فتأَخَّر (جمهور اللغويين) .

غما في أَمَا (القاموس وشرحهُ ولسان العرب وسائر متون اللغة) .

مآءَ السِنَّور ومَاغَ ، أي صَاح (جماعة اللغويين) .

المأْصُ والمَعَصُ والمَغَصُ : بِيضُ الإِبلِ وكِرَامُها (لسان العرب وتاج العروس) .

رَمِهَ الحَرُّ وزَمِهَ : اشتدَّ . والدَمَه والذَمَهُ والزَمَهُ : شدة الحرّ (اللغويون) .

سَيْلٌ رَاعِبٌ بالراء وسيل زاغِب بالزاي : يملأ الوادي (في الغريب المصنف) .

ريحٌ نَيْرَجٌ : عاصف بالرآء . وريحٌ نَيْزَج بالزاي عن ابن خالويهِ .

هَرَأَهُ البَرْدُ هَرْءًا وأَهْرَأَهُ : بلغ منهُ . ولغــة فيهما بالزاي (عن كتاب الأفعال لابن القوطيّة) .

يقال سمعتُ رَزَّةَ القَوْمِ ، اذا سمعت أصوَاتهم ، بتقديم الراء على الزاي . وسمعت زَرَّةَ القوْم ، مثلهُ ، بتقديم الزاي على الرّاء . (عن الجمهرة لابن دريد) . فأنت في الخيار أن تعتبره من باب القلب أو من باب الإبدال . والبُصَرَاء مختلفون فيه .

رَفَّ الطـائرُ يَرِفُّ رَفًّا ورفِيفًا ، وزَفَّ الطائرُ يزِفُّ زفًّا وزَفيفًا : إذا بَسَـطَ جَناحَيْهِ (جماعة أكابر اللغويين) .

الأَفْزُ والقَفْزُ والأَفْرُ : الوَثْبُ (عن أبي عمرو) .

تَرَعْرَعَتِ السنُّ وتزعزت السِنُّ بمعنى واحدٍ (السيد الزبيديّ)

شَغْرَبَهُ وشَغْزَبَهُ ، والشَغْرِبيَّةُ : كالشَغْزَبِيَّةِ وهي اعتقال المصـارع رِجْلَهُ بِرِجْلِ آخر وصَرْعُهُ إِياهُ . (المجْد) .

تَيْسٌ مُشْغَنَبٌ ، وتكسر نونهُ : مُشْغَنِبٌ . وهو التيس الذي يستقيمُ قَرْنُهُ ثمَّ يلتوي على رأسهِ قِبَلَ أُذُنِهِ (جماعة المحققين من أصحاب اللغة) .

جارَ عن الحقّ وجَاضَ عنهُ : عدل عنهُ (لسان العرب والقاموس والتاج) .

طَوَى الثَوْبَ على عُرُوضِهِ وعلى غُرُورِهِ بمعنى واحدٍ والغرور جمع غَرٍّ وهو كل كَسْرٍ مُتَثَنٍّ في ثوبٍ أو جلدٍ . تقول طويتُ الثوب على غَرِّهِ أي كَسْرِهِ الأوَّلِ (ق) .

مِشْيَة سُرُح مثل مشية سُجُح أي سهلة (كتب اللغة) .

ونحن لا نريد أن نمضي في وجهنا قُدُمًا ، لاتساع أفق البحث بين يدينا كلما أوغلنا فيهِ .

١٢ٌ . اجتماع القلب والابدال فى الكلمة الواحدة ، او اجتماع قلبين فيها او ابدالين فيها

قد يجتمع القلب والابدال معاً في الكلمة الواحدة ، إذ لا مانع يمنع هذا الأمر .
فقد قالوا مثلاً : أخَذَهُ بِزَأْمَجِهِ وَزَأْبَجِهِ وزَأْبَرِهِ ، مهموزاتٍ أي أخذهُ كلهُ ، ولم يدَع منهُ شيئاً (راجع الشارح واللسان في زَمجَ) .

وقالوا : سَمَا الشيء وسَمَقَ وشَمَخَ (كتب اللغة) .

الخَفِث والفَحِثُ والخِنْف والحَضْف والخَضْف والحَضْب وكلها بمعنى الحيَّة، أو ضرب منها . وقد ذكرها جميع أصحاب المعاجم .

هذا عَلُوج صِدْق وأُلُوكُ صِدْق (اللغويون) .

القَمْسَرُ والقَشْعَرُ : القَوْفَرأي صغار البطيخ (القاموس) .

بَنُو تَيْم الله بن ثَعْلَبَة يقولون . رَعَنَّك ، يريدون لَعَلَّك . ومن العَرَب من يقول: رَغَنَّك ولَعَنَّك بالغين المعجمة (اللسان في عنن) .

قال أبو منصور : رأيتُ البحرانيين يقولون: سِبِت ، بالسين والتاء في [شِبِث] وأصلها شِبِذ [وقال في مكان آخر : شِبِد بالدال المهملة] (اللسان في شبث) .

القَنْطِريس : الناقة الشديدة الضخمة كالخَنْذَليس (القاموس) .

البَلْعَس والدَلعَس والدلعَك: الضخمة من النوق (المجد) .

إنْهفَت الشيء وانْخَفَضَ بمعنى واحدٍ .

سَأَتهُ وسَحَطَهُ وشحَطَهُ أي ذبحهُ أو خنقهُ .

الوَجبَة والنَزْمَة والأَزمَة والوزمَة والوَجْمَة والوزْمَة وهي الأكلة الواحدة في اليوم .

وأمثال ذلك لا تحصى ، ولا تستقصى ، وقد تختفي على القارىء في أول الأمر ، لكنها لا تختفي على المتأمل المتدبّر .

١٣ً . التصحيف

المراد بالتصحيف هنا مصدر صَحَّف ، وهو أن يُخطِىء القارىء في قراءةِ الكلمة وروايتها ، لاتفاق في صورةِ أحرُف الكلمتين ، واختلاف في النقط ، أما الحركات فقد تختلف ، وربما لا تختلف . وقد وقع هذا الأمر منذ القديم في هذه اللغة المبينة حتى ان أبا عبد الله حمزة بن الحسن الاصفهاني المتوفى سنة ٣٦٧ وضع تأليفاً بديعاً سماهُ : (التنبيه على حدوث التصحيف) وقد نبَّهَ فيهِ على التصحيف الذي وقع في مُتُون الاحاديث النبوية ، وكلمات العرَب البلغآء ، كالامام علي بن أبي طالب ، وفي الأشعار القديمة والامثال السائرة .

أما أمثال التصحيف ، فأكثر من أن تحصى ونحن نذكر لك طرفاً منها :

قال أبو الفضل جمال الدين في مادة (ق ب ع) : « وفي حديث الاذان : انهُ اهتمَّ للصلاة كيف يجْمَع لها الناس . فذُكِر لهُ (القُبْع) فلم يعجبهُ ذلك ، يعني البوق . رُوِيت هذه اللفظة بالبآء [أي القُبْع] ، والتآء [أي القُتْع] والثاء [أي القُثْع] والنون [أي القُنْع] . وأشهرها وأكثرها النون . ثم قال في مادة (ق ث ع) ، بعد أن أورد هذا النصّ أيضاً : « قال الخطابي : سمعتُ أبا عُمَر الزاهد يقول : بالثاء المثلثة ، ولم أسمعهُ من غيرهِ . » اه

وقال أيضاً في ترجمة (ق ت ع) بعد إيراد النصّ المذكور « ومدار هذا الحرف على هُشَيْمٍ ، وكان كثير اللحن والتحريف على جلال محله في الحديث » اه

والأصل عندنا هو القُنْع ، بقاف مضمومة فنون ساكنة يليهما عين في الآخر . وهي تنظر الى اليونانيَّة(CONKHOS (ὁ Κόγχος, ου) أي قُنْع أو شَبُّور أو بوق أو كل ما يشبه البوق من المحار والأدوات . والحرف اليوناني KH كثيراً ما يقابلهُ العين في لغتنا .

وقالوا : الجِنْس ، والقِنْس ، والقِبْس ، والكِبْس ، والقِنْص ، والكِرْس ، والجِرْس ، والجِنْث ، والكِنْع ، والقِنْع ، والعَنْك ، والكنسح ، والكِنسِيح ، والبِنْج ، والسِنْخ ،

والجنج، إلى غيرها ونظن أن الأصل هو الجنس وهو ينظر إلى اليونانية γένος أو اللاتينية GENUS .

ومن المصحّف الخُشُون والخُنُون والخُنْذُود ، وهو الخيشوم .

وقالوا : الحَوْف (على ما في القاموس وتاج العروس والاوقيانوس) : القرْيَة بالياء المثناة التحتيّة بعد الرّاء، وأيضاً القِرْبَة بياء موحدة . ومثل ذلك وقع لهم في شرح القَسّة فقالوا معناها القَرْية والقِربة .

ونظن أن المعنى الصحيح الاول للحَوْف هو القِرْبة بالباء الموحدة لأن الكلمة مشتقة من مادة تدل على جِلْدٍ ، وقِدٍ ، والقِرْبة تكون من تلك المادة نفسها.

وأما القسّة فأوّل ما كان معناها القرية بالياء المثناة لأن في معنى هذه المادة ما يدل على الابل ، والابل لا تكون في أغلب الاحيان إلا في القرى . قال اللغويون قسّ الابل قسّاً : أحسن رعيها وساقها . وقسّت الناقة . رعت وحدها . والقَسُّ صاحب الابل الذي لا يفارقها . فيرجح أن يكون معنى القَسّة القَرْية . وفي ما بقي من هذه المادة ما يؤيد هذا المعنى . فلتراجع .

وقالوا : أمرٌ مُدَغْمَس ومُدَغْمَس ومُدَخْمَس ومُدَهْمَس ومُتَهْمَس أي مستور . ولا جرم أن الأصل هو من مادة (د م س) من دَمَس الظلام دُمُوساً : اشتدّ ، ودَمَس الاهاب غطّاه لِيُمَرّطَ شعرهُ . والدُمْس من الأمور : العظام ، والدَمَس أي ما غُطِّيَ . يقال شيء دَمَسٌ أي مُغَطّى. ثم زادوا المادة هاء في الوسط ليدلّوا بها على اشتداد الأمر وهي تزاد كذلك للتعظيم على ما ورد مثلهُ كثيراً في اللغة . وأما سائر الأحرف فمبدلات منها . والتصحيف في العربية شيء كُثار لا يقدَّر .

١٤ . الاحتِبَاء في التصحيف أو الاحتباء .

يقال : أحتبى فلان في تصحيف الكلمة : اذا قرأ الكلمة نافلاً نقطة حرف ، أو نقطتي حرف ، إلى حرف آخر . وقد أحدث هذا الاحتباء أوهاماً وأغلاطاً شنيعة . وربما لم يحدث أدنى ضرر . فمثال الضرر ما جاء في أصل هذا المثل وهو : « أجهل

خاصي المخنّثين » فقد قيل ان جماعة من المَخَنّثين ، كانوا في المدينة ، في خلافة سليمان ابن عبد الملك الاموي ، فأراد أن ينفيهم منهـا ، وكان عامله فيها أبا بكر عُمَرَ بن حزم . فكتب اليهِ يقول : أحْصِ من عندك من المخنّثين . واتفق أن نقطة من السطر الأعلى وقعت فوق الحاء فصارت خاء ، فخصاهم .

وقد يسبب هذا التصحيف كلماً جديدةً من غير أن يُحدث فيها معاني حديثة فقد قالوا مثلاً : العَنْتَرَب والعَنْزَب والعَيْرَب وهو السماق (راجع اللسان والتاج)

الحال والخال والجال بمعنى الراية (اللسان والتاج في حول وفي مادة كل لفظة)

الفُرْزُوم والقُرْزُوم : خشبة مدوَّرة يحذو عليها الحذّاء ونوع من الثياب يقال له المِرْط أو المِئْزر .

القِلِزّ والقُلُزّ كالفِلِزّ والفُلُزّ : النحاس الذي لا يعمل فيهِ الحديد والرجل الشديد.

النخاريب والتخاريب : خروق كبيوت الزنابير والثُقَب التي يمجّ النحل العسل فيها .

وفي الحديث : « ان اخنع الاسماء عند الله ، ملك الاملاك . » ويروى : أنخعَ الاسماء وأنْجعَ وأنْخَى . (راجع النهاية لابن الاثير وتاج العروس) .

الخُضْب (بالضمّ ، حبّة بَيْضاء جبليـة) قال الازهري : وهذا تصحيف ، وصوابهُ الحِضْب ، بالحاء والضاد المعجمة . يُقـال : هو حُضْبُ الأحْضَاب . . . قال : وهذهِ الحروف وما شاكلها ، أُرَاها منقولة من صُحُف سقيمة الى كتاب اللّيْث وزيدت فيهِ سهواً . ومن نَقَلَها لم يعرف العربية فَصَحّف وغَيّر فأكثر (لسان العرب والتاج) .

وقال الشارح في مادة (ق ص ر) : « رُوي عن عليّ ، رضي الله عنهُ : انهُ كتب الى معاوية : غَرّكَ عِزُّك ، فَصَـار قُصَارُ ذلِكَ ، ذِلَّكَ ؛ فاخْشَ فَاحِشَ فِعلِكَ ، فَعَلَّكَ تَهْدَا بِهذَا » — وهي رسالة تصحيفية غريبة في بابها . » انتهى .

وقال المذكور في مادة (ع ز ر) : « ابو بكر ، محمد بن عُزَيْز السِجِستَانِيُّ ، مؤلف (غريب القرآن) ، والبَغَادِّةُ (أي البغداديون) يقولون بالرآء (أي عُزَيْر) ... وإليهِ ذهب الصَّلاحُ الصَفَدِيّ في (الوافي بالوَفَيات) ، وهو تصحيف ، وبعضهم صَنَّفَ فيهِ ، وجمع كلام الناس ، ورَجَّحَ انهُ بالرآء . وقد ضرب في حديدٍ بارد ؛ لأنَّ جميع ما احتجَّ بهِ فيها ، راجع الى الكتابة لا إلى الضبط من قبل الحروف ، بل هو من قِبل الناظرين في تلك الكتابات ، وليس في مجموعةٍ ما يفيد العلم بأنَّ آخرهُ رآء ، بل الاحتمال يطرق هذهِ المواضع التي احتجَّ بها ، إذ الكاتب قد يذهل عن نَقْطِ الزاي ، فتصير رآء ! ثم ما المانع أن يكون فوقها نقطةٌ ، فجعلها بعض من لا يُمَيِّز علامة الاهمال » ا ه بحروفهِ .

قال صاحب هذا الكتاب : « ان سبب ذهاب البغادّة إلى ان المسمَّى هو (عُزَيْر) براء في الآخر لا (عُزَيز) بزايَيْن ، شُيوعُ الاولى دون الثانية . ولم تشع الأولى إلاَّ لأن العراقيين جميعاً لا يسمعون طول حياتهم إلا بـ (العُزَيْر) مُصغراً ومعرفاً بال وبرآء في الآخر ، لوجود قبرِ نبيّ في العراق بالاسم المذكور . هذا فضلاً عن أن (عُزَيْراً) ورد في القرآن ، فشاعت اللفظة عند الادبآء والعلمآء والمتديّنين فملأت الاسماع ، والعوام تتبع ما يفشو بينهم من الكلام ، لا ما يتطلَّب تحقيقاً له ، أو تدقيقاً فيهِ .

واليهود والنصارى يسمون (عُزَيراً) : عِزْره ، أو عِزْرا الكاتب .

وجاء في الاوقيانوس ، ونقله صاحب محيط المحيط ولم يُشر إلى مصدرهِ : « في الحديث : فأتي بثلاثة أقْرِصة على بَتِيّ أي منديل من صوفٍ ونحوهِ ، قيل : والصواب : بُنِيّ أي طبق ، أو نَبِيٍ أي مائدةٍ من خُوصٍ » ا ه .

وقال ابن مكرَّم في لسانهِ في تركيب (ب ش ق) : « في حديث الاستسقآء : بَشِقَ المسافِرُ ومُنِع الطَّريقُ . قال البُخَارِيّ : أي انسدّ . وقال ابن دُرَيْد : بَشِق ، أي أسْرَع ، مثلُ بَتِكَ . وقيل : معناه تأخَّر . وقيل : حُبِس . وقيل : مَلَّ . وقيل :

ضَعُفَ . وقال الخطابيّ : بَشِقَ ، ليس بشيء ، وانما هو لَثِقَ من اللَّثَقِ ، وهو الوَحَل ، وكذا هو في رواية عائشة ، رضي الله عنهما . قال : ويُحتَمل أن يكون مَشِقَ ، أي صار مَزِلَّةً وزلقاً . والميمُ والباء تتقاربان . وقال غيرهُ : انما هو بالباء ، من بَشَقْتُ الثوب وبَشَكْتُهُ : اذا قطعتهُ في خِفَّةٍ ، أي قُطِعَ المُسَافِر . وجائزٌ أن يكون بالنون ، من قولهم : نَشِقَ الظَبْيُ في الحِبَالَةِ : اذا عَلِقَ فيها . ورجُلٌ نَشِقٌ : اذا كان يدخل في أمورٍ لا يكاد يَخلُصُ منها » ا ه بنصهِ وفَصّهِ .

وفسّر اللغويون الأحبش بقولهم : الشديد الحادّ من الاصوات . والصواب الأجَشّ .

وجاء في (كتاب لَيْس) لابن خالويهِ : « الظَرَوْرَى ، كشَرَوْرَى : الرجل الكيِّس ، العاقل ، الظريف . واختلف في البصرة في مجلس اليزيدي نديمانِ له نَحْوِيَّانِ في الظَرَوْرَى . فقال احدهما : هو « الكَيِّس » . وقال الآخر : هو « الكَبْش » . فكتبوا الى أبي عُمَرَ الزاهد يسألونهُ عن ذلك . فقال ابو عُمَرَ : من قال إن الظَرَوْرَى الكَبْش فهو تَيْسٌ ؛ انما هو الكَيِّس . ونقل هذهِ الحكاية صاحب تاج العروس في مادة (ظ ر ر) .

وجاء في القاموس : الفَنَاة : البَقَرَة . وفي محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني : البعرة في (ف ن و) وهنا انقلبت البَقَرَةُ بَعْرَةً ، فيا لسوء حَظِّها ، لكن أي انقلاب !

وقال الشرتوني في أقرب الموارد : « وذكر بعض اللغويين أنها البَقَّة وهو غير صحيح أيضاً » ا ه

وفي البستان للشيخ عبد الله البستاني : الفناة : البقرة . فانظر وتأمل !

وقال الزبيديّ في ترجمة (خ ش ف) : المَخْشَف كَمَقْعَدٍ : اليَخْدَان ، عن اللَيْث . قال الصاغاني : ومعناه : مَوْضِع الجَمَد . قلتُ : واليَخْ بالفارسية : الجمد . (وفي الاصل المطبوع : الجدان ، وهو خطأ من الناظر في نشرهِ) ، ودان : موضعهُ .

هذا هو الصَوَاب . وقد غلِط صاحب اللسان لما رأى لفظ اليَخْدان في (العين) ، ولم يفهم معناه ، فصحَّفهُ ، وقال : هو النَجْرَان ، وزاد : الذي يجري عليهِ البـاب ، ولا إخالهُ إلا مُقلِّداً للازهريّ . والصواب ما ذكرناه . » اه

وقال في (ط و س) : « الطُوس ، بالضمّ : دوام الشَيْء . وهكذا في سـائرِ النُسَخ . وفي بعضها : دوامُ المَشْيِ . وهو غلط فاحِش ، لا أدري كيف ارتكبهُ المُصَنِّف مع جلالة قدرهِ . ولعله من تحريف النُسَّاخ . والصواب : « دَوَاءُ المَشِيّ » ، كما هو مضبوط بخطّ ِ ابي السَنَاء الارمويّ في نسخة التهذيب . ونسبةُ الصاغاني الى ابن الاعرابي ، إلا انهُ ضبط المشي ، بفتح فسكون . وهو بكسر الشين وتشديد اليآء ، كما ضبطهُ الارمويّ . ومعناه : دَوَآء يُمَشِّي البطن وهو الإِذْرِيطُوس . . . فاقتصر على بعض حروف الكلمة . وفي الأساس : شرب فلان الطوس أي الاذريطوس » اه المقصود من إيرادِهِ .

وفي محيط المحيط : « والطُوسُ : دوام الشيء ، ودوآء يشرب للحِفْظِ وهي عبارة القاموس بِحُرُوفها .

وهذا البَحْث طويل المدى ، عَريض المنكب ، حتى اننا لنستطيع أن نضع كتاباً ضخماً فيهِ ، ونقر بعد اتمامهِ باننا لم نبلغْ منهُ إلا طرفاً ليس إلا . ومثل هـذه التصحيفات المحتبى فيها زادت في العربية منذ أن وضع المحدثون معاجمهم أي منذ نحو مائتي سنة وفيها من المضحكات المبكيات ما يُطْرِب ويذرف الدموع معاً !

١٥ . التصحيف الناشيء من تشابه رَسم الحروف

ذكرنا في الفقرتين الـ ١٣ و الـ ١٤ بعض ألفاظٍ من هذا القبيل . والآن نذكر لك شواهد أُخر تقع تحت هذا العنوان . وأول كل شيء نبتدئ بكلام البيرونيّ في ما يتعلق بهذا الموضوع :

قال في مقدمة كتابهِ (الصَيْدَنة): «ولكن للكتابة العربية آفة عظيمة، هي تشابه صور الحروف المزدوجة فيها، واضطرارها في التمايز إلى نُقَط المَعْجَم، وعلامات الاعراب، التي اذا تُرِكت، استبهم المفهومُ منها. واذا انضاف اليهِ اغفالُ المُعارضة، وإهمال التصحيح بالمقابلة، وذلك الفعل من عامّ قومِنا، يُساوى بهِ وجودُ الكِتاب وعدمهُ، بل عِلْمُ ما فيهِ وجَهْلُهُ. ولولا هذه الآفة، لكفى ما في كتاب ديسقوريدس، وجالينوس، وبولس، وأُربَاسِيوس، المنقولة إلى العَرَبي من الاسامي اليونانية، إلا أنّا لا نثق بها...» اه المقصود من ايرادهِ.

ومشابهة الحروف بعضها لبعضٍ، أوقع أعظم العلماء واللُغَويين في مجادلات طويلة، أضاعت من السَلَف كثيراً من أوقاتهم وعلومهم وأعمارهم والايغال في ضروب العرفان المفيدة. وقد أشرنا إلى هذا الامر في ما مرَّ بنا من الكلام. والآن نذكر لك غير ما تقدَّم شرحهُ.

قال ابو الفضل الخزرجي في تركيب (ي و ح): «ابن سِيدَهْ: يُوح: الشَمْس، عن كراع. لا يدخلهُ الصرف، ولا الالف واللام: والذي حكاه يعقوب بوح (بالبَاءِ الموحَّدة التحتيَّة). قال ابن بَرّي: لم يذكر الجوهري في فصل اليَاءِ شيئاً. وقد جاءَ منهُ قولهم: يُوح (بياءٍ مثناة تحتية): اسم الشمس. قال: وكان ابن الانباريّ يقول: هو بُوح بالبَاءِ (الموحَّدة التحتية)، وهو تصحيف. وذكره ابوعليّ الفارسيُّ في الحلبيّات عن المبرّد (يوح) بالياءِ المعجمة باثنتين (من تحت). وكذلك ذكره ابو العلاءِ بن سُلَيْمَانَ في شعرهِ فقال:

(وَيُوشِعُ رَدَّ يُوحَي بَعْضَ يَوْمٍ)، وأنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ بُوحَا

قال: ولما دخل بَغْدادَ، اعتُرِض عليهِ في هذا البَيْتِ، فقيل له: صَحَّفْتَهُ؛ انما هو بوح، (بالباء الموحدة التحتية)، واحتجُّوا عليهِ بما ذكره ابنُ السِكّيت في ألفاظهِ. فقال لهم: هذه النُسَخُ التي بأيديكم، غيَّرها شُيُوخُكم؛ ولكنْ أخرِجوا النُسَخَ العتيقة؛

فأخرجوا النسخ العَتِيقــة ، فوجدوها كما ذكره أبو العلاء . وقال ابن خالوَيْهِ : هو يُوح ، بالياء المعجمة باثنتين (من تحت) ، وصحَّفهُ ابن الانباري ، فقال : بُوح ، بالباء المعجمــة بواحدةٍ . وجرى بين ابنِ الأنباريّ وبين ابي عُمرَ الزاهدِ كلُّ شيءٍ ، حتَّى قالت الشعراء فيهما . ثم أخرجنا (كتاب الشَّمْس والقمَر) لابي حاتمٍ السِجِسْتَانيّ ، فاذا هو يُوح ، بالياء المعجمة باثنتَيْن (من تحت) . واما البُوح ، فهو النفس لا غير .

وفي حديث الحسن بن عليٍّ عليهما السلام : هل طَلَعَتْ يوحِ (بكسر الحاء) يَعْني الشمس . وهو من أسمائها كَبَرَاحِ ، وهُما مبنيَّانِ على الكسر . قال ابن الأثير : وقد يُقَال فيهِ يُوحى ، على مثال فُعْلَى . وقد يقال بالباء الموحَّدة لظهورها من قولهم : بَاحَ بالأمر يَبُوحُ » ا ه نقلهُ بحرفهِ . ومثل هذا القول ورد في ديوان الشارح .

قال صاحب هذهِ الكلمــة ومؤلِّفُها : الذي عندنا أن الصواب هو يَرَح ، بياء مثناةٍ تحتيَّة مفتوحة ، يليها راء مفتوحة ، وفي الآخر حاء مهملة ، وهي الشمس بلغــة أهْل تَدْمُر ، وكانت لغتهم تُشْبِهُ العربية كثيراً ، والكلمة نفسها تعني القمَرَ بلغــة الأشوريين . وقد تمدّ فيقال : يَرَاح كسَحَاب وصُحِّفت بَرَاح بباء موحدة تحتيَّة .

وفي اللغة الإرَمِية : يَرَحْ ويَرْحَا الشهر أو التاريخ و (يَرْحُوثَا) مُدَّة الشَّهْر . فيحتمل معناهُ الاصلي : الشمس والقمر ، لأن منهم من كان يؤرخ الحوادث باعتمادهِ على دوران الشمس كالمجوس ، ومنهم من كان يؤرخ باعتمادهِ على القمر كاليهود .

ومن هذا القبيل : الزَبْرَق ، والزَبْرَق والزَيْزَق وهو عِنَب الثَّعْلَب .

وجاء عندهم العبقس والعبقَص ، والعَنْقَص ، والعبْقُوس والعبْقُوص والعنْقُوص ، والعَنْتَقَص والعَقَنْقَص ، والعَقَنْقَصَة والعَقَنْقَصَة . والاصل عَنْفَس أو عُنْفُوس ، وهو من اليونانية (EMPUSA) Ἔμπουσα وهو في الاصل الطَيْف ثم نقل إلى معنى واحدٍ

من معبوداتهم وكان يُصَوَّر بشكل حشرة ، ثم دُعِيت الحشرة بهذا الاسم . وكتب اللغة تقول : دويبّة ولا تزيد على هذا القَدْر .

وجاء في لسان ابن منظور في (سوف) : السواف بفتح السين : الفَنَاء . وفي القاموس : السَوَاف كسَحَاب : الفَنَاء ، والمَوْتَان . فأين الفَنَاء من الفِنَاء . والصوابُ أنَّ المجد خاطِئٌ ، وابن منظور هو المُحِقّ أي الفنَاء بنون بمعنى الهلاك .

وورد في اللسان أيضاً في ترجمة (ق ه ا) : القَهَةُ من اسماء النَرْجِس . عن ابي حنيفة . قال ابن سيده : على انهُ يحتمل أن يكون ذاهِبُا واواً وهو مذكور في موضِعِهِ . » ا ه .

وقد فَتَّشنا في معجمهِ فلم نجدها في (وقه) ولا في (وقا) . ولم يذكرها أحد من أرباب دواوين اللغة . ونحن نظن ان الصواب هو القَهْد ، بقاف مفتوحة ، وهاء ساكنة يليها دال مهملة . وقد ذكرها اللغويون في معاجمهم بمعنى النرجس .

وفي القاموس : الرَفْن البيض (في رفن) . وفي اللسان : النَبْض ، عن ابن الاعرابي . فمن المُحِق ؟ - قلنا : ان المحقّ هو ابن منظور لأنهُ جاء في هذه المادة : إرْفأَن الرجُلُ : نَفَرَ ثم سكن . وعند النفور يشتد النبض وليس في تلك المادة ما يوجّه معنى البيض .

وقد جمعنا شيئاً كثيراً من أمثال هذه الأوهام وتقع في سِفْرٍ ضَخْم . وأغلب هذه التصحيحات علقناها على هامش نسخة اللسان وتاج العروس وأساس البلاغة والمصباح .

١٦ً. التحريف

المراد بالتحريف هنا تشابهُ أحْرُف الكلمة بعضها لبعض في النوع ، والشكل ، والعدد ، والترتيب ؛ لكنها تختلف في الحركات أو في الحركة والسكون . فأمثلة الاول: اللَبَابُ : كسحاب : الكلأ القليل - واللُبَاب كغُراب : المختار الخالص من كل

شيء والبِاَب كفِراش : أوساط الصدور والمَنَاخِرُ ، واحدها لِبَّة . (وفي البستــان : المناخِر ، بالخآء المعجمة وهو غلط) .

والبَجَة والبُجَة : حديدة ذاتُ شُعَبٍ كأنها كفٌّ بأصابعها تفرّج ، فيوضع في وسطها لحمٌ ، ثم تُشَدُّ إلى وتدٍ ، فاذا قَبَضَ عليهــا الذِئب ، التبجَتْ في خَطْمِهِ ، فقبضَتْ عليهِ وصرعتهُ . والجمع اللبَجُ واللُبَجُ .

وقد ترِد الكلمة الواحدة بحركاتٍ ثلاثٍ ولا يتغير شيء من معناها كالسَمّ مثلاً الثَقْبِ ولهذا القاتِل المعروف . فقد وردت فيهِ الحركات الثلاث .

وقد يختلف المعنى باختلاف الحركة . فالحَبُّ مثلاً ، بالفتح : البَزْر وبالكَسْر: المحبوب والمُحِبُّ . وبالضمّ : الجرّة الضخمة . فان لم يكن القارِئ واقفاً على معاني تلك الكلمات ، باختلاف حركاتها ، خبط فيهِنّ خبط عشوآء .

وأمثال هذه المثلثات في العربية جَمَّة وقد وضع فيها اللغويون كُتُباً وأراجيز وشرحوها .

وأما الحرف باختلاف الحركات والسكنات فمشهور أيضاً في هذه اللغــة مثال ذلك امرأة جُلُبَّانة وجِلِبَّانة وجُلُبْنَانة : مُصَوِّتة ، صَخَّابة ، مِهذارة ، سَيئة الخُلُق .

وجُرْبان السَيْف وجِرِبَّانُهُ : حَدُّهُ ، أو شيٌ يُجْعَل فيهِ السيف وغِمْدُهُ وحمائلهُ فقد تختلف المعاني باختلاف مواقع تلك الحركات والسكنات . وربما لا تختلف والشواهد في كتب مُتُون اللغة اكثر من أن تُحْصى .

١٧ . اجتماع التصحيف والتحريف معاً

قد يجتمع التحريف والتصحيف معاً في الكلمة الواحدة فتزداد اللغةُ كلماتٍ ، قد تفيد الشعرآء ، أو من يعنى بحفظ الغريب أو جمعهِ ، لكنهُ يوقر الأسفار ألفاظاً لا جَدْوَى فيها من جهة العِلم والفنّ . وفي ما مرَّ من الفُصول الأخيرة من هذهِ الرسالة شواهد عديدة ، ونزيد عليها ما يأتي :

جاء في حيـاة الحيوان : « المِطْرِف ، بالكسر : الأفعى الكبيرة » . ولم يذكر اللغويون هذهِ اللفظة . وجاء في القاموس والتاج : المِطْرِب : الأفعى الصغيرة . وهذهِ اللفظة لم ترد في اللسان ، بل ورد فيهِ الغَطْرَب (وقد ضبطت كجعفر) بمعنى الافعى، عن كراع . وقال في (غ ض ف) : « الغَضُوف : الأسد والحيـة الخبيثة . » - ولم يذكرها اللغويون فلعلَّها الغَطْرَب ، بغين مفتوحةٍ فطآء ساكنة فرآء مفتوحة فبآء . - وقد تكون صحيحة وان لم يذكرها أرباب اللغة لان الاشتقاق يُجيزها .

وجاء في القاموس في (زرر) : وقول الجوهريّ : إذا كانت الإبل سماناً : قيل لها : بِهَا زِرَّةٌ . تصحيف قبيح وتحريف شنيع ، وإنما هي بِهَازِرَةَ ، على وزن فعالِلَة .

وذكر اللغويون الأَبَيَان ، بالتحريك ، بمعنى الأَبِي . وصرَّحوا بضبطها أنها بتحريك الهمزة والبآء واليآء (والمعـروف عند الجميع أن وزن فَعَلان ، بالتحريك ، لم يأتِ صفة ، والوارد صفة هو وزن فَعْلان باسكان . وأما الذي بالتحريك فهو من أوزان المصـادر . - والظاهر أن أول من ركب متن هـذا الغلط الجوهري ، وقلَّدَهُ غيرهُ ، من أصحاب الدواوين والمتون والشروح تقليداً أعمى من غير تحقيق ولا تثبت .

وسبب زَلَّة الجوهري — على ما يبـدو لي — إنهُ سمع قول أبي المُجَشّر وهو شاعر جاهلي :

وقبلَكَ ماهَابَ الرِجالُ ظُلاَمَتي   وفَقّأْتَ عَيْنَ الاشْوَسِ الأَبَيَانِ

فاتخذه شاهداً على ما ادّعاهُ مع أنهُ يمكن أن يقول القائل : تحريك البآء هنا للضرورة الشعرية التي تجيز الشاعر أن يحرّكَ السا كن ، إذن قال الأَبَيَانِ بالتحريك في مكان الأَبْيَان بالاسكان .

وقد قال الفارابي في ديوان الأدب ، قبـل ختام الأسمآء من الهمز ، (أي في الصفحة ١٩ ٥من نسختنا الخطّية):«ان الابيان وزان فَعْلان كلآن ودفـآن . وتحمل رواية من روى الأبيات بالتحريك على الغلط من الراوي ، أوالضرورة الشعرية . »اه

وقال في التاج : كَشْمَرَ أنفهُ ، بالشين بعد الكاف : كَسَرَهُ . قالهُ صاحب اللسان . ولا جرم ، أن معـنى كَشْمَرَ أنفهُ كَسَرَهُ أي أذَلَّهُ ، كما يقال : « كَسَرَ فلانٌ الجيشَ أي هزَمَهُ . » اه .

والذي عندنا : أنّ كَشْمَرَهُ لغة في قَنْبَرَهُ اجتمع فيها إبدالان أي رغمهُ أو رَغم أنفَهُ بمعنى أذلّهُ، ولا يريد بهِ الكسر المادّيّ ، وإن كان الوضع الأصلي هو الأول . وإلا لو كان المراد به الكسر الحقيقيّ للأنف ، لقال جَدَعَ أنفهُ أو قطعهُ أو ما أشبه هذا التعبير . وعليهِ أخطأ من نقل الألفاظ العربية الى الأعجمية،وذهب بنقل كَشْمَرَهُ الى المعنى الحقيقي ، لا المجازي، مثل عاصم افندي : صاحب الأوقيانوس، وغوليوس ، وفريتغ ، وقزميرسكي ، ومن نحا نحوهم ، ونقل من كتُبهم .

وجاءَ في لسان العرب في مادة (ج د ل) : « قال شمر : ما رأيت تصحيفاً أشبه بالصواب ممَّا قرَأَ مالك بن سليمَن عن مجاهد في تفسير قولهِ تعالى : « قُلْ كلٌّ يَعمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ » فصحَّف ، فقال : « على حَدّ يليهِ » وانما هو « على جَدِيلَتِهِ» أي على ناحيَتِهِ .

وأمثال ذلك لا تُحصَى.

١٨ً. اجتماع التصحيف والتحريف والقلب والابدال معا في الكلمة الواحدة

يظهر ذلك من الفصول المتقدمة ، اذا ما أَمْعَنَ فيها النظرَ من يحب استقراء هذا البحث . ونزيد ما يأتي على ما تقدَّم :

قال السيد مرتضى في تاجهِ في مادة (م ع ش) :« أَمْغِيشًا : . . وكانت البس عينًا مالحة » — والصواب : « وكانت أُلَيْس (وزان قُبَيْط) مِنْ مَسَالِحِهَا . فقرأ : « أُلَيْس » : « البسَّ » و « مِنْ » : « عَيْنٍ » ثم أعمل الفكرة في ما عسى أن تكون « عين » هذه . ولا سيا لأنها وقعت موقع مفعول بهِ ، فاستحسن أن يقرأها منصوبة ليستقيم لها معنى، فقرأها عيناً ثم قال في نفسهِ :إن العَيْن تكون إمَّا عَذْبة ، وإمَّا مالحة . ولا بُدَّ أن تكون هنا مَالِحَة ، لأن صورة الكلمة لا تُجيز لي أن أقرأها « عذبة » . والفرق بينهما عظيم فقال : إنها « مالحة » وقد صُحِّفت على الناسخ .

فأصبحَتْ: « وكانت البسّ عيناً مالحة . ولذلك معنًى مأنوس ، لكن أين هذا المعنى من المقصود التعبير عنهُ في الجملة المصحفة المحرّفة المقلوبة المبدّلة .

وورد في القاموس في مادة (ب ر ق ش) : « ابو بَرَاقش : طائر صغير برّي كالقنفذ » فلا جرم أن في قولهِ « كالقنفذ » خطأً ظاهراً . والصواب : « كالقُنْبُرَ » لأن القنفــذ ليس طائراً حتى يشبّه طائر بهِ . (وراجع مقالة طويلة في أبي براقش في المقتطف ٣٩ : ٤٨٨) .

وهــذا الفصْل حافل بالعجائب والغرائب والمعايب والشوائب . وكنا نودّ أن يتسع لنا الوقت والمقام ، لنذكر ما جاء منها في هذا الصدد .

فمن هذهِ المُذهشات ما جاء في القاموس في مادة (ع س د) . قال : « عَسَدَ يَعْسِدُ: سارَ» فانتقدهُ السيد الزبيدي بقولهِ: « هكذا في سائر النُسَخ . وهو تصحيف قبيح ، وقع فيهِ . وذلك أن ابن دُرَيْد قال في الجمهرة : والعَسْد أيضاً : البَيْرُ فصَحَّفهُ المصنف بالسَيْر . ثم اشتق منهُ فعلاً ، فقال : عَسَدَ يَعْسِدُ : اذا سار ولم أرَ لأحَدٍ من أئمة اللغة ذكر العَسْد بمعنى السَيْر، وانما هو البَيْر» اه .

قُلْنا : من عادة الشارح أن يجدأغلاطاً في القاموس ويجهد في هــذا السبيل ما استطاع . والذي عندنا أن عَسَدَ بمعنى سَار وأسْرَع لغة في عَسَلَ باللام في الآخِر . قال . في اللسان : « عَسَلَ الدليل بالمفازة : أسْرَع » : قلنا : وكل من الدليل والمفازة من باب التمثيل لا من باب التقييد والتخصيص . والدليل أنهم قالوا من هذه المادة : عَسَلَ الذئب والثعلب يعسِل عَسَــلاً وعَسَلاناً : مَضَى مُسرِعًا واضطرب في عدوهِ وهزّ رأسَهُ . قال :

واللهِ لولا وَجَــعٌ في العُرْقُوب ، لــكُنْت أبْقَى عَسَلاً مِنَ الذِيبْ

استعاره للانسان . وقال لبيد :

عَسَلاَنَ الذِئبِ أمْسَى قارِبًا ، بَرَدَ اللَيْلُ عليهِ فنَسلْ ...

وقَوْل سَاعِدَةَ بن جُؤَيّةَ :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكفِّ يَعْسِلُ مَتْنَهُ ، فيهِ ، كما عَسَلَ الطرِيقَ الثعْلَبُ

أراد عَسَلَ في الطريقِ ، فحَذَف وأَوْصَلَ : كقولهم : « دخلتُ البيتَ » اه وقالوا أيضاً من هـذه المادة : رَجُل عَسِلٌ ، شديد الضرب « مربع » رَجْع اليـدِ بالضرب . وقالوا : العَسَلُ والعَسَـلاَنُ الخبب . وفي حديث عُمَرَ : انه قال لعَمْرو بْنِ مَعْدِ يـكرِبَ : كَذَبَ عليك العَسَلَ ، أي عليك بسُرْعَةِ المَشْي ، هو من العَسَلان : مشي الذئب . الى آخر ما جآء في تلك المادة . وتبادل اللام والدال معروف في لغتنا ومنهُ المكود والمكول (أي المحبوس) ومعدهُ ومعلهُ (أي اختلسهُ) وتأبَّدَ وتأبَّلَ (أي قلَّ أربهُ في النسآء) والوغْدُ والوغلُ (أي النذل) والعَدَسُ والعلس .

والذي أخذهْ صاحب التاج على صَاحب القاموس ، يؤخذ عليهِ ، فقـد كتب في تركيب (ه ر ف) ما هذا نصُّهُ : « يَهْرِفُ ، كيَضْرِبُ: اسم سبع سُمِّي بهِ لكثرة صوْتهِ » اه . -أفتدرِي من أين أتى بهذا السَّبُع وكيف خلقهُ وأخرجَهُ الى أبناءِ الناطقين بالضاد ؟ - انهُ قرأ في المخصَّص لابن سِيده ما إليك نصابهُ : « يقال لِبَعض السباع هو يهْرِفُ بصَوْتهِ أي يتزيَّد فيهِ » اه . فالظاهر ان السيد الزبيدي وصل الى قراءة العبارة الى حدّ قولِهِ : هو يَهْرِف ، ووقف ولم يمض في وجههِ فكتب ما كتب ، ولو أتمَّ العبارة على ما جاءت لما سـقط في هذه الهاوِية السحيقة القعْر . فكأنَّ النسـخة التي كانت بيدهِ انقطعت عند الكلمة التي دونها ؟ - والعلم عند الله .

ومما جاء في هذا الباب ما نقلهْ ابن منظور في ديوانهِ في مادة (ع ر ا) ، قال : وفي حديث عُرْوَةَ بن مسعود قال : واللهِ ما كلمتُ مَسْعُود بْنَ عمرو منـذ عَشر سِنين ، والليلةَ أُكلِّمُهْ . فخرَجَ فناداهْ ، فقالَ مَنْ هذا ؟ - قال : عُرْوَة . فأقْبلَ مَسْعُود وهو يقول :

أَطَرَقَتْ عَرَاهِيَهْ ، أَمْ طَرَقَتْ بِدَاهِيَهْ

حكى ابن الأثير عن الخطابي ، قال : هذا حَرْفٌ مُشْـكِلٌ . - وقد كَتَبْتُ فيهِ الى الازهريّ ؛ وكانَ من جَوَابِهِ انهُ لم يجِدْهْ في كلام العرب . والصَوّاب عِنْدَهُ « عَتَاهِيَهْ » وهي الغفْلة والدَهش . أي أطَرَقَتْ غَفْلَة بلا رَوِيَّةٍ أو دَهَشَـا . - قال

الخطابيُّ : وقد لاح لي في هذا شيءٌ ، وهو : أنْ تكون الكلِمَةُ مركَّبَةً مِن اسمَيْنِ ظَاهِرٍ وَمَكْنِيٍّ . وَأَبْدَلَ فيهما حَرْفاً وأَصْلُهَا : إمَّا من « العَرَاءِ » ، وهو وَجْهُ الارض . وإمَّا من « العرَا » ، مقصورٌ وهو الناحيــة . كأنهُ قال : أَطَرَقْتَ عَرَائِي أي فِنَائي زائراً وضَيْفاً ، أَمْ أَصَابَتْكَ داهِيَةٌ ، فجئْتَ مُسْتَغِيثاً . فالهَاءُ الأولى من « عَرَاهِيَهْ » مُبْدَلَةٌ من الهمزةِ . والثانيةُ هاءُ السَّكْتِ ، زِيدت لِبَيانِ الحركة . وقال الزمخشريُّ : يحتمل أن يكون بالزاي ، مصــدرٌ من عَزِهَ يَعْزَهُ فهو عَزِهٌ : اذا لم يكن لهُ أَرَبٌ في الطَرَبِ . فيكون معناهُ : أَطَرَقْتَ بلا أَرَبٍ وحاجةٍ ، أم أصابتك داهيةٌ ، أَحوجتْك الى الاستغاثة » اه نقل ابن منظور .

قال الأب أَنَسْتَاسُ مَارِيّ الـكِرْمِلِيُّ : والذي عندنا أنــ أحسن هــذهِ التفاكير الثلاثة ما جاءَ بهِ الازهري ، وهو أعظم حُجَّةٍ في اللغة العربيــة ولا يدانيهِ أحدٌ مِمَّن سَبَقَهُ ، ولا ممَّن عاصرهُ ، ولا ممَّن جاء بعدهُ ؛ إلا أننا نقول : ان (عراهية) صحيحة بمعنى (عَتَاهية) وبمعنى الغفْلَة والدهَش على لغة من لُغَى العرب . فقد جاءعندهم من هذا القبيل : السُبْرُور والسُبْرُوت ، للأَرض القفر التى لا نبات فيها ، وعود مِتْيَخ وَمِرِّيخ أي طويل ليّن ، وَحُتِّش (على المجهول) وحُرِّش أي هُيِّج بالنشاط . واحْتَتَش واحْتَرَش . إلى آخر ما جاء من هذا القبيل من كلامهم .

١٩ً . المعرَّب او الدخيل فى العربية

مما لا يحتمل شكاً ولا ريباً وجود الدخيل أو الأعجمي في لسان عدنان . قال ابن فارس في كتابهِ (الصاحبي) ما هذا نصُّهُ بحروفهِ :

« زعم أهل العربية أن القرآن ليس فيهِ من كلام العرب شيء ، وأنهُ كلهُ عربي ، يتأوَّلون قولهُ ، جلَّ ثناؤه : إنَّا جعلناهُ قرآناً مبيناً » ، وقولهُ « بلسانٍ مبـين » . — قال أبو عُبَيْد : والصواب من ذلك عنـدي — والله أعلم — مذهبٌ فيهِ تصديق

القولين جميعاً . وذلك أن هذه الحروف ، وأصولها عجمية ، كما قال الفقهاء ؛ إلاّ أنها سقطت الى العرب ، فأعربتها بألسنتها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها ، فصارت عربية ؛ ثم نزل القرآن . وقد اختلطت هذهِ الحروف بكلام العرب ؛ فمن قال إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال ، عجمية ، فهو صادق » اه .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن جرير عن أبي ميسرة عمرو بن شُرَحْبِيل ، قال : «نزل القرآن بكل لسان . وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحّاك قال : نزل القرآن بكل لسان . وأخرج ابن المنذر في تفسيرهِ عن وهب بن مُنَبِّهٍ ، قال : ما من اللغة شيء إلا منها في القرآن شيء . قيل وما فيهِ من الرومية ؟ - قال : (فَصُرهُنَّ) يقول : قَطِّعهنَّ » اه المقصود من إيرادهِ .

على أن معرفة هذا المعرب وردهُ إلى أصلهِ قد يصعب أحياناً . ولا سيما إذا كانت اللفظة ثلاثية أو رباعية ، وأصولها تشبه أصول العربية . ووزنها يشبه الوزن العربي . أما إذا كان الوزن بعيداً عن المقاييس المُبينة ، ومعناها لا يتصل بمعنى الأصول المحكمة . فان الرائز لها قد يهتدي الى غرابتها . ولكنْ هناك بعض الاحيان رجال يُصِرّون على عربيتها .

مثال ذلك : ١ً (الأُطْرَبُون) فهذهِ الكلمة من اللاتينية TRIBUNUS وهو عند الرومان حاكم كان عندهم وبيدهِ أمر القَلِيرَة CELERES وهم ثلثمائة فارس رتّبَ أمرهم روملس ليكونوا حرساً لهُ ؛ ثم انتقل إلى معنى الحاكم الذي يدافع عن حقوق الأُمّة ويدرأ عنها كل ما يضرُ بمنافعها ، ثم ... ثم ... ثم ...

والكلمة لم يذكرها صاحب القاموس ، ولا كل من اغترف من مَعينهِ لكني وجدتها في التهذيب في مادة (ج ذ م ر) قال الازهري : « ما بقي من يدِ الاقطع عند رأسِ الزَّنْدَيْن : جذْمورٌ . يقال ضَرَبَهُ بِجُذْمُورِهِ أي بِقَطَعَتِهِ . قال عبد الله بن سَبْرَة يَرْثي يدَهُ :

فإنْ يكُنْ أُطْرَبُونُ الرومِ قطَّعَها ... فإنَّ فيها بحمدِ اللهِ مُنْتَفَعَا
بَنانتانِ وجذْمورٌ أُقيمُ بها ... صَدْرَ القَناةِ إذا ما صارخٌ فَزِعَا

قال : ويُرْوَى : « اذا ما آنسوا فزَعا . » انتهى

ووجدتها في لسان العرب في ترجمة (ا ط ر ب ن) . قال : « الاطربون ، من الروم ، الرئيس منهم . وقيل : المقدّم في الحرْب . قال عبد الله بن سَبْرَةَ الحَرَشِيّ : « فان يكن . . . (البيت) قال ابن جِنّي : هي خماسية ، كَعَضْرُفوط » اه .

وكنتُ قد قرأت في أحد كتب الادب – والآن لا أتذكر اسم الكتاب ولا الموطن الذي ورد فيهِ – أن الأَطْرَبُون : رئيس الروم . وسمي كذلك لأن رؤساءهم كثيرو الطرب . ومن الغريب أن ينطق أديب بهذا التعليل : فهل كان الرومان يحسنون العربية حتى يشتقوا هذا الاسم من العدنانية ؟ ، أم هل العرب هم الذين وضعوا هذا الاسم على كبير جند الروم ، وهؤلاء اقتبسوه منهم ؟ أم هناك تعليل آخر لم نقف على سِرّهِ ؟ ذلك ما كنت قد قرأتهُ وأنا شاب ولم أُقيّد اسم الاديب ولا اسم كتابهِ . وعلى كلٍّ فان قول ابن جِنّي ان اللفظَ خماسي وانهُ كَعَضْرفوط ، يُشْعِر بأنهُ يقول بعربيتّهِ ، وهو بعيد لا يُصَدَّق .

ومهما يكن من أمرٍ ، فان هذهِ الكلمة وردت في كتب الاخبار والتواريخ العربية ، لكن مصحّفة بصورة (أرْطَبُون) بتقديم الرآء على الطآء ، وقالوا انهُ علم رجُلٍ ، كان يدافع عن (أَجْنَادِين) في أيام فتح عمرِو بن العاص لها. فتأمل (وراجع المقتطف ٩٢ : ١٩٥ وما يليها) فالوهم ظاهر والتصحيف بادٍ ، لكل حاضرٍ وبادٍ .

وقد ذهب بعضهم الى إرجاع بعض الكلم الدخيلة الى العربية إرجاعاً يكاد يصرعك ضحْكاً للتعليل الذي يأتونك بهِ . قال المجْد في معجمهِ في مادة (ل و ب) ، ما هذا قوَامهُ تفسيراً (للأسطرلاب) وهي الكلمة الثانية في هذا البحثِ .

« واللاب : . . . رجل سَطَرَ أسْطُراً ، وبنى عليها حساباً ، فقيل أَسْطُرُلاَب ؛ ثم مُزِجَا ، ونُزِعَت الاضافة ، فقيل : الأَسْطُرْلاَبُ مُعَرَّفَةَ ، والأَصْطُرْلاَبُ ، لتقدُّم السين على الطآء » انتهى .

وهذا الكلام لم يقنع الزبيديّ . فنقل هذهِ العبارة ببعض زيادة ثم قال : «هكذا نقلهُ الصاغاني . قال شيخنا : ثم ظاهِرهُ أنهُ من الالفاظ العربية ، وصرّح في نهاية

الأوب ، بأن جميع الآلات التي يُعرَف بها الوقت سوَاء كانت حسابية ، أو مائيــة ، كلها ألفاظها غير عربية ؛ انما تكلم بها الناس ، فولَّدُوها على كلام العرب ، والعرَبُ لا تعرفها برُمَّتها . وانما جرى على ما اختاروهُ من أنها رُكِّبَت ، فصارت كلمة واحدةً عندهم . فكان الأولى ذكرها في الهمزة ، أو في الســين ، أو في الصاد ؛ ولا يكاد يهتدي أحدٌ الى ذكرها في هذا الفصل ، كما هو ظاهر . وأكثر من ذكرها ممَّن تعرَّض لها في لغات المولَّدين ، أوجعلها من المعرَّب ، ذكرها في الهمزة» . انتهى كلامهُ .

قلنا : أسطرلاب كلمة يونانية اللغة والتركيب من (استرون ASTRON) أي نجم ولمبانين LAMBANEIN أي أخذ وهي آلة يقاس بهــا موقع النجوم وارتفاعها فوق الأفق . واسمها بالفرنسية ASTROLABE كما في العربية .

وادعاء بعض اللغويين بعربية بعض الألفاظ الأعجمية هو في منتهى الغرابة . وقد جمعنا من هذا القبيل شيئاً كثيراً حاول فيهِ اللغويون ، على اختلاف طبقاتهم ، تأويل الكلمة الدخيلة بما يوجهها توجيهاً حسناً في العربية الفُصحى . ونحن نذكر ثلاث كلمات أخر ليقف القارىء على تحذلق بعضهم في اشتقاق تلك الألفاظ من الاصول العربية . من ذلك :

٣ً (الإسفَنْط) . قال المجد : الإسْفِنْط بالكسر ، وتفتح الفاء : المطيب من عصير العنَب ، أو ضربٌ من الأشربة ، أو أعلى الخمر . سُمِّيَت ، لأن الدِنَانَ تَسفَّطتها ، أي تشرَّبت أكثرها ، أو من السفيط ، الطيّب النفس . – قال الزبيدي : وهو يلمح لقول أبي عبيدة ، أو من السفيط الطيب النفس ، لأنهم يقولون : ما أسفط نفسهُ عنك ، أي ما أطيبها . وهذا قول ابن الاعرابي . فهو عنــدهُ عربي والقول : ما قالهُ الاصمعي من أنهُ رومِيّ . والكلمة إذا لم تكن عربية ، جعلت حروفها كلها أصلاً . . . »

قلنا : ولا جرم أن الكلمه روميــة وهي من ABSINTHIUM أي الخمرة المطيبة بالعنْد وهو ضرب من الشّيح ، وقد وردت في بعض كتابات الملك دِيُوقْلِطِيَانُس . وصحفت الكلمة بصُوَرٍ مختلفة منها : الإصْفَنْط (بالصاد) ، والإصْفَمِند ، والإصْفِعيد والإصْفد ، والإصنفَنْد الى غيرها .

٤ً (الخَنْدَرِيس) :« الخمر . مشتق من الخدرمة ، ولم تفسَّر، أو رومية مُعَرَّبة . « حنطة خندريس قديمــة . » (القاموس) وذكرها بَعْدَ خنس أي في خدرس . — قال الشارح : «ونقل شيخنا عن ابن حيَّان ان أصلهُ فنعليس ، فأصولهُ اذاً « خدر». فالصواب ذكرهُ في الراء ، لأن الخمر مخدِّر . وعليهِ المطرّزي . وقيل : من الخرس ، وتعقّبوهُ لأن الدال (١) لا تُزاد . والصحيح أنهُ فَعْلَليــل ، كما قالهُ سيبويهِ . وعليهِ فوضع ذِكْرِهِ قبل خنس » انتهى .

قلتُ (أي الشارح) : وأوردهُ صاحب اللسان بعد خنس وتبعهُ غير واحدٍ . أو رومية معربة . وقال ابن دُرَيْد : أحسبهُ معرَّباً . سُمِّيت بذلك لقـدمها . قلتُ : ويجوز أن تكون فارسية معرَّبة ، وأصْلها : خنده ريش ، ومعنـاه : ضاحك الذقن . فمن استعمله يضحك على ذقنهِ . فتأمل . اه كلام الشارح بحروفهِ

قلنا : ان الكلمة هي بالرومية واليونانية على السَوآء فهي بالرومية CANTHARITES VINUM وباليونانية Κανθαρίτης οἶνος وهي خمرة كريمة كان يؤتى بها إلى ديار الغرب من بلاد ورآء بحر الروم ، من عِنب كان اسمُهُ kanthareōs

وأما الحنطة المسماة بالخَنْدَرِيس فهي من اليونانية KANTHARIS وهو ضرب من السوس الذي يقع في الحنطة ، اذا مضى عليها زمن طويل ؛ وهو ضرب من الخنافس صغير اسمهُ بالعربية « الجُنْدُع » فيكون معنى الخندريس الحنطة القديمة ، تلك الحنطة التي هجم عليها الجُنْدُع أو السوس . ولا تكون كذلك إلا إذا قدم عهدها . فكلمة KANTHAR والجُنْدُع ، شيءٌ واحد لا غير . واليونان لا يعرفون أصل الاسم لهـذه الحشرة . وأمّا العربية فانها مُشتقة من « الجَدْع » وهو القطع ، لأنّها تتعرض لقرض القطانيّ والحنطة والكَرْمَة وغيرها ، وهي بالفرنسية charançon على انّ الجَنَادِع

(١) هذا راى فريق جليل من اللغويين ان الدال لاتزاد لانها ليست من احرف الزيادة العشرة . لـكن البصراء من الجماعة المخالفة تذهب الى ان الدال من مخرج يقارب مخرج التاء ، ولما كان هذا الحرف من احرف الزيادة ، جاز ان تزاد الدال لهذه العلة . فقد قال ابو الهيثم : « الرِخْوَد : الرِخْوُ ، زيدت فيه دال وشدِّدتْ ، مكسوعًا بها ، كما يقال . قَعْدَم [اي ممتلىء ، للساعد والاباء] وقَمْعَل » (راجع (رخد) في لسان العرب والتاج في (ددد) والقاموس في (فعم)

في العربيَّة جاءت بمعانٍ أُخر، وهي كل ما أشْبَهَ تلك الجنادب بظاهرها. وهو من باب التوسع وأمثاله كثيرة وهي مِمّا يدفع المحقّق إلى أن لا يحصر معاني الكلمة الواحدة بمعنى واحدٍ كما يَفْعَلُهُ بعضهم.

٥ً ومن الألفاظ الاعجمية التي اشتق لها العرب أصلاً عربيًا أو أصلاً أعجميًا وهميًا (المنجنيق) قال الفيروزابادي في (ج ن ق): «والمَنْجَنِيق، ويكسر الميم، آلة تُرمى بها الحجارة كالمنجنوق. معربة. وقد تذكر. فارسيتها: «مَنْ چِهْ نِيكْ» أي: أنا ما أجْوَدَنِي! وجمعها مَنْجَنِيقات ومَجَانِق ومَجَانِيق» – وزاد التاج بعد مَجَانِق: وقال سيبويه: هي فَنْعَلِيل. الميم من نفس الكلمة، لقولهم: في الجمع مَجَانيق، وفي التصغير مُجَيْنِيق، ولأنها لو كانت زائدة لاجتمعت زائدتان في أول الاسم، وهذا لا يكون في الاسماء ولا الصفاتِ التي ليست على الافعال المزيدة؛ ولو جُعلت النون من نفس الحَرْف، صار الاسم رباعيًا، والزيادات لا تلحق بنات الأربعة أولا، إلا الأسماءَ الجارية على أفعالها، نحو مُدَحْرِج. وقد جَنَّقوا تجنيقًا: اذا رموا بأحجار المنجنيق. وقال الليث: مَجْنَقُوا مَنْجَنيقًا، عند من جعل الميم أصلية. قال: وقد يجوز أن تكون زائدة، لأن العرب ربما تركوا هذه الميم في كلمة سوى ذلك، كقولهم لِلْمِسْكين: قد تمسكن. وانما المِسْكين على قَدْر مِفْعِيل، كالمِنْطِيق والمِخْضِير، ونحو ذلك. قال شيخُنا: وقد اختلفوا في وزن هذا اللفظ على أقوال للفرَّاء والمازني وأبي عبيد والتَّوَّزِيّ، وهل الميم هي الاصلية، أو النون، أو غير ذلك، واستدلّوا بجَنَّقونا وبعدم زيادة الميم في مثله، وفي غير ذلك، ممَّا لا طائل تحتهُ. والصَوَاب عندي (أي عند الشارح) أنّ حروفهُ كلَّها أصلية، لانهُ عَجَمِيّ، لا سبيل فيهِ إلى دَعْوى الاشتقاق. ولا مُرَجِّح ادّعاء زيادة بعض الحروف دون بعضٍ، ولا داعي لذلك. فالصواب إذن أن يذكر في فصل الميم، كما هو ظاهر. والله أعلم» انتهى بما فيهِ. وراجع لسان العرب أيضًا في مادة (جنق) ولا سيما (مجنق) فان الشارح نقل أغلب كلامه من المصدر المذكور.

ورأينا في المنجنيق انهُ معرب ، لكن من اليونانية لا من الفارسية كما قال بعضهم، فأحْرُفُهُ كلها أصول ، كما هو معروف عند جمهور أرباب اللغة . والكلمة اليونانية التي أخذت منهـا العربية هي MAGGANOU وهي كلمة في حالة الإضافة للكلمة المرفوعة MAGGANON وانما قلنا إنها من الأولى لأنهم قالوا فيهِ أيضاً (مَنْجَنُوق) وما المنجنيق إلا لغة في الأولى .وفيهِ لغات أُخَرُ منها : مَنْجَلِيق . وبالفرنسية MANGANNEAUوقد ذكر هذه الآلة عند اليونان استراطون اللمْسَاكِيّ STRATON DE LAMPSAQUE وكان من علماء اليونان وتُوُفي في سنة ٢٦٩ قبل الميلاد .

ولا نريد أن نجري في هذا البحث أكثر من هذا ، فان الموضوع واسع المَدَى لا تَحْصرهُ صفحات بل مئات مِن الصفحات ، لمن أراد الامعـان فيهِ ، فاجتزأنا بما ذكرنا .

٢٠ . تصحيفات وتحريفات وتشويهات المعربات

اجتمعت عدة علل على تصحيف الكلمة العجمية ومسخها مسخاً شنيعاً وتشويهها تشويهاً غريباً ، عند نقلها الى لغة الضاد المبينة ، ودونك بعض هذه العلل :

﴿ الاولى ﴾ : وجود أحرف غَرْبِيَّة ، يافثية غير مألوفة في كلام ابنـاء يعرب . وقلت غير مألوفة ولم أقل غير معروفة ، لأنّي أذهب إلى أن تلك الاحرف الأعجمية كانت معروفة عند العرب في سابق العهد عند اختلاط الأمم والقبائل بعضها ببعض في أول نشوءها ، وبامتزاج العناصر بعضها ببعض ، وبدليل ان سيبويهِ ذكر هذه الاحرف في كتابهِ . على اننـا نقول ان اغلب تلك الاحرف زالت واضمحلّت من الاستعمال ، استغناءً بالسهل الممتنع منها عن الصعب القبيح على السمع ، فلم يبق منها إلا القليل عند بعض القبائل وفي طائفة من المدن .

﴿ الثانية ﴾ : لما قلّ استعمال تلك الاحرف ، بل لما ماتت في كلام كثيرين من أهل الفصاحة ، لم يتمكن جمهور من ابناء الفُصْحى من أن ينطقوا بها عنـد اختلاطهم اختلاطاً جديداً بأهل الحضارة الغريبـة من الأعاجم ، ولا سيّما بعد اعتزالهم في الشرق مدةً طويلة ، فنشأت في لغاتهم أحرف جديدة ، فلم يتمكن السلف من التلفظ بكثير من تلك الكلم ، فصحفوها تصحيفاً ، يختلف باختلاف سامعيها ، ولذا لم يُجْرَ فيها على سَنَنٍ واحدٍ لاحب ، ولا على وجهٍ قياسيٍّ مطرد .

﴿ الثالثة ﴾ : ان كثيراً من تلك الكلم ، لما صُوِّرت بحروف عربيـة ، اختلطت قراءتها على الجاهلين بِنُطقها وحقيقتها ومعناها وصحة التلفظ بها ، فاضطروا الى أن يتوهموا فيهـا ما أرادوا وعلى ما يوحي اليهم وهمهم أو خاطرهم أو علمهم ، فجاءت بعيدة عن أصولها الأول ، ووضعوا لها تفاسير غريبة ظاهرة التكلف كل الظهور .

﴿ الرابعة ﴾ : ان رسم الحروف العربية زاد الطين بلة ، إذ كثيراً ما تتشـابه بينها ، ولا سيا ان هناك من يهمِل اعجامها أو تنقيطها ، إما جهلاً للفظة أو غرابة صيغتها واما لانهُ لم يجدها بصورة قد الفها أو أنِس إليها ، في حين ان تنقيطهـا أمر ضروري لا غنى عنهُ . فكان ثَمَّ القضاءَ المبرم على صحة لفظ تلك الكلمة ، وحاقّ التصحيف الماسخ لها . فنشأ عندنا كَلِمٌ لا هي عربية ، ولا هي غريبةٌ ، بل هي من لغة لا يعرفها لانسٍ ولا الجنّ ، ولم يتمكن أحد من علمآء الضاد وغير الضـاد من معرفة الأصول التي نُقِلت عنها ، وبقيت من الالفاظ المطلسمة ، وسوف تبقى كذلك إلى ما شاء الله .

﴿ الخامسة ﴾ : ان كثيراً من الالفاظ العربية الغريبة المدونة مات ناقلوها ولم يشرحوها فبقيت مجهولة ، لا يعرف من معناها أو من معانيها شيء البتة .

هذا ولا يسعنا هنا أن نوفي هذا البحث حقَّهُ ، في مثل هذه الرسالة الوضيعـة ، إذ يتطلّب وضع مجلّد ضخم للقيام بهِ ، إن حاوَلْنَا التبسُّط فيهِ تبسُّطاً يشفي الغليل . لذا نكتفي بهذه لإشارة العامة وبعض لامثـلة للوفآءِ ببعض ما توخَّيْنَاهُ في هذا الموضوع . فمن ذلك :

٦ . ﴿ اقليدس ﴾ : قال صاحب نثار الازهار (وهو الشيخ الامام ابو الفضل جمال الدين صاحب لسان العرب في ص ١٠٢ من طبعة الجوائب في الاستانة : « واقليدس وهو اسمها (أي الشمس) باليونانية وقد تكلموا بهِ (أي العرب) »

قلنا : ان المعروف والمشهور على الألسنة ان إقْلِيدِس (أو أُوْقْلِيدِس على ما يكتبها و يضبطها المجد في قاموسهِ إذ يقول) ، بالضمّ وزيادةِ واوٍ : اسم رجُل وَضَعَ كتاباً في هذا العِلم المعروف . وقول ابن عَبَّادٍ : إقْلِيدِسُ : اسم كتاب غَلَطٌ » اه .

قلنا : ولم يعين الفيروزابادي العلم الذي يشير اليهِ ، انما الشارح قال : أي الهيئة والهندسة والحساب » اه

فكم من غلطٍ في كلة واحدة أو قل في كلتين اثنتين لا غير ! – وأول كل شيء ان الكلمة اليونانية الأولى التي يقول عليها ابن مكرم إنها تعني الشمس هي غير معروفة في لغة بني يونان . فمن أين أتى بها ؟ – إننا ما كنّا لنهتدي اليها ، لو لم يصرّح لنا بمعناها أي الشمس . فالشمس بلغة الهلنيين : (إيلِيوس أو هِلْيُوس أي Ἥλιος HELIOS) فأين هذهِ من تلك ؟ ان الفرق لعظيم ! . وهل يتمكن اليونانيون أن يفهموا معنى (اقليدس) وانهُ النيّر الاعظم ؟ فهذا من حاقّ التصحيف الذي ينبهُ لدى تحقيقهِ طالب الصحّة وناشدها ، مع ان الناطق بهِ من أعْظم اللغويين قَدْراً ومنزلةً ! زد على ذلك انهُ لم يذكر اللفظة في معجمهِ الضخم ولا غيرهُ من أرباب المعاجم . فأين يطلبها الباحث ، والإمام يقول : « وقد تكلموا بهِ » ؟

لنأْتِ الآن الى أُوْقْلِيدِس أو إقْلِيدِس الثانية . وأول كل شيء ان اقليدس اسم مُهَنْدِسٍ يوناني طوى أيامهُ بين سنة ٣٠٦ و ٢٨٣ قبل المسيح وكان يعلم في الاسكندرية في عهد بطليموس الأول وهو الذي وضع كتابهُ في الهندسة وسمّاهُ (الاصول) فقول الشارح انهُ في الهيئة والهندسة والحساب صحيح من بعض الأوجه

لا من جميعها أي انهُ صحيح إذا أدخلنا في الهيئة بعض أصول الهندســة لقياس أبعاد الكواكب أو ما أشبه هذا الامر ، وإلا فالكتاب في الهندسة لَيْس إلاّ .

٢ . ﴿ النِطاسِيّ ﴾ : قال في لسان العرب في ترجمة (نطس) ما هذا نصُّــهُ بحروفهِ : « رجل نَطْس ونَطُسٌ ونَطِيس ونِطاسِيّ : عالم بالامور حاذق بالطبّ وغيرِهِ . وهو بالرومية النِسْطاس يُقَال : ما انطَسَهُ ! » اه وذكر تتمة هذه المــادة في سبعة عشر سطراً من سطور لسان العرب ، ونحن لا نريد أن نسردها كلها وفيها من الشعر القديم والحديث النبوي ما يَحْسُنُ أن يطلع عليهِ بحذافيرهِ . وجميع ما في هذه المادة منقول عن التهذيب لأبي منصور وابن منظور لم يُشرِ اليهِ بكلمــة . فاذا كان ابو منصور – وهو أوقف الناس على صميم كلام العرب – يقول ان الكلمة روميــة ومنها تشتق مشتقات عديدة فيجب أن يكون كذلك ، وهو لا ينطق عن جهل ولا عن هَوًى ، ولا سيا لا عن حُبّ لِلغة الروم فما عسى أن تكون الكلمة الاصلية ؟

قلنا : إنها نُطُس الرومية أي NOTUS ، فاختلف القرآء في النطق بها لأن هناك من يجعل الحرف o الغربي الفاً ، ومنهم ضمّاً ، ومنهم كسراً ، وهم يَجْرُون على هذا الاختلاف إلى عهدنا هذا . فانك تجــد من يقرأ BUFFON و BOSSUET : بوفون ، ومنهم بيفون ، ومنهم بافون ؛ وكذلك في الثاني ، فانك ترى من يَرْويها : بوسويه وبيسويِه وباسيوُه .

ومعنى (نُطُس) الروميَّة : العالِم ، والعــارف ، والواقف على حقائق الامور ، والمطلع عليها ، الى معانٍ أُخَر ترَاها مدوَّنة في أسفارهم اللغوية .

٣ . ﴿ المَامُوسَة ﴾ : وجاء في ديوان ابن مكرم في مادة (م م س) :مَامُوسَة: من أسماء النار . قال ابن أحْمرَ :

تطَايحَ الطَلُّ عَنْ أرْدَانِها صُعُداً ، كما تَطَايحَ عَن مَامُوسَــةَ الشَرَرُ

قيل : أراد بِماموسة : النار . وقيل : هي النار بالرومية . وجعلهــا معرفةً غير

منصرفةٍ . ورواهُ بعضهم : « عن مانوسة الشَّرَرُ » . وقال ابن الاعرابي : المانوسة : النار » ا ه .

وهذه المـادة من أول كلمةٍ فيها إلى آخر ما فيها ، مأخوذة حرفاً بحرف من التهذيب لأبي منصور . وهل رأيت فيها كلمة يصرح بها انّها منقولة عن التهذيب ؟ — كلا . لكنك اذا أخذت التهـذيب بيدٍ واحدة واللسان بيدٍ ثانيـة وقابلتَ بين النصَّين ، اتضح لك صدق كلامنا .

اذن يقول لنا الازهريّ : ان (ماموسة) أو (مانوسة) بمعنى النار مأخوذة من الرومية فما عَسَى أن تكون الرومية المباركة التي تمنّ علينا دائماً بفكّ الطلاسم وحلّ الالغـاز . ؟ فللمستشر الفيروزابادي قبل أن نلتمس لها روميتهـا . قال المجد في (م م س) : الماموسة : الحمقاء الخرقاء ، والنار ، وموضعها ، كالماموس فيهما . »

وقال في (ا ن س) الانيسـة بهاء : النار كالمانوسـة » ا ه فاجتمع عندنا ثلاثة الفاظ بمعنى واحدٍ وهي : الانيسة ، والمانوسة ، والماموسة ، فأيّ منهن الأصل ؟ — قلنا : تلكم التي تتصف بأقل الاحرف أي : انيسة ، فتكون روميتها IGNIS التي اذا نطقنا بها على الطريقة الرومية تقول : « إِنِيس » ، ثم كسمت بالهآء لكي لا تختلط بالانيس ، فعيل من الانس ، فقيل « انيسة » ولما كانت انيسة هنا بمعنى يؤنس اليهـا أي بمعنى مفعولة قالوا « مانوسـة » ثم قيل : « ماموسة » على لغة من يجعـل الميم نوناً بعض الاحيان . فقيل : ماموسة .

وأمثال هذا الابدال لا تحصى كقولهم : الغَيْم والغين للسحاب ، وطانه الله على الخير وطامه ، والخَنْجرير والخمْجرير للمآء المرّ الثقيل ، وقيل : هو المِلْح جداً . وقالوا : القَعَمُ والقَعَنُ . قال الأزهري : والعرب تعاقب الميم والنون في حروف كثيرةٍ لقُرْب مخرَجَيْهما » (راجع التهذيب واللسان وتاج العروس في مادة قعم وقعن)

إذن : أصاب الازهريّ في قولهِ : ان الماموسة ، والمأنوسة ، والانيسة من الروميّة .

بقي هناك ان الماموسة تعني الحمقاء الخرقاء فهذا المعنى مأخوذ من المجاز ، من معنى تلك النار التي تضطرم بسرعة ، ثم تخبو فجأةً ، كنار الزَخفتَيْن التي يسمّيها الفرنسيون FEU DE PAILLE أي نار التِّبن لما ذكرناه . وقد استعمل الرومان النار في المرأة للدلالة على سرعة حمقها وغضبها وتأجّجهِ . فقد قال ڤرجيل : CAECO CARPITUR IGNI كانت النار تأكلها أكلاً باطشةً بها .

٣٤ . ﴿ نسطاس ﴾ : قال في القاموس في (ن س ط س) : نِسْطَاس ، بالكسر ، عَلَم . وبالروميّة : العالِم بالطِبّ . وعُبَيْد بن نِسْطاس البكّائي مُحدّث » اه

وفي لسان العرب : « في حديث قس : كحَذْوِ النِسْطَاس . قيل : إنهُ ريش السهم . ولا تُعْرف حقيقتهُ . وفي روايةٍ : كحَذِ النِسْطَاس . » اه . – وفي النهاية لابن الاثير في نسختنا الخطية ، وهي نسخة مجوّدة ، قديمة ، ثمينة ، صحيحة الرواية : كحَذْوِ النِسْطاس » بدال مهملة . فأين المعنى الصحيح ، وأين الرواية المعتمدة ؟

قلنا : ان الفيروزابادي ، حين قال : « عَلَم » فهو يريد عَلماً فاشياً بين النصارى وبين بعض مَنْ أسلم منهم في النأْأة ، أي أسْطَاس ، أو كما نقول نحن عَ.أَ«أنستاس» وهو من اليونانية Ἀναστάσιος (أي البعيث) ، وأما بمعنى العالم بالطب فانهُ تصحيف نطاس أو نطاسيّ وقد قلنا انها من الرومية NOTUS وينعت بها الطبيب العارف لطبهِ أو العلم . – وأما ماجاء في حديث قُسّ ، فان الرواية التي ذكرها ابن الاثير بالدال المهملة هي الرواية الفصيحة الصحيحة وان كانت النهاية المطبوعة تذكر : « كحذو النسْطاس » بالذال المعجمة . وما اختلاف العلماء في تفسير اللفظة إلا لعُجمتها ، إذ هي من اليونانية نُسْطاس (ostros) ὤστέος أي حادٍ بمعنى سائق . فيكون معنى الحديث كحَذْوِ الحادي . فتميزت الرواية الصحيحة من الروايه المغلوط

فيها ، وانجلى المعنى ، بعد أن كان مُشكلاً غامضاً ، وعُرِفَ أنَّ هناك تصحيفاً وقع في الكلمة أي ان الهمزة جُعلت نوناً على لُغَة بعضهم ، لغة ، اولئك الذين يقلبون الهمزة نوناً او بالعكس وذلك في أي موقع وقعت ، في الصدر ، أم القلب ، أم العجز . فقد قالوا : أَبَّهَهُ ونَبَّهَهُ ، والزِئْجيل والزِنجيل ، والظَرِباء والظَرِبَانَ ، الى غيرها . وقد اجتزأنا بما ذكرنا ، وإلا فثَمَّ متَّسع لا يخفى على اللغوي .

ومعرفة الاصل الاعجميّ الذي نُقِلت عنهُ كلمتنا المعربة فوائد لا تقدر ولا سيما في أوضاع العلوم . وقد تكون تلك الكلمة منقولة عن عدة مفردات غريبة ، وهي في العربية كلة واحدة ونحن نضرب لك مثلاً واحداً من هذا القبيل ، وهناك أمثال منها لا تُعَدُّ ولا تحدّ .

٥َ . ﴿ الفَاق ﴾ : في القاموس في (ف و ق) : « الفـاق : الجَفْنَةَ المملوءة طعاماً ، والزَيْت المَطْبوخ ، والصَحْراء ، وارض ، والطويل المضطرب الخَلْق كالفُوْق والفُوْقَة بضمهما والفِيْق ، بالكسر ، والفُوَاق والفُيَاق بضمهما ، وطـائر مائيّ طويل العُنُق » .

وفي ديوان ابي الفضل جمال الدين الخزْرَجيّ في نحو آخر مادة (ف و ق) ما هذا نقلهُ : « الفاق : البـان ، وقيل : الزيت المطْبوخ . قال الشماخ يصف شَعَرَ امرأةٍ :

قامتْ تُرِيكَ أثيث النَبْتِ مُنْسدلاً ، مِثل الاسَاوِدِ قدْ مُسِّحْن بالفاقِ

وقال بعضهم : أراد « الانفاق » وهو الغَضّ من الزيت (كذا) ورواهُ ابو عمرو : « قدْ شُدِّخْنَ بالفاقِ » : وقال : الفاق : الصَحْراء . وقال : هي الارض الواسعة . والفاق أيضاً : المُشْط ، عن ثعلب . و بيت الشماخ محتمل لذلك . التهذيب : الفاقُ : الجفنة المملوءة طعاماً . وأنشد : ترى الأَضْيَافَ يَنْتَجِعُون فاقي » انتهى .

قلنا : الفاق التي بمعنى الجفنة المملوءة تنظر الى اللاتينية FASCIS ومعناها : ما ضم من الأشياء بعضها الى بعض . والجفنة المملوءة تكون على هذه الصفة ؛ او تنظر الى اليونانية (πακτὸς) PAKTOS أي المرصوصُ رصاً من كلّ ما ملىء أو نُضِّد .

والفاق بمعنى الزيت المطبوخ هو غير صحيح كل الصحة ، وانما الصحيح ما جاء في كلام الخزرجي انهُ الانفاق ؛ فحذف الهجاء الاول للضرورة الشعرية ومعناه الغض من الزيتون (لا من الزيتِ كما جاء في الطبع خطأ) والمراد من قولهِ الغضّ من الزيتون ، هو الزيتون الفجّ أي غير الناضج وهو ينظر الى اليونانية ὀμφάκιον أي الزيتون الغضّ مبنى ومعنىً بعد حذف الكاسعة .

والفاق بمعنى الصحراء الى اليونانية ἡ πακτύη, ης PAKTUÈ وهي اسم أرضٍ أهمل أهلها زراعتها ، فأمحلت ، فقفرت ، وكانت في خرسونيسة ثراقية ، فاطلق ذلك الاسم على كل صحراء من باب تنكير العلم ، وبقي العلم على الارض نفسها .

والفاق بمعنى الطويل، وكذلك الفُوق ، والفُوقة ، والفِيق ، والفُوَاق ، والفيـاق ، أصلها كلهـا القِيق ، بقافين تتوسطهما ياء مثنَّاة تحتيَّة وهي تنظر الى اليونانيـة قِيق بالمعنى الذي ذكره أهل اللغة ولعلَّ Γίγας, αντος (ὁ) GIG,GIGANTOS يُعترض ان الكلمة باليونانية تكتب γ والعربية بقافٍ . قلنا : وما اكثر ما جاء هذان الحَرْفان متعاقبين في العربيـة نفسها فقد قالوا : جذف وقذف ، جدّ وقدّ ، سَجَع وسقع . جضم وقضم . رتج ورتق الى ما لا نهـاية لهُ وقالوا في السجِلاَّط : السِقِلاَّط والكريج : الكرِيق . والفالوذج : الفالوذق . وقالوا القبطي وهم يريدون اليونانية Αἰγύπτιος, α, ον او اللاتينية AEGYPTOUS الى عشرات بل مئات مثلها .

وأما الفاق بمعنى طائر مائي فهو لغةٌ في القاق أو القوق وهو ينظر الى اليونانيـة : κύκνος وبالروميـة CYCNUS وابن مكرم لم يذكرهُ في (ف و ق) بل في (ق و ق) قال : « القاق : طائر مائي طويل العنق . والقُوق : طائر من طـير الماء طويل العنق قليل نَحْض الجسم . وأنشد : كأنك من بنات الماء قُوقُ . والقوق : طائر لم يُحَلّ . أبو عُبَيْدَة : فرس قُوق والانثى قُوقة للطويل القوائم . وان شئتَ ، قلت قاق وقاقة » اه . فانظر كيف ان اللفظة الواحدة تتنقَّل بصور مختلفة لتقارب صوَر الاحرف ولأصل واحد .

وأما قول ابن منظور: إن الفاق هو البان فهو مبنيّ على ان المراد بالبان : دهن البان وهو شبيه بدهن الزيتون الغضّ ، أي شبيه بالفاق الذي هو الانفاق فسمّى الواحد بالآخر من باب المشابهة وهو كثير في لغتنا .

وذكر ابن مكرم للفاق معنى لم يذكرهُ من اللغويين إلا أبو منصور في تهذيبه . فقد قال : والفاق أيضاً المُشْط من خشب ، فحذف ابن مكرم « من خشب » وأبقى « المشط » فقط . ولم يحسن عملاً ، لأن الفاق للمشط من الخشب مقطوعة من قول اليونان « فاق [سنس] كتيس (PUXINOS KTEIS) πύξινος Κτείς أي مُشْط من خشب البَقْس . والأمشاط كثيراً ما تتخذ من هـذا الخشب الصُلْب المنيع الى يومنا في الديارالتي تستعمل فيها أمشاط الخشب ، كالعراق، وايران ، وجزيرة العرب .

فهل رأيت كيف أن الكلمة الواحدة العربية تنظر الى عدة مفردات في لغات الاجانب ، وكيف ان هذه اللُغَى توضح لنا معناها ، على ما وضعت عليهـا في أول خَلْقها ، وكيف أن معارضة العربيّة بسائر اللغات ، تفيدنا فائدة لا يُستغنَى عنها ؛ فهي تُعيننا لا محالة على الاهتـدآء الى مُؤدَّيَاتها بلا عناء ولا كُلْفة ، بل تحتاج الى سعيٍ مُتَوَاصل لكي لا يفوتنا شيء البتَّة . وهذا الذي نريدهُ من لغويّينا في هـذا العصر ، لأن بغير هذهِ المعارضة والمقابلة ، نبقى مقيّدِي الأيدي والأرْجُل بلا أدنى تقدم في سبيل هذهِ اللغة المنيفة الشريفـة ، ولا ننتفع بِمّا يُعنى بهِ فقهآء الافرنج في لسانهم ، إذ نراهم يعارضون مفرداتهم بجميع الألسنة التي تشبهها عن بعد أو عن قُرْب .

فالسلف اتصلوا بأُمم مختلفة وبألسنة شتّى وأهم هذه اللغات العبرية والأرمية والفارسية واليونانية واللاتينيّة (أو الرومية) فلا بد للغوي العربي أن يُلِمَّ بهذهِ اللُغَى إلماماً مجلاً ليتمكن من الجري في سبيل تحقيق أمنيتهِ ، و إلا فلا علم ، ولا تقدّم ، ولا ولا ولا .

وقد أظفرتنا هذه المعارضة الثمينة بمعرفة معاني الفاظٍ كثيرة كانت مشكلة ومبهمة، و بعدها أصبحت لنا أوضح من الشمس في رائعة النهـار وزال عن الفكر كل شُبْهة

ومعضلة ، فعرفنا بها حقيقة كثير من الحيوان ، والنبات ، والمعدن ، بل كثير من شؤون هذه الحياة وما يتصل بحاجها من الأدوات والماعون . وقد امتدّ النفَس في هذا البحث الجليل لمنزلتهِ في اللغة ، ولاهمال أهل البحث لهُ مع ما هو عليهِ من الخُطُورَة والرفعة والبال .

٢١ . تناظر العربية واليونانية

أجمع البُصَرَآء والحُذَّاق في اللغى المختلفة ، وعلى رأسهم المستشرقون أن لا صلة البتة بين الألسنة السامية والألسنة اليافثية ، ولا سيما لغة قحطان ، فأنها أبعد اللغى عن الهندية الفصحى (أي السنسكريتية) عن كل لغة غربية .

أما نحن فنخالف الجميع على الاطلاق ، وقد وجدنا المشابهات بين العربية واللغتين المؤتمتين (أي اليونانية واللاتينية) عظيمة جدًّا . وبلغ بنا الاستقرآء الى هذه القاعدة وهي : كل لفظة يونانية أو لاتينية ذات هجاء واحد أو هجاءين ، فلا بد من أن يكون لهـا مقابل في المُضَرِيَّة . وقد تتفق معاني اللفظتين كل الاتفاق ، وقد تبتعد قليلاً ، وهذا لا بدّ منهُ ، بعد نزوح الدار ، واختلاف العادات والأخلاق ، وتغيُّر الأهوآء والأهوية والمياه ، الى غير هذهِ الأمور التي تؤثر في المرء تأثيراً لا يمكن إنكارهُ . فاذا كانت هـذهِ العوامل أدَّت إلى نتائج عظيمة في اللغات الساميات نفسهـا ، تلك الساميات الاخوات ، فكيف لا تصدم اللغات المتباينَة في عناصرها وأفواههـا صدمة أعظم ، بل صـدمة عنيفة مزعزعة للاصول والفروع معاً ، بل صدمة تشبهُ ما تفعلهُ القارعة في يوم الدين !.

وقد تتبعنا أصول الكلم في اللغتين المؤتمتين ، فوجدنا لكل كلمة ذات هجاءين فيهما مفردة مقابلة لها ولم نهتدِ إلا لبضعة ألفاظ ، وربما نهتدي اليها مع الزمن. والذي لم نظفر بمقابلاتها تكون على نسبة اثنين الى العشرة لا غير ، و إلا فاتنا وقتنا لما بقي منها .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على أصح المصادر في هذا العلم وأوثقها حجة . ونحن نذكر هنا بعض الالفاظ من باب الاستشهاد ، والاَّ فالبحث الوافي يقع في مجلد ضخم ،

لكلٍّ من اللغتين. فنذكر هنا ما يتعلق باليونانية . وفي الفصل الآتي نذكر ما يقابل اللغة اللاتينية . فنقول :

١ً (αἴγλη ,aiglè) الضياء أو البَرْقة éclat de lumière قال بوازاق – وهو من مشاهير اللغويين الأثبات – : هذه اللفظة تحوي الدرجة الأولى من الأصل AIG الذي معناهُ : « هزّ وقذف » ثم حاول أن يُدْنيها من لفظة في الهندية الفصحى وختم قولهُ بهــذهِ الكلمة : « إن معنى اللفظة الأول هو الحركة الفجائيــة والتموُّج والتزَهْوُهُ .

فالعلاَّمة الحاذق أقرَّ أن الأصل هجاء واحد AIG وعليهِ يقابلهُ في لغتنا «عَقّ» قال في القاموس : « العَقَّة : البرقة المستطيلة في السمآء . . . وعَقَّ السهم : رمى بهِ نحو السمآء وذلك السهم عقيقة » اه . فان كان بين القرآء من ينكر هذهِ المقابلة فليفعلْ . وان كان هناك من يجد كلمة قريبة من اللغة اليونانية كقرب العربية منها ، فليذكرها لنا . ولا سيما اذا تقارب اللفظان والمعنيان معاً . وهؤلآء لغويو الغرب مع اختــلاف قومياتهم والملّيون مع جماعات فقهآئهم لم يجــدوا لفظة واحدة مثل هــذهِ الكلمة المُضَرِيّة التي ذكرناها .

٢َ (Βάλανος BALANOS) البلُّوطة . قال لغويو الغرب أقرب كلمــة الى هذهِ اليونانية اللفظة اللاتينية glans ثم ذكروا لها مقابلات في سائر اللغى فمنها ماتبتدىء بحرف Z ومنها بحرف G ، وأخرى بحرف D ولم يعرفوا أن الكلمــة التي تجانِس المِلّية هي العربية (البَنَان) ومعناها الأصابع أو أطرافها . والمشابهة بين البلوط والبَنَان لا ينكرها بشر ؛ إلا أن أصلها العربي هو (بَلاَن) بلام بعدها البآء الموحدة التحتية ، لأنها ترى بهذا الحرف في جميع الألسنة كالصقلبية القديمة واللتّية والرومية واللتوانية والبروسية القديمة والارمنية على ما عدّد مفرداتها العلامة بوازاق . ولو كان عندنا نص عربي يذكر عربيتنا بألف سنة قبل المسيح لسمعناهم يقولون (بلان) .

وقلب اللام نوناً والنون لاماً عند السلف شيءٌ مشهور ، وفي كل سفر لغــة مذكور . وهل ينسى أحد منا الكلم الآتيــة : هتنت السمآء وهتلت . والسُــدُون

السدول (ما جلل الهودج) ، والرَّخدنة والرَّهْدلة ، وهو (طويئر) ، ولقيتهُ أُصَيْلاَنًا وأُصَيْلاَلاً . والشواهد أكثر من أن تحصى . فليراجع الباحث المزهر للسيوطي (١ : ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٩ و ٢٦٩ من طبعة بولاق) فَيَرَ فيه ما يجزأهُ .

وفي اللسان في مادة (ب ل) : « الفرآء : قولهم « بَلْ » بمعنى الاستدراك . تقول : بَلْ واللهِ لا آتيك ؛ وبَنْ واللهِ . يجعلون اللام فيها نونًا . قال : وهي لغة بني سَعْد ولغة كلب . قال : وسمعتُ الباهليين يقولون : « لاَ بَنْ » بمعنى « لا بَلْ » قال: ومن خفيف هذا الباب : بَنْ ولَا بَنْ لغة في بَلْ ولا بَلْ . وقيل هو على البدل » اه . ونقل هذا الكلام صاحب التاج ولم ينسبهُ الى صاحبهِ ، على حدّ ما فعل ابن مكرم إذ نقل هذهِ العبارة بطولها وحروفها عن التهذيب ولم يَعزُهَا إلى مدوّنها .

ثم إن السَلَف قصَروا « البَنَانِ » بصورة (بَان) وخصّوها بهذا الشجر المعروف بقوامهِ السَبْط اللين وبزهرهِ الناعم كالأذناب والمُنْفَرِشة ، ويخلف قرونًا كقرون اللوبياء ، وبداخلها حبّ أكبر من الحِمّص ، ولهذا الحبّ دهن طيب الرائحة يعرف بدهن البان والواحدة من هذا الشجر بانة . وسمّي كذلك لأن الثمرة تشبهُ البنانة . وسماها اليونان βάλανος أي بنفس الكلمة التي سمّوا بها البلوط . وأما الفرنسيون فسمّوهَا BEN كما في العربية ، والعلماء يسمونها MORINGA APTERA .

ومن العربية (بنان) أخذ الاسبانيون كلمتهم BANANA بمعنى المَوْز ، من باب المشابهة نقلاً عن العرب أنفسهم ، ومنهم أخذها الفرنسيون فقالوا BANANE والانكليز فقالوا BANANA . وكنت قد قرأت بَيْتَ شعر لأحد عرب الأندلس يشبه بهِ الموز بالبنان واليوم لا أتذكرهُ فهذهِ الفاظ ثلاثة أخذت عن العرب إحداهن بمعنى البلوطة ، والثانية بمعنى ثمرة البان . والثالثة بمعنى الموزة .

فهذ فضل العربية لا ينكر ، ومع ذلك ترى من أبناء هذهِ اللغة من يعقّونها فيشهدون على أنفسهم أنهم من الأدنياء الذين عاشوا بين الشُعُوبية ، فاقتبسوا منهم آراءهم ففدوا مكروهين من أبنآء الغَرْبِ ، لأنهم ليسوا من عِدَادِهِم ، وممقوتين من العرب ، لأنهم يرونهم من الشُعُوبيَّة ، التي لعنها الناطقون بالضاد ، ولا يزالون يلعنونها ما اختلف المَلَوَان .

٣ . GÉPHURA γέφυρα : قال بوازاق : وهذه بالبيوتية (من لغات اليونانية) ، و BÉPHURA باللاَّقونية ، و diphura بالغُرْطونيَّة و DÉPHURA عند غيرهم . قال ومعناها : المُسَنَّاة والجِسْر، ثم سَرَدَ أرآء بعضِ الحُذَّاق من أهل اللغة ، وانتهى بهِ التحقيق الى القَوْل : « أصلها غير معروف » ، لانهُ لم يتمكن من أن يهتدي إلى لفظة ثنائية الهجاء تُجِيزُ لهُ توجيه الكلمة وتأييد معناها للمسنَّاة والجِسْر.

أما نحن فنقول لهُ ولكلّ من ينكر فضلَ العربيَّة على جميع اللُّغى قاطبةً ، إنها من (الضَفيرة) وهي المسنَّاة ، ومسألة نقل الضاد الخاصَّة بأبناء اسماعيل ، مشكلة من المشاكل منذ أقدم الزمان الى عهدنا هذا . فقد اختلفوا في تحويلها إلى ألسنتهم ، كل الاختلاف ، وأعظم دليل على هذا التشتّت في الرأي هذه الكلمة ، وان كان هناك مفردات جمة العدد ، نصرِّح بها كلّما احتجنا اليها . فالاختلاف الواقع هنا ظاهر بين قبائل اليونان أنفسهم بين البيوتيين واللاقونيين والغُرْطونيين ، فأنت ترى أن البيوتيين نطقوا بهـا بالجيم ، واللاقونيين بالبآء ، والغرطونيين بالدال ، وسواهم بالدال أيضاً . فأقرب كلمة من لغاتهم هي ما كانت بالدال المهملة أو الذال المعجمة ، لان اليونان اختلفوا أيضاً في النطق بدالهم .

ومن أغرب الغرائب ان مثل هذا الاختلاف وقع لقبائل العرب أنفسهم في لفظ هذه الضاد التي يرمقها جميع الحُسَّاد بعيُونٍ تدل على ما في سرائرهم من الغيرة والغَمْط.

أما ان ابناء عدنان اختلفوا في النطق بهـا على حدّ ما اختلفت فِرَق اليونان فظاهر من وقوع أمثـال ذلكم الابدال في لهجاتهم . فقالوا في ابدالها جيماً : وضح الطريق ووجح كما في المحكم لابن سِيدَه ، وأوضفهُ وأوجفهُ أي حملهُ على الاسراع في المشي ، وضرح الشهادة وجرحها ، الى غيرها وهي جمَّة العدد .

وامثـال ابدالها بآء : ضَوُل وبَؤُل بمعنى واحد . وكذلك الضَئِيل والبَئِيل ، والبَوْنَة : البنت الصغيرة ومثلها الضَوْنَة ، والضوْضُؤ كالبؤبؤ بمعنى الاصل الى نظائرها وهي لا تحصى .

وأما قلبهــا دالاً مهملة فقد قالوا في نَهَضَ : نهــد . وفي ناهض : ناهد ، وفي الفرس : البِرْس والحُضُضُ والحُضُـد . والنُعْض والنُعْدُ ، شجر ، واحدتهُ نُعْدة ، ونُعْضة ، (عن اللسان) الى آخر ما عندهم .

وجَعْلُها ذالاً معجمة معروف أيضاً فقد قالوا : الحُضُض والحُضُـذ . وغَضَضْتُ منهُ وغذذتُ ، أي نَقَصْتُهُ . ونبض العِرْق ونبذ ، والعِضْيَوط والعِذْيَوط . و يقــال للاحمق أضْوَط وأذْوَط . وضَعَطَهُ وذعَطَهُ أي ذبَحَهُ . وهَضَّ الشيء يهضُّــهُ هَضًّا ، كسرهُ ودَقَّهُ ، وهَذَّهُ يَهُذُّهُ هذًّا : قطعهُ سريعاً ، أو هو قطع كل شيء . إلى آخر ما ضارع هذه المفردات الكثيرة .

بقي علينا أن نذكر أصل معنى الضفيرة التي قلنا إنها تعني المُسَنَّاة . فواضح ان اشتقاقها من ضفر البِنَاء أي بناهُ . قال ابن الاعرابي : الضفيرة ، مِثل المُسَنَّاة المستطيلة في الأرض فيها خَشَبٌ وحِجَارة . وضَفْرها : عَمَلُهَا ، من الضَفْر وهو النَسْجُ . ومنهُ ضَفْر الشَعَرِ و إدخالُ بَعْضِهِ في بَعْضٍ . ومنهُ حديث عليّ : أن طلحةَ بن عُبَيْد الله نازعهُ في ضفــيرةٍ كان عَليٌّ ضَفَرَهَا في وادٍ كانت إحدى عِدْوَتَي الوادي لهُ ، والأخرى لِطَلْحَةَ . فقــال طَلْحَةُ : حَمَلَ عليّ السيول واضَرَّ بي . ومنــهُ الحديث الآخر : فقام على ضفيرةِ السُدَّة . والحديث الآخر : وأشار بيده وراء الضفيرة . قال ابو منصور ، : أخذت الضفيرة من الضَفْر و إدخال بعضهِ في بعضٍ معترضاً » اه .

والضفيرة اذن قديمة في العربية ، ولو كان عندنا نصوص مكتوبة أقدم من هذه لذكرناها ، و يظهر من اختلاف لغات اليونانيين في نقل الضاد الى لغتهم ، انهُ لا يبعد عن اختلاف لغات العرب فيها ، ولعلَّ كل فخذٍ من أفخاذ قبائل الهلنيين أخذ لُغَتَهُ من الفخذ العَربيّ الذي كان ينطق بذلك الابدال . وهو أمر غير بعيد ، إذ المشابهات بيّنة كل البيان ولا يمكن أن تخفى على أي مُتدبّر لها .

٤ . δέρω, δείρω, dero, deiro : من أغرب ما أصبناهُ في معارضة لغتنا

بالغتين المؤقتين، اننا وجدنا المشابهة في الاسمآء كما وجدناها في الأفعـال والحروف . وهذا لم نسمع بهِ البتة ، بل هو من أغرب الغرائب . ونحن نذكر هنا مثـالاً من عشرات الأمثلة لكي لا نحرج الصدور .

الفعل اليوناني الذي صدَّرنا بهِ هذه المادة يَعني مَلَخ، ولا سيما سَلَخ الشاة ، ثم قال بوازاق: و δορός doros الزِقّ . والأتيكيون يسمونهُ δέρρις, εως dérris-eos

قلنا : الفعل العربي هو هو اليوناني بعينه، فقد قال اللغويون : درع الشاة كَمَنَعَ : سَلَخَها من قِبَل عُنُقِهـا ودرع رَقَبَتَهُ : فَسَخهـا من المَفصِل من غير كَسْر، ودَرَّعهُ تَدْريعاً : خنقهُ خَنْقاً . ولم نجد في هذهِ المـادة كلمة تدل على الزِقّ . لكنَّا ظفرنا في مادة (ذرع) بالذال المعجمـة ما يفي بالمراد . ولما سبقنا فقلنا أن الدال اليونانية أي Δ يلفظها بعضهم كالدال المهملة العربية ، وبعضهم كالذال المعجمة ، جاز لنا أن ننظر في ترجمة (ذرع) بالمعجمة ما ننشدهُ ، فاذا فيها : « ذرَعَ فلاناً : خنقهُ من ورائهِ بالذراع كذرَّعهُ والذِراع ككتاب : الزِقّ الصغير يُسْلخ من قِبل الذِراع » اه . فهذهِ تفاصيل دقيقة في منتهى الفائدة .

واولى هذه الفوائد : أننا لو أردنا أن نكتب « دَرَع أو ذَرَع » بأحرف هلّنية فلا نجد رسماً آخر غير الذي رسم لتصويرها .

والثانية : ان الكلمة اليونانية التي تدل على سلخ الشاة ، انما تدل على السلخ من عنقها ، أو من ذراعها . ولما كان هذان العضوان متفاوتين في الشاة ، فكأن المراد من هذا السلخ ، انهُ يكون من قبل أعلاها لا من قبل أسفلها (أي رجليها) .

والثالثة : ان قدم لفظ الدال اليونانية مرة كالمهمـلة ، وأخرى كالمعجمة ، معهود عند العرب وعند اليونانيين ايضاً .

والرابعة : ان في معارضة اللغة العربية باليونانية ايضاحاتٍ وبياناتٍ لا تقدر .

والخامسة: نستدل بهذه المقابلة أن هناك الفاظاً لم يدونها العرب ، إما نسياناً وإمَّا إهمالاً فني معارضة مادة (درع) بتركيب (ذرع) نجد مشابهاتٍ رائعة متفقـة كل

الاتفاق ، لكننا نرى ان (الدِراع) بالمهملة لم ترِد بمعنى الزِق ، بخلاف الذراع بالدال المعجمة . الى غير هذهِ الفوائد التي تبدو لمن يتدبر المادتين العربيتين والمادة الهلّنية .

وقد قلنــا اننا وجدنا مثل هذه المماثلات والمتناظرات في الاسماء والأفعــال والحروف أيضاً . وهي كثيرة الامثلة في الاسامي ، وهذا واضح من أن المرء يضطر إلى اتخاذ الاشياء اكثر من استعمال الافعال . وأما الحروف فهي أقلّ الكل .

٥ . نَعَمْ

ونحن نذكر لك هنا شاهداً للحروف وهو (نَعَمْ) وتستعمل اداةً للتصــديق والايجاب . وفيهــا لغات . قال النحاة : نَعَمْ بالتحريك ، ونَعِم بفتح فكسر ، ونِعِمْ بكسرتين ، ونَعَام بالتحريك وبألف قبل الأخير ، ونَحَمْ ، بحــاء في مكان العين . وهي في اليونانية ναί (NAI) وفيها لغات منها : (NAI DÈ) ναί δή و (NAI MÈN) و ναί μήν (NAI MAN) وναί μαν (NAI MEN) وναί μήν (NAI MENTOI) ναί μέντοι الى غيرها وقد اجتزأنا بما سردنا . وأقرب كلمة هَلّنِيَّة الى كلمتنا الضادية هي NAI MAN ولما كانت تلفظ سريعاً تظهر على اللســان كأن المتكلم ينطق بكلمة واحدة هي « نَيْمَنْ » . وكلنا يعلم ان العــين وكل حرف حلقي يسقط من لُغَات الغربيين ، فلا عجب بعد هذا اذا كانت (نَعَمْ) تشبهُ « نَيْمَن » أو « نَعْمَن » بزيادة النون في الآخر .

وقد زاد السلف النون في الآخر في كثير من الكلم ففي النثر كقولهم : قَطْعَنَ في قَطَعَ ، ومنا عليهِ قِرْطَعنة أي قطعــة ، فزيدت الرآء في الوسط والنون في الآخر . وقالوا العُرَيْقِصَانة في العُرَيْقِصاء لنوعٍ من النبــات . واَمَّا مثل الشِيَسْعَنِ والضَيْفَنِ بمعنى الشِيَسْع والضَيف فشهير وأعمّ . وكذلك مثل القَطُنّ والقَطْنُنّ في الشعر من قبيل الضرورة . فهو أيضاً كثير غير مجهول .

٢٢ . تناظر اللاتينية (الرومية) والعربية .

ان المَلْتِنِيَّات المشابهة للعربيَّات شيء لا يقدَّر . وأ كاد أقول مثل هذا القول ، في المشابهات والمماثلات بين اللاتينية ولغتنا الضاديَّة ، لكن لما كانت اليونانية أوْسَعَ بحراً من اللاتينية ، كانت النظائر بَيْنَ هذه اللسان وبين لساننا أقلّ . وهذا العدد ، وان كانْ أقلّ ، يُحْسب بالمئـات أيضاً ، لا بالآحاد أو العشرات ، كما يسبق الوهم الى تصوُّرهِ .

ونحن نذكر بعض هذهِ الأمثلة استيفاء للبحث ، واثباتاً لرأينا الذي لا بُد من أن يستغربهُ كل من يزاول علم معارضة اللغات بعضها ببعض :

١َ (زَرَع)

هذا فِعل ، ويقابلهُ في الرومية فِعْل أيضاً – وقد نبَّهنا على مثل ذلك في اليونانية . والفعْل المعروف في اللغة العَجَميةالمذكورة هو SERERE ، فاذا حذفنا من آخرهِ علامة الفعل عندهم ، يبقى SERE ، وقد علمنا سابقاً أن أحرف الحلق تسقط كلها من كلام أبناء الغرب ، وقد ينوب عنها أحد أحرف العـلة من أحرفهم . وقد ناب هنا الحرف E. فصارت (سَرَى) بالسين في الاولى . وهذا ما نراهُ في كثير من الالفاظ عندهم ، انهم يجعلون الزاي سيناً ، إذ الزاي تلفظ عندهم وتصـور سيناً كما هو معهود عند عارفي لغات الغَرْب ، إذن تحولت (زرع) بصورة (سَرَى) وهذا ظاهر ولا يحتاج المرء إلى إمعان في الفكر .

والذي نلاحظهُ أن كلمتنا وأصولها تبقى على حالتها ، وان اختلفت مشتقاتها من زارع ومزروع وزَرْع (اسماً ومصـدراً) ومَزْرَعة إلى آخر ما عندنا . وأما الرومان فقد قالوا في أزْرع (أنا) : سيرو SERO وفي زرعتُ سَيْفِي SEVI ومزروع : سَـاتُم SATUM ، والزَّرْع ، مصدراً : سَيْرَرَى ، أو سَارَارَا ، بإمالة الألف أي SERERE.

والزَّرْع ، اسماً : سَمَنْ SEMEN ، والمَزْرَعة : سَمِينَاريوم SEMINARIUM . فأي اختلافات وقعت في « أصل الكلمة » العَجَمِيَّة ، وابتعاد مشتقاتها عنهُ ، وتشتُّت أحرف ذلك الاصل ! بينما نرى أحْرُف أصل (زرع) الاولية باقية في جميع فُرُوعها. ولهذا كانت لغتنا أقرب الى الاصل من سواها .

٢ً (السَّارِية)

في لغتنا السارية هي الاسطوانة ، ويراد بها كل ما يُسْنَد بهِ من حائط،أو سَقْف، أو بابٍ ، او مِزلاج ، أو نحو ذلك ، ويراد بالسارية أيضاً المترس ، لأن الاسطوانة أو الاصطوانة من « أُسْتُون » الفارسية وهذهِ يقع طائر معناها على جميع الشعب المذكورة وغيرها ، او من اليونانية (STOA,AS) στόα, ᾶς

وعند اللاتين SERA معناها المَتْرَس والرِتاج والمِزْلاج والمِغْلاق . واذا سألتَ فقهاء لغتهم عن أصل كلمتهم ، قالوا لك انها مشتقة من SERO ويتصرف هذا الفعل هكذا : SERO,SERUI, SERTUM ومعناها أقْفَلَ وأدخل الازرار في عُرَاها ، وضم الاشياء بعضها الى بعض ، وخلطها بعضاً ببعضٍ ، الى ما جرى في وادي هذه المعاني .

أما نحن فنخالفهم ونقول : ان السارية العربية مشتقــة من السراة وهي الظهر ، فيكون معناها « ذَاتَ الظهر » من باب النسب كتَامِر ولابن ، لأن السارية تسند ما تتخذ لهُ . واما SERERE التي قال الرومان إن منها اشتق سلفهم SERA ، فلا نوافقهم عليهِ ، بل نقول إنَّ كلمتهم هذه توافق عنــدنا (شَرَجَ) . قال لغويونا : شَرَجَ الخريطة : دَاخَلَ بين أشرَاجها وشدَّها . وشَرَجَ اللَّبِنَ: نضَّدَهُ وضمَّ بعضهُ الى بَعْض . وانما قالوا SERERE لأن الشين المعجمــة غير موجودة في صميم كلامهم . ولأن جيمنا تُقْلَبْ ياء عند كثيرٍ من العرب وهي لغة فاشية الى اليوم عنــد أعراب المنتفق في العراق يقولون في جرح ، ورجح ، وحرج : يرح، وريّح ، وحَرَى . ففعلهم هذا وفعلُنا من نَبْعٍ واحد ، أو مَصْدرٍ واحدٍ . ولهذا كانت السارِية العربيَّة مُضَرِيَّةً مَحْضَةً .

٣ . (نَضَاهُ)

يقال : نَضاهُ من ثوبهِ أي جَرَّدهُ فهو نَضِيّ ومنهُ النَّضِيّ السَّهْم بلا نَصْل ولا ريش (اللغويون) ، وهو كقولك : سهم عريّ من النصــل والريش . والنَّضِيُّ أيضاً والنِضْو : المهزول من جميع الدوابّ (اللغويون ولا سيما اللسان) كأنهُ جُرِّد من لحمِهِ ، وعَرِيَ منهُ ، والانثى نِضْوَة ، وجمع المذكر والمؤنث أنْضاء .

فأنتَ ترى من هذا ، ان النَضِيّ أو النِضْوَ ينظر الى اللاتينية NUDUS والمؤنث NUDA لا فرق في اللفظ والمعنى ، إذا نزعتَ من اللفظة الحرف S ، الذي هو من علامات الإعراب عندهم ، واذا سألتهم من أين لكم لفظكم ؛ خَرِسُوا ، أوْ لاَ أقلَّ من انهم يَتَلَعْثَمُون في أجوبتهم ويتمحَّلون لك ألفاظاً ، تكاد تخرّ من السَقْف عنــد سماعك اياها . أفليس الأجدر بهم أن يقولوا : إنهم اقتبسوها من العَرَب ؟ وفي كلامنا يُرَى الفعــل ، ولهُ مشتقَّات عديدة ، تُرَى في جميع المعَاجم . دع عنك ما هناك من المفردات المأخوذة مجازاً من الاصل المذكور . فالمادة عندنا غنية وأما مادتهم فالعَوَزُ ، والفاقة ، والذلَّة ظاهرات عليها . فنحن نُبِيح لهم أن يغترفوا من غَمْرِ لغتنا إذ نحن العرب معروفون بالـكَرَم ، والضيافة ، والجُود الذي دونهُ كل جود .

٤ . (عَرَاهُ وعَرَّهُ)

من غريب اختلاف الآرآء عند لغويي الغرب ، تفرق نظرهم في أصل الـكلمة ORARE التي معناها صَلَّى ، أو طلب من الله ما يحتاج اليــهِ . ففريق اشتقّ هذا الفعل من OS,ORIS الذي معناهُ الفم ، لأن المرء ، إذا طلب شيئاً ، لا بُدَّ من أن ينطق بفمهِ ليفوز بمطلوبهِ . ومنهم من رأى انها من اليونانية الهومريَّة (arè) ἀρή وهي بالاتيكيَّة (ARA) ἀρά ومعناها الصــلاة والدعآء . ولما كان الدعآء يُستعمل للخير والشرّ ، فـكذلك الـكلمة اليونانية تَرِد بالمعنَيَيْن المذكورَيْن . واذا سألنا الهنديين من أي سمآء هبط عليكم هذا الحرف ؟ — قالوا إنه من الهنديَّة ARYATI أي تَمَنّى ثناءً طيباً

وبالارمنية ALACEM ومعناها: تذلّل، واستنجد، واستغاث، وابتهل، إلى نظائر هذا المعنى.

والذي عندنا ان الكلمتين الملنية واللاتينية تنظُرانِ إلى المُضَرِيَّة (عَرَا يعرو) قال في القاموس «عَرَاهُ يعروهُ: غشِيَهُ طالبًا مَعروفَهُ كاعترَاهُ». وفي عري: «وعرِيَتْهُ: غَشِيتُهُ كَعَرَوتُهُ.» اه. وقال في (ع ر ر): «المُعْتَرُّ: الفقير، والمُعْتَرِضُ للمعروف من غيرِ أن يَسْأل: عَرَّهُ عَرًّا، واعترَّهُ، وبِهِ» اه. وقال في صدرِ تلك المادّة أو يكاد. «وعَرَّهُ: ساءهُ، وبشرّ: لَطخَهُ بِهِ» فالظاهر من هذا الكلام ان عَرَّهُ المضاعف سبق عَرَاهُ الناقص وفرَّق العرب بين المعنيين، تبعًا لصيغتي الفِعْلَيْنِ، إلا ان المعنى واحدٌ في الاصل ومُتَّفِقٌ مع اليوناني.

فنجيب عن اشتقاق اللاتين لكلمتهم من OS,ORIS أي الفم،: ان المرء قد يُصَلّي الى الله، من غير أن يتخذ فمُهُ ذريعة لذلك، بل ارادتهُ؛ كما انهُ قد يتخذ الفم لغير الصلاة والعبادة. فادّعاؤهم ان ORARE مأخوذة من هذه اللفظة، ادعاء باطل لا يقوم على سند رصين.

اما ان اللاتينية مستعارة من اليونانية بمعنى الدعآء، خيرًا كان أم شرًّا، الى آخر ما ذهبوا اليهِ، فهــذا الرأي أوجهُ من ذاك، وان لم يكن صحيحًا في نظرنا. والذي عندنا ان كلمتنا (عَرَاهُ يعروهُ عَرْوًا) أقرب الى ما يريدونهُ من سواها. لأنك ترى في معنى (العرْوِ): «الصلاة» سواء أخرَجتْ من الشفاه، أم من الارادة. وفي (العَرْو) ترى معنى دقيقًا للصــلاة، لأن المصلّي يَغشى باب الله، طالبًا معروفهُ وبركتهُ وخيراتهِ؛ وهذا الطلب هو المقصود من الصلاة والدعآء. ولهذا أجمع علماء الكلام على ان غاية الصــلاة هي هذا الطلب. وهو صريح في مصنفاتهم من عرب وعجم.

فاما انها صريحة في كتب السلف، فواضحة من انهم عرّفوها انهــا «الدعاء والرحمة والاستغفار» (القاموس) وأما في كتب المعجم فأشهر من أن تذكر. ونحن نذكر هنا شهادة لاروس الصغير لانهُ في أيدي الجميع وفي متناول الكبير والصغــير

فانهُ يقول : « الصلاة طلب الى الله » وقد جاءَ الاعترار في لغتنا كالاعتراء ؛ فلقد رأينا أن « المُعْتَرّ » هو الفقير المعترض للمعروف من غير أن يسأل . وكل منا فقير بين يدي الله ، معترضاً لمعروفهِ ، ولو لم يَسأل بلسانهِ .

واما ان الكلمة اليونانيـة ARA تعني الدعاءَ بالخير أو بالشرّ ، فعَرَفْنا « العَرّ » المضاعف ، يُفيد أيضاً هذين المعنيين ، على ما بسطنا ذلك . فترى من هذا صِحةَ كلامنا : ان لفظة الصلاة عندهم ، أي ORARE هي أقربُ الى لغتنا من أي لغةٍ سواها.

بقي ان هناك ملاحظة لا بُدَّ لنا من ابدائها وهي : ان لغويي الغَرْب ، ولا سيَّما الالمان منهم ، البُصَراء بلسان أهل يُونان ، ذهبوا الى ان ἀρα أصلها عندهم في القديم ἀϱΓᾶ ، وذهب آخرون الى انهُ ἀϱαΓᾶ أي انهُ كان في العهد العهيـد بين الراء والالف الأخيرة حرف مزدوج يسمُّونهُ دِيجَماً DIGAMMA وينوب عندهم دائماً عن حَرْف محذوف ، ويكون في أغلب الاحيان حرفَ حلقٍ ، لكنهُ قد يكون حرفاً آخر ، وقد تصرفوا في هذا الحذف تخفيفاً للفظ على اللسان . وهذا مما يسلم بهِ جمهور حُذّاقهم في الهلنية بلا شاذٍّ واحدٍ ، أيّاً كان عنصرهم أو قوميتهم . ولا جرم اننا تابعون لهم فى هذا الرأي الصحيح القويم الذي ليس عليهِ أدنى غبار . والمحذوف هنا « الفاء » . فاذا أعدناها الى اللفظ الجاري عليهِ الكلام،أي (عرا) الحرف المحذوف عندهم تُرَانا بين يَدَيْ (عَرَفة) أو عَرَفات) ، التي اختلف في تأويلها المفسّرون ، على نحو اثني عشر رأياً ، على ما في كتب التفسير المطولة كالطبريّ والآلوسيّ . وبين تلك التفاسـير ، رأي من يقول ان (عرفات) او (عرفة) سميت بذلك لأنها مقدسـة معظمـة ، لا لأنها عُرِفَتْ أي طُيِّبت ، أخذاً من العَرْف وهو الطيب ، بل لأن المصلين يَجْتَمِعون ثَمَّ للدعاءِ ، والابتهال . والصلاة ، والاستغفار ، والتقديس ، والثناء على عزته تعالى ثناءً « مَعْرُوفاً » أي طَيِّباً .

فَنِعْم التسميـة ونِعْمَ المُسَمّى ! وهذا من فضْل هذا البَحْث الجزيل الفـائدة ، والجليل النفع .

• ثُمَّ

من الحروف التي تتشابه لاتينيتها بعربيتنا (ثُمَّ) فان الرومان يقولون : TUM ، فالمشابهة تامّة ، لا سيما عند الوقف ، بمعنى العطف ، لا بمعنى الظرف ، لأن اللفظة اللاتينية تأتي أيضاً ظرفاً ومعناها : « حينئذٍ » والكلام هنا على TUM العطفية وهم لا يعرفون من أين أتتهم .

ونحن نظن أن أداة العطف العربية « ثُمَّ » قَصْر الإِرَمِيَّة « ثُوبْ » ومعناها العطف و « أيضاً » و « بَعْدُ » و « ما عدا ذلك » وهي مشتقة من (ثب) أي رجع ، وآض ، وتاب ، وعاد ، وثاب ، كما أن « أيضاً » مَصْدر آض يئيض ، أي رجع يرجع . ويصحّ أن تكون ثُمَّ » أصلها « ثوْبًا » أي عَوْدًا ، ورجوعاً الى الكلام الذي يجري بيننا . ثم قلبوا باءَ (ثوْبًا) « ميماً » لقرب مَخْرَج اللفظين فقالوا: « ثَوْمًا » وبينها وبين « ثُمَّ » فرق زهيد .

فأداتنا العطفية تُؤَوَّل وقد عرفنا أصلها واشتقاقها وصحة استعمالها. أما هم فلا يعرفون من أدَاتِهم شيئاً . فاذا قلنا أنهم أخذوها من لغتنا فاننا لا نظلمهم حقهم .

ونقف عند هذا الحدّ من هذا الفَصْل ، وإلاَّ فان الموضوع واسع لا يتمُّ إلاَّ في نحو مِئَاتٍ من الصفحات من مثل هذا الكتاب ، لكثرة ما فيهِ من عجائب وغرائب !

٢٣ً . تناظر الفارسيّة واللغات المندثرة القديمة للعربيّة

لما كانت جزيرة العرب متصلة بالعراق ، منذ أقدم الأزمنة في التاريخ ، دخل كثير من كلام العرب في كلام أهل فارس ، كما أن كلاماً كثيراً من لُغَة الفرس دخل في لسان العرب . وقد يصعب على الباحث في بعض الأحيان نسبة الكلمة الى اللغة التي ترجع اليها من عربية أو أعجمية .

وقد قيل في بني العَبَّاب (ككتَّان) من العرب أنهم سُمُّوا كذلك لأنهم خالطوا فرس حتّى عَبتْ خَيْلهُمْ في الفُرَات (راجع القاموس في عبب) .

ولهذا وجب علينا أن نطيل الكلام على هـذه المسألة بوضع مقدّمة تقفنا على الأمور ودخائلها .

لا نشك أبداً في أن ألفاظاً جمة ، من إغريقية ولاتينية ، تشابه كل المشابهة حروفاً سامية عديدة . ولا سيما تضارع حروفاً عربية ؛ لأنهُ إذا كان ثمَّ عشر كلمات من اللغتين المُؤْتَمَّتَيْن تناظر كلمات عبرية أو إرميةً . فهناك مئات من الألفاظ الضادية تنظر الى اللغتين المذكورتين .

فهذهِ المجانسة البيِّنة لكل ذي عينين لم تأت عفواً، ولا من باب المصادفة والاتفاق، ولاهي وليدة توارد الخواطر ؛ لانهُ لو وقع شيء من هذا القبيل ، لكان في بضعة أحْرُفٍ ، وليس في عشراتٍ أو مئاتٍ . إذن هناك أصل هو أبو الجميع ، ومن هذا الأب نشأَت سَائِر الفرُوع . وأقرب لغة تُجَاور ذلك الأب الأكبر هي العربية .

وكان السلف قد اختلط بالامم القديمة أصحاب اللغات التي كانت مبثوثة في سفي بحر الروم ، أي بالأمم الهندية الأوربية وبسواها .

والهنود الأوربيون في مختلف لغاتهم ، غير متصلين بعضهم ببعض ، على طراز الساميين ، اذ هؤلاء تستحكم بينهم عرا النسب ، وتَشِجُ وشجاً وثيقاً ، ولا يمكن أن ينكر ما عند القبيلين من المنازل التي تدلّ على أصلهم منذ القدم . ومن هذين القبيلين نشأ العمران الأكبر ، عمران العالم الحديث ، وأصْلُ هذين القبيلين البشريين وتطورهما ، أو تكاملهما ، هما المسألتان الرئيستان ، اللتان تُهِمَّانِ التاريخ .

على أن بعض الغربيين وشعو بيتهم يحاولون أن ينكروا كل ممالأة جاءت من قبل الساميين ، وينسبون كل تبحُّر في الحضارة ، الى العنصر غير السامي ؛ بيد أن مكشوفات العراق ، وسورية ، وفلسطين ، وديار مصر ، والهند ، هبت من قبورها ودفائنها لتفنِّد هذا الزعم الفائل، وتكذب أولئك المتقوِّلين المغرضين .

وكل ما نرغب فيهِ اليوم ، ويفيد المؤرخين الباحثين ، أن يتقصَّى الخفيُّ في الآثار ، ليطلع على أقدم الطوارىء الآريَّة ، التي هبطت على آسية المتقدمة ، ويحاكم أحْدَاث تلك الأجيال محاكمة مجرَّدةً من كل غرض .

إننا نعلم أن الفريجيين ، والأرمن ، وبعض أقوام آسية الصغرى الواغلة في القدم ، كانوا ينتمون الى العشيرة الهندية الاوربية . والآن جاءت الانباء تروي لنا أن هناك

آريين أسبقين بَدَوْا لنا اليوم ليلحقوا بالعشيرة المذكورة . فانبثاق هذا الفجر الجديد يطلعنا على أمورٍ كان علماء الغرب أنكروها قبل نحو بضعة قرون ، وهي الآن تزداد جلاء ووضوحاً ؛ إذ يبدو لنا الآريُّون ، بل قل الآريون الأسبقون بمظهر العائشين في الشرق المتقدم عيشة تدل على أنهم كانوا يخالطون الساميين منذ الأزمان الضاربة بعرقٍ في القـدم . فالى ذلك العهد تنسب الألفاظ اليونانية والرومانية التي تشـبه في تركيبها و بنيتها و بساطتها الألفاظ السامية أو قل الأوضاع العربية .

ويرى في اللغتين المؤتمتين : اليونانية واللاتينية ، ألفاظ لا ترجع أصولها الى مواد معروفة فيهما . والذي ينعم النظر في أحدث المعاجم التي أُلِّفَت في هذه الاعوام الأخيرة كمعجم والدي في اللاتينية وأصولها —

DR. ALOIS WALDE. — Lateinisches Etymologisches Worterbuch.

ومعجم بوازاق

EMILE BOISACQ. — Dic. Etymologique de la Langue Grecque.

في أصول اليونانية وغيرها ، يجد أنهم يقولون : إننا نجهل أصل هـذهِ الكلمة . فاذا قالوا مثل هذا وقابلتهُ بما ورد في لغتنا المبينة ، فهي وحدها مفتاح الغـة ، على ما بيناهُ في طائفة من الجرائد والمجلات كالهلال والمقتطف ولغة العرب ومجلة مجمع اللغة العربية الملكي وغيرها مما لا يخفى على أحد .

٢٤ . جواب على اعتراض بخصوص العربية الأولى والمتأخرة

ورب معترض يقول : ان العربية العصرية ، أو العربية التي استحكمت أصولها قبيل الاسلام ، غير العربية القديمة ، التي كانت في تلك العصور الضاربة في القدم . فعربية هذا العهد حديثة بالنظر الى اللغتين المؤتمتين ، ولا سيما مدوناتهما ، فانها — ولا شك في ذلك — أقدم عهداً من مدوّنات عدنانيتنا بعدة قرون . فكيف يسوغ القول بما ذهبت اليه ؛

قلنا : إننا لا ننكر من هـذه الحقائق إلا بعضاً منها . نعم ، ان الصيغ والتراكيب والمباني في لساننا قد تختلف عما كانت عليهِ في الازمان البعيدة العهد ، إلا ان « مادتها الاصلية واحدة » وهذا هو المهم والمعوّل عليهِ في مُعارضة اللغى بعضها ببعضٍ للحكم على أسبقيتها .

وا كثر هـذه المواد تعرف عروبتها من تركيبها الأُحاديّ الهجآء ، الثنائيّ الحرف ، أي انها في أبسط حالة يمكن أن تكون عليها الكلمة ، في أول وضعهـا ونشوءها . وقد مرَّ الكلام على ان المضاعف الثلاثي عندنا هو في الحقيقـة احاديّ الهجآء (راجع الفصل السادس) وكيف تفرعت سائر الصيغ .

ومما لا ينكرهُ إلا المعـاندون الحق ، ان اناساً من الحِثّيين ، كانوا في عداد التروادِيين ، وكانت صِلاتُهم باليونانيين الاقدمين الابطال ، من أوثق الصِـلات وأقواها . وقد أثبتت الاخبار : ان ا كابر الحِثّيين كانوا يصاهرون اماثل اليونانيين . ووجد اليوم من الانبـاء القديمة ان الدولة الأَخائيَّة الكبرى ، — تلكم التي ترتقي الى النصف الثاني من الألف الثاني قبل المسيح — كانت تراسل عظمآء الديار التي نسميها اليوم بالاناضول القبَّاذُقيَّة ، وتواصلهم وِصالاً مُهماً خطيراً ، يدل على ارتباط القلوب ، بعضها ببعض .

زد على ما تقدّم ، أن اخبار التوراة تفيـدنا ان أبنآء (حِثّ) ، كانوا يتزلون ربوع كنعان ، من شماليها الى جنوبيها . وكان من الحِثّيين فرع ثالث يقيم في قِيلِيقية ، وكانوا مرتبطين بالحثّيين الكنعانيين — شماليين كانوا أم جنوبيين — ارتباطاً وثيقاً ، وعَزَّزَتْ هذه الحقيقة مكشوفات فجر هذا العصر .

ومن الأدِلَّة المثبتة لهذه الاسانيد ، المكاتبة التي عثر عليهـا أهل البحث في (تلّ العمارنة) ، فان أغلب ما فيها ، يدور محورهُ على شؤون كنعان . ولغـة تلك المكاتبة الرسمية المألوفة هي الساميـة ، وفيها أمثلة من رسائل أخرى : عبارتهـا

مِيتَنِيَّةٌ[1] وحِثِّيَّةٌ . وهذا ما يدل دلالة صريحة، على ان ارتباط الساميين بالأسيانيّين[2] كان ارتباطاً وثيقاً محكم الإبرام والشرج ، فهو إذن دليل تاريخي منيع لا يتيسر نقضُهُ .

على ان في لغتنا من الاوضاع الدخيلة ما لا يمكن انكارهُ . وقد أقرَّ بهذه الحقيقة ائمة اللغة انفسهم . واقتباسهم لتلك الالفاظ لا يدل على ان لغتهم خلت منهـا ، بل كان ذلك من الاكثار من المترادف ، أو للتفاهم مع أقوام لا يفهمون إلاَّ المهم من كلامهم ، أو لأنَّ في بعض الحروف الدخيلة خفة ورشاقة وذلاقة لا ترى في لسانهم ، أو للمباهاة ببعض الفاظ الاغراب والأجانب الى اسباب أخر قد تخفى علينا اليوم .

وفي كتابنا هذا فصل وسمناهُ « بالحرب بين الكلم العربية والغريبـة » يدلّ على انهُ كان للسلف الفاظ تغنيهم عن اتخـاذ الدخيل ، ومع ذلك اتخذوهُ ، فقتل الدخيل الاصيل ، حتى انهُ ليصعب على السامع فهم الكلام الصميم العربي بعد أن اعتاد سماع الاجنبيّ الاعجمي ، والفهُ كل الالفة .

والالفاظ الفارسية في العربية كثيرة ، لاختلاط السلف بالفرس ،منذ أقدم الازمنة، على ما تقدمت الاشارة اليهِ في صدر هذا الفصل . ولعلها اللغة التي أبقت أثراً في لساننا أكثر من سائر الالسنة . ونحن لا نُريد ان نسترسل في هذا الموضوع ، وقد سبقنا اليهِ أحد مطارنة الشرق ، وهو السيّد أدَّي شير ، من أخلص أصدقائنا ، رحمهُ الله ، واسم كتابهِ : « الالفاظ الفارسية في اللغة العربية » - على انهُ فاتتهُ الفاظ كثيرة ، كما اننا لا نسلّم له بكل ما نسبهُ الى لغة الفرس .

والكتاب ليس بين يدينا ، ونحن نكتب هذه الكلمة بعيدين عن خزانتنا ، إلا

---

(١) مِيتَنِيّة نسبةٌ الى مِيتَنّة . ومِيتَنّةُ (بميم مكسورة يليها ياء مثناة تحتية ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية مفتوحة . فنون مشدّدة مفتوحة فهاء) بلاد في شمالي العراق وسورية . وكان لسان اهلها يشبه الحِثّي .

(٢) الأسيانيون . لفظة حديثة الوضع، أُمَم كانوا في ما نسمّيهِ آسية الصغرى او آسية المتقدمة ، او بِرّ الاناضول . وهم غير الامم اليونانية المعهودة . ويسمى لسانهم الأسيانيّ وهي نسبة الى آسية نسبة شاذة . للدلالة على تلك الاقوام غير اليونانية .

أننا نتذكر اننا قرأنا في كتاب السيد أدّي شير ان السَّرّاب من أصل فارسي ، من (شور آب) أي ماء مالح ، مع اننا نعتقد أنهُ من (سَرَام) الهندية الفصحى أي الماء. واللغويون من السلف يقولون بأنهُ عربيّ صميم ، وقد يكون ، وقالوا انهُ من سَرَب الماء اذا جرى ، أو من سَرَب الرجل في الارض : اذا ذهب على وجههِ فيها ومضى. على أنّ التأويل الذي يقرب من الطبيعة أصح وأولى وأوجهُ من سواهُ .

وقلب ميم (سرام) باءَ أشهر من أن يذكر ولا ينكرهُ أحد ، وعندنا مئات من المُثُلِ والشواهد ، ولو نعرف أن هناك من ينكرهُ ، لامطرناهُ شواهد. فنكتفي بالاشارة اليهِ خَوْفاً من ملء الكتاب أموراً هي من قبيل تحصيل الحاصل لا غير .

وبقولنا: انهُ مأخوذ من الهندية الفصحي (أي السنسكريتية) لا نريد ان نقول إن العرب أخذوهُ من الهنود مباشرة ، بل عن يد آخرين وهم الفرس ، لأن لسانهم من الالسنة الهندية الاوربية ؛ إذ في اتخاذ الالفاظ من أمّةٍ دون امة ، شروط لا بد من مراعاتها . وإلا تعددت المزالق بين يدي الباحث ، ولذا دَحَضَتْ أرْجُل رِجالٍ لا يحصى عديدهم ، وبينهم طائفة غير يسيرة من كبار العلماء ، من أبناء الشرق والغَرْب .

٢٥ . تناظر اللغات السامية والعربية

كثيراً ما يقول العبريون . ان اللفظة العربية الفلانية هي من العِبْرية . وكذلك يزعم من كان عارفاً باللغة الارميّة (التي يسميها بعضهم خطأً سريانيّةً أو كلدانية) ويدعوها بعض أبناء الضاد « اللغة النبطيّة » وهي أصحُّ من قولهم سريانية أو كلدانية ، لأن النبطية هي المندائية أي انها اللغة الارمية ببعض مزايا وخصائص وبخلوها من أحرف الحلق الضخمة كالحاء والخاء والعين .

قلنا : ان اللُغَات السامية كلها تتشابه بعضها مع بعض ، ولا تكون الكلمة العربيَّة من العبرية أو من الارمية ، إلا اذا كانت تلك الكلمة خاصة بشؤون بني إرم أو بني إسرائيل . أما الالفاظ العامّة المشتركة بين الساميين جميعاً فليس ثَمَّ فضل لغةٍ على لغةٍ ، ولا اسبقيةَ وضعٍ لهذا القوم دونَ القوم الآخر .

قال ابن حَزْم في هذا البحث : « ان الذي وقفنا عليه ، وعلمناهُ يقيناً ، أن السُّرْيانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مُضر وربيعة - لا لغة حمير - واحدة ، تبدَّلت بتبدُّل مساكن أهلها ؛ فحدث فيها جَرْس كالذي يحدث من الاندلسيّ اذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني ، اذا رام لغة الاندلس ، ومن الخراساني ، اذا رام نَغْمتها . ونحن نجد من سمع لغة أهل (فَحْصِ البَلُّوط) وهي على ليلة واحدة من قُرْطُبَة ، كاد يقول : انها لغة أخرى غير لغة أهل قُرْطُبة . وهكذا في كثير من البلاد ، فانهُ بمجاورة أهل البلدة بأُمَّةٍ أُخرى ، تتبدَّل لغتها تَبدُّلاً لا يخفى على من تأمَّلَهُ .

« ونحن نجد العامة قد بدَّلت الالفاظ في اللغة العربية تبديلاً ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغةٍ أُخرى ، ولا فرق ، فتجدهم يقولون في « العِنَب » : « العِيْنَب » وفي السَوْط » . « أسْطَوْط » ، وفي « ثلاثة دنانير » : « ثَلَثْدَا » [1] . واذا تعرَّب البربري ، فأراد أن يقول : « الشَجَرة » قال : « السَحَرة » . واذا تَعَرَّب الجِلِّيقيُّ ، ابدل من العين والحاء : هاءَ ، فيقول : « مُهَمَّد » ، اذا أراد أن يقول : « مُحَمَّد » ومثل هذا كثير .

« فمن تدبَّر العربية والعبرانية والسريانية ، أيقَنَ ان اختلافها من نحو ما ذكرناه ، من تبديل الفاظ الناس على طول الازمان ، واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم . وانها لغة واحدة في الاصل » ا . ه كلام ابن حزم

فمثال الكلم العبرية الاصل « التوراة » فانها من «تورا» ومعناها شريعة وسُنَّة . ومنها أيضاً : اسرائيل ، وجبرائيل ، وميكائيل ، واسماعيل ، وجهنم ، وصدوقي ،

---

(١) قال صاحب هذا الكتاب : وعوام بغداد يقولون مثلاً في اثنى عشر وثلاثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر وستة عشر وسبعة عشر وثمانية عشر وتسعة عشر : اِطْنَعَشْ وطْلَطَعَش وْرْبَعْطَعَش وخَمُسْطَعَش وسِطَّعَش وسْبَاطَعَش وثمِنْطَعَش وتِسْعْطَعَش

وفريسي ، وعنصرة ، ولاويّ الى غيرها . فكل ما هنا خاصّ باليهود والعرب أخذوا عنهم هذه الكلم .

وأخذوا من الارمية : بُرْشان ، وبَرْنساء (وقالوا فيهـا بَرْناساء وبَرْنَشَاء) وبَاعُوث . وقالوا فيها ايضاً : بَاغُوث ، أي انهم اذا نطقوا بها بالعين المهملة جعلوا التآء الاخيرة مثلثة ، واذا نطقوا بها بالغَيْن المعجمة جعلوا التآء الاخيرة مثنـاة . ذكر ذلك صاحب القاموس وهذا غلط والدِنْح (وأكثر كُتَّاب الاخبار والتاريخ صحفوها « الذِبْح » أي بذال معجمة وباء موحدة تحتية) والإسْكيم ، والسِلِّيح ، والسُلاَّق ، والسِمِلاَّج ، والإشْبِين ، أو الشَبين ، والشمَّاس ، والمعمودية ، والثالوث ، والجَبَروت ، والكَهَنوت ، والملكوت ، والطَيَنُوت ، (وكتبها كثيرون : الطَيْبُوث بثآء مثلثة في الآخر) والبِيْعَة ، والكنيْسَة ، والكِرْح ، والقِلاَّية ، والقِلِّيَّة ، والمسيح ، الى غيرها .

فهذهِ الكلم أغلبها نصرانيـة دِينية وقد سبق الارميون النصـارى : العرب المسيحيين فأخذ هؤلآء كل ما يتعلَّق بالديانة النصرانية عن اولئك ولا يقـال إنها عربيَّة ، وان كان لهـا وَجْه تأويلٍ في هذهِ اللغة المُضَرِيَّة ، لأن اول الواضعين لها لم يكونوا عرباً ، بل من ابنآء إرَم .

ولا نريد أن نطيل النَفَس في هذا الفصل ، لأن من عادتنا أن نطلق العنـان للبراعة في الميادين التي لم يَجْرِ فيها فُرْسَان العرفان ، ونُمسك عن الجري في المواطن التي كثر فيها البحث . ولهذا نقف عند هذا الحدِّ من البيان .

٢٦ . تناظر اللغات السكسونية والعربية

ما أظن ان فكرة هذا التناحر خطر على بال أحدٍ ، ولا تعرَّض لهُ باحث من أرباب اللغة ، فانهُ كالسحابة الرقيقـة في افق السمآء ، تلك السحابة بل الطخة التي لا تكاد تراها العين لرقتها وخفّتها . ومع ذلك نودُّ أن نتعرض لهـذا البحث ليظهر

لكل ذي عينين انهُ كان العرب قد اتصلوا بقومٍ يمتّون الى السكسون بسبب من الاسباب هُوَ هذا :

السكسون قبيل من الجرمان وكان هذا الجيل متّصلاً أشدّ الاتصال بالآريين، وكانت منازل الآريين ديار ايران - وما ايران إلا مقلوب أريان - فاتصل بهم الناطقون بالضاد على صعيد العراق ، والعراق رقعة قديمة من رقاع جزيرة العرب ، وكان الاختلاف اليها مَعروفاً منذ أقدم الأزمنة ، فاتصل اذن آباء الجرْمان بآباء العرب . فوقع الى سلفنا من الالفاظ ما اتفق بعضهُ مع بعض كلامهم . وعلى ذلك نرى إلى اليوم آثاراً من ذيالك الاختلاط الضارب في القدم . ونحن نذكر بعض ما يحضرنا من هذا القبيل :

١ً . ذن

ذكر صاحب القاموس في مادة (اذن) : « إذَنْ : جواب وجزاء ، تأويلها ان كان الأمر كما ذكرت . ويحذفون الهمزة فيقولون : « ذَنْ » واذا وقفت على « إذَنْ » أبدلت مِن نونهِ الفاً » اه . قلنا « ذَنْ » هي أقدم صورة للكلمة وأُتِي بالهمزة لتكون الكلمة على ثلاثة أحْرُفٍ . و (ذَنْ) تنظر الى الانكليزية مبنًى ومعنًى أي THEN وقد تكلمنا عليها كلاماً طويلاً في ص ١٣ فارجع اليها .

٢ً . بَذ

في القاموس : طعام بَذ أي ردِيء وهو بالانكليزية BAD وقد قال وبستر شاكاً في هذا الاصل - : لعلها من الانكليزية السكسونية BAEDEL أي الخنثى وقابلها بالكلمة BAEDLING أي لمخنَّث. وأما في لغتنا فكأنما الرديء سمّي بهِ لانهُ أهل لأن يبيد أي يهلك ، أو عرضة للتلف والهلاك . ثم لاحظ كيف ان الانكليز لم يهتدوا الى معرفة أصل كلمتهم معرفة تامة .

٣ً . بَذ

قال ابن مكرم : بَذ بمعنى « غير » . يقال : رجل كثير المال ، بَذ انهُ بخيل .

معناهُ : غير انهُ بخيل . حكاهُ ابن السِكّيت . وقيل : هي بمعنى « على » حكاهُ ابو عبيد . قال ابن سيده : والاول أعلى . وأنشد الأُموي لرجل يخاطب امرأةً :

عَمْداً فعلتُ ذاكِ « بَيْدَ أنّي » إخالُ إنْ هَلَكْتُ لم تَرِنّي

يقول : على أني أخاف ذلك . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليهِ وسلم ، أنهُ قال : « أنا أفصَحُ العرب ، بَيْدَ أنّي من قُرَيشٍ ، ونشأتُ في بني سَعْدٍ » . « بَيْدَ » بمعنى « غير » . — وفي حديث آخر : « نحن الآخِرون ، السابقون يَوْمَ القيامة ، بَيْدَ أنهم أوتُوا الكِتابَ مِن قَبْلِنَا ، وأُوتيناهُ من بَعْدِهم . » — قال الكسائي : قولُهُ « بَيْدَ » معناهُ « غَيْرَ » — وقيل معناهُ : « على أنهم » . اه كلام اللسان .

فَبَيْدَ بمعنى « غير » تنظر الى الانكليزية BUT وقد تكلم عليها وبستر كلاماً طويلاً ، وحاول محاولاتٍ عدة ليقنع القارىء بتأويلهِ وشروحهِ . فنحوّل الباحث عليهِ ، إلا أننا نجلب نظرهُ إلى أن الصلة بين اللفظين العربي والانكليزي واضحة كل الوضوح .

٥ . (الذَّيْل)

الذَّيل : الذَنَب وآخر كل شيء وهو ينظر الى الانكليزية TAIL قال وبستر : هو بالانكليزية السكسونية TÆGEL,TAEGL ويتصل بالجرمانية ZAGEL والاسلندية TAGL والأسوجية TAGEL والقوطية TAGL ومعناها الشَعَر . وأصل العربية أقرب إلى العقل . لان معناهُ : آخر كل شيء . فقد يكون الذنب آخراً في الحيوان أو السمك أو الحشرة وليس هناك شعر . فليحكم الباحث بعد هذا الى صحة ما في لغتنا وما فيها من الحكمة وإيضاح الحقائق .

٤ . (المِلْح)

قال ابن الاعرابي : « المِلْح [بالكسر] : اللبن . — ابن سيدَه : ملح : رَضَعَ » اه . (راجع اللسان في ملح وكذلك القاموس والتاج) فالمِلْح ينظر الانكليزية

MILK ومعلوم أن ليس لليافثيين حرف حلق ، فيجعلون في مكانه أحرفاً مختلفة ولا يتبعون في إبدالهم هذا قاعدة مطردةً ، فمرة يضعون الهاء H وتارة C أو K ، وأخرى CH وحيناً KH ، وكثيراً مايسقطونها بتاتاً في كلامهم ، إلى ما يتخذونهُ من الاسباب بلوغاً إلى أمنيتهم ، أو تحقيقاً للفظ الساميّ قال وَبْسْتَر في معجمهِ [وفيهِ ترى تنقل الحاء الى أحرف مختلفة] فيMILK هو بالانكليزية السكسونية :MEOLUC, MEOLOC, MEOLC, MILC قال : وهو يتصل بالأصل الفريْسـياني القديم أي OLD FRIESIC الذي هو MELOC وبالهولندية MELK وبالجرمانية MILCH ، وبالألمانية العالية القديمة MILUH وبالأسلندية MJOLK وبالدنيمركية MELK وبالقوطية MILUKS وبالجرمنيةMELKEN أي حَلبَ وهو بالجرمنيّة العالية القديمة MELCHAN ، وباللّتْوَانيةّ MILSZTI ، وباللاتينية MULGERE ، وباليونانية ἀμέλγειν ('AMELGEIN) .

وقد نقلنا كل ذلك بحروفهِ عن وبستر وهومن أعظم اللغويين الأميركيين معرفةً للانكليزية ، لغرضين : الأول : لتقارب اللغات السكسونية بعضها من بعض وكيفية انتقال الحرف الواحد الى صور مختلفة باختلاف الأقوام . والثاني لتوجيهِ نظر الباحث الى أن بعض المفردات العربيـة والسكسونية تتشابه مشابهة أو تتناسب مناسبة لا بد من القول بوجودها ،ولا ينفع النكير فتيلاً بعد هذا الدليل الجليل .

٦ . (باع)

باع : يفيد في لغتنا معنيين . معنى أعطى رجلاً ما يملكه بدل ثمن يقبضهُ ، ومعنى اشترى شيئاً من رجل . فباع بالمعنى الثاني هـذا يقابلهُ بالانكليزية TO BUY وهي تلفظ كالعربية ، خلا العين ، فانها ليست في لغتهم لأنها من أحرف الحلق وإلافانها تلفظ (بَاي) ولمعنى واحد .

قال وَبْسْـتر في BUY هو بالانكليزية القديمة BUGGEN, BIGGEN, BIEN وبالانكليزية السكسونية ١٠٨ ، BYC وهو يتصـل بالسكسونية القـديمة BUGGEAN

وبالقوطية BUGIAN وهنا أيضاً تقلبت العين تقلُّباتٍ شتى بحسب القوم الذي نطق بها. وهذا دليل آخر على أن الحرف الحلقي لا يبقى على حالةٍ واحدة حين انتقالهِ الى لغات اليافثيين على ما يتوقع منهم .

على أن العرب أنفسهم تصرَّفوا في لفظ العين على حدّ ما تصرَّف فيها الاجانب، وعندنا أدلة لا تحصى ليس هنا محل إيرادها لكثرتها وخروجها عن الموضوع. بيد أننا نقول أنهم ذكروا للفعل : (باع) يبيع كالمعنيين المذكورين : (بَاكَ) يَبُوكُ وهو غريب .

٧ . (حَسَّ)

المراد بِحَسَّ هنا أحد معانيهِ قال في اللسان ما هذا بَعْضُهُ : حَسَّ البردُ الكلأَ يَحُسُّهُ حَسًّا : أحرقهُ . فالحِسُّ : بَرْدٌ يُحْرِقُ الكلأَ ، وهو اسم : وقد ذكر أبو حنيفة الدينوري أنَّ الصاد لغة فيهِ . وفي كلتا المادتين في اللسان كلام طويل .

قلنا: وهو يقابل الانكليزية TO ICE أي جَمَّدَ تجميدًا أوأجمد إجماداً قال وَبْسْتر : ICE بالانكليزية القديمة IS, IIS وبالانكليزية السكسونية IS وهي تتصل بالأصل الهولنـدي IJS وبالجرمنية EIS وبالجرمنية العاليـة القديمة IS وبالأسلندية ISS وبالأسوجية IS وبالدنيمركية IIS ولعلها تتصل بالانكليزية IRON التي معناها الحديد، كأن الجَمَدَ غَدَا صُلْباً كالحديد .

وفي هـذهِ الألفاظ سقطت الحآء وهي من الأحرف الحلقية . ورأينا السين نُقلت الى بعض اللغات بالحرف الغربي S ونقلت الصاد بحرفين غربيين أي SS كما في الأسلندية .

وقد اجتزأنا هنا بمعارضة حرفين عربيين ، واسمين عربيين ، وفعلين عربيين ، بأمثالها من اللغة السكسونية ، وعندنا غيرها . إلا أن هذهِ الشواهد تدل على أن هنالك أمثالاً عديدة تؤيد هذهِ الفكرة وهي أن أجداد الناطقين بالضاد اتصلوا بآباء

السكسون من قديم الزمان ولا يعرف ذلك الوقت ، إلا أن الآثار اللغوية لا تبقي شكاً في هذا الموضوع .

٢٧ً. منافع معارضة العربية بغيرها من اللغات

ان منافع معارضة اللغة الضادية بغيرها من اللغات لا تقدر . ولا يمكننا أن نأتي على ذكرها كلها ، إلا أننا نذكر بعضها ، اذ مالا يدرَكُ كُلُّه ، لا يترك جُلُّهُ .

فأول هذهِ الفوائدِ أنها تطلعنا على معاني بعض الكلم التي لم يشرحها لغويونا الأقدمون شرحاً كافياً ، لنقف على حقيقة المشروح وقوفاً يُصَوِّرُهُ لنا تصويراً لا نرتاب فيهِ. فهناك ألفاظ قالوا فيها (معروف) ولا بدَّ أنهُ كان معروفاً عندهم حينئذٍ، وأما اليوم فان طائر الريب والشك ، يحوم حولهُ . وهناك الفاظ لم يذكر منها إلا بعض الشيء الذي لا يكفي لتعريفهِ . كقول القاموس : « الدُهْنة ، بالضمّ ، الطائفة مِنَ الدُهْن والجمع أدْهَان ودِهان . وقد ادَّهَنَ بهِ ، على افتعل . والمُدْهُن بالضم آلتهُ وقارورتهُ ، شاذ » اه . هذا كل ما ذكرهُ في هذا المعنى فما هو الدُهْن ؟ فلنسأل ابن منظور ، فلعلهْ يوضح لنا معناهُ .

قال في مادة (دهن) : « الدُهْن : معروف . دَهَنَ رأسهُ وغيرهُ ، يدْهُنُهُ دَهْناً : بَلَّهُ . والاسم : الدُهْن والجمع أدْهان ودِهَان . » الى آخر ما سرَدَهُ من الكلام ، والأبيات ، والأحاديث ؛ لكن لم يتبيَّن من كل ذلك معناهْ الواضح .

وقد كتب أحد الأدباء مقالاتٍ في المقتطف في جزء أبريل (نيسان) ويونيو (حزيران) من سنة ١٩٣٦ وفي جزء ابريل من سنة ١٩٣٨ محاولاً أن يقنع أدباء العرب أن المراد بالدهن . الزيت الذي يتخذ من عصر بعض الأنبتة ، مخالفاً بكلامه هذا ما هو شائع عند جميع أبناء الناطقين بالضاد وهذا الشائع هو أن الدهن يراد بهِ كل جوهر دسم من مَعدِنيّ ونباتيّ وحيوانيّ على ما ورد في كلام كبار لغوييهم وكتّابهم . وأظن أن من يطالع هذهِ السطور يتهمني بأني أنسب اليهِ مالم يقُلْ ،فأنقل آخر عبارة وردت في كلامهِ (أي في مقتطف ابريل ١٩٣٨) ودونكها بنصها :

... «فنجد أن[1] الأب أنستاس واهم في مقالهُ فالدهن لا تفرزهُ رؤوس الناس[2] لا نساء ولا رجالاً بل هو الدهن أو الزيت[3] كما جاء في القرآن الكريم فالاب جعلهُ شحماً رغبةً منهُ في جعل الدهن كذلك ، وهو مخالف للآية التي ورد فيها الدهن . ومن العجب[4] أن ذلك يجوز على الجوهري والفيروزابادي والزبيدي ولاين[5] الأعجمي . ولو تبصر الاب أنستاس في عبارة التاج لما حصل لهُ هذا الوهم[6]. فالدهن

---

(١) نحن لا نمس النصّ بشيء . لكن نشير هنا في الحاشية الى ما في كلامه وفكره من الضعف . — فقولهُ : « فنجد ان الأب » غير صحيح والصواب : فنجد الأب . قال في اللسان « وجد مطلوبهُ والشيء يجدهُ وجوداً . » ولم يقل : وجد ان مطلوبهُ .

(٢) قوله : « لا تفرزهُ رؤوس الناس لا نساءً » . خطأ ظاهر . والصواب : لا تفرزهُ رؤوس الناس نساءً ولا رجالاً . لان النفي الذي يتقدم النساء موجود في قوله: لا تفرزهُ ومنه الآية : « وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سواعاً » ولم يقل : لا تذرنّ لا آلهتكم .

وقولهُ : « لا تفرزهُ رؤوس الناس » ، قول مدهش لانه امر لا يجهله أصغر طلبة المدارس فان الذين يعرفون الفرنسية مثلا يقرأون في معجم لاروس الصغير الذي بأيدي الطلبة ما هذا معناه : « الدهن جوهر دسم يسهل ذوبانه ويكون في الانسان والحيوان . ودهن الحيوان صرفاً كان ام غير صرف ، يتخذ لطبخ الاطعمة ودهن ادوات الآلات . الى نحو ذلك . وقد يكون الدهن في النبات (ويسمى زيتاً الخ) وقد يكون في المعدن (ومنه النفط الخ) » اه كلام المعجم الصغير المطبوع في سنة ١٩٣٨ ومن يشك يطالعه في GRAISSE .

(٣) كلام لا معنى له . والصواب « لان الدهن هو الزيت » والزيت لا تفرزه الرؤوس .

(٤) قولهُ : « ومن العجب » كلام لا يتسق بسابقه ولا يلاحقه . وكان عليه ان يقول « فمن العجب » والفاء هنا سببية . فيكون معناها : « فلهذا السبب ، من العجب ان يجوز »

(٥) لا ارى سبب كتابة LANE هكذا : (لاين) فان الانجليز يلفظونها (اين) بفتحة تمال بها الى الكسر كما يلفظ العوام (بيت) حينما يقولون مثلا : (بيت لحم) . ولهذا يكتبها الافرنج BETHLEHEM وكما ان العرب يكتبونها (بيت لحم) لا (بايت لحم) كذلك يحسن ان تكتب LANE (لين) لا (لاين) لان هذا العلم ينطق به لو كتبناه باحرف فرنسية هكذا LENE . فاما ان يكتبها (لان) وتقرأ (لين) كما يكتبون (سام) وهي (سيم) اى SEM واما (لين) .

(٦) قوله : « لما حصل له هذا الوهم » قول غريب يكاد يكون هندياً او صينياً او يابانيا او بلغة لا اصل اليه افهامنا أو لم نسمع بها . أفلو قال : « لما وهم هذا الوهم » او « لما وقع في خلده هذا الوهم » او « لما سها هذا السهو » او « لما وقع في صدره هذا الوهم » الى ماضاهى هذه التعابير وهي اكثر من ان تحصى او تحصر . أما كان احسن ؟

كما ذكرت في المقالة الاولى ولا يمكن غيره (١) وكما ذكرت في مقتطفي ابريل ويونيو (٢) سنة ١٩٣٦ التي قبل السنة الماضية (٣).

فاذا أراد الواحد أن يقول الدهن فليقل أنها عامية أو مولدة (٤) امنًا للعثار فلا

---

(١) قولهُ : « ولايمكن غيره » كلام يدل على ان صاحبه متشبع من نفسه . فبأيّ سلطة يحكم هذا الحكم المطلق . والائمة اللغويون الاقدمون لم ينطقوا البتة بمثل هذا الكلام الجازم ؟ فاذا كان الدهن لم يرد بمعنى الدسم الذي يكون في الحيوان والانسان . فكيف يفسر لنا ما ورد في اللسان في مادة (ودك) : « وفي حديث الاضاحي . ويحملون منهـا الودك هو دسم اللحم « ودهنه » الذي يستخرج منه » ؟ انتبع حضرته ام نتبع مؤول الحديث ومن سبقه وجميع سكان البلاد العربية اللسان ؟

(٢) قولهُ . « في مقتطفي ابريل ويونيو » قول مخالف للحقيقة ، لاننا نعلم ويعلم كل قارىء ان المقتطف يصدر مرة في الشهر لا مرتين : فكان يجب عليه ان يقول : « في مقتطف ابريل ويونيو » فيكون معنى المعطوف : ومقتطف يونيو . اما لو كانت المجلة تصدر مرتين في الشهر ، فكان القول صحيحاً . والا كيف يكون قوله لو كان المقتطف يصدر مرتين في الشهر ؟ وهناك وجه آخر للقول وهو : في مقتطف ابريل ومقتطف يونيو . على ان كلامه كما ذكره يجوز لكن على ضعف ، وهو من تعبير المولدين لا الفصحاء الصميم .

(٣) لم نفهم هـذه العبارة . لحضرة المعترض يكتب في ابريل من سنة ١٩٣٨ ، ولاجرم ان يونيو سنة ١٩٣٦ هو قبل السنة الماضية اى ١٩٣٧ ، افتكون سنة ١٩٣٦ في غير وقت ، حتى يقول : « التي قبل السنة الماضية ؟ » هـذا كلام مظلم ، لانصل الى كنهه ولا نفهم وجه هذا التأكيد الغريب في بابه ولا التعبير عنه بهذه الصورة .

(٤) لانرى ولا يرى احد ان « الدهن بهذا اللفظ وهذا المعنى عامية ولا انها مولّدة ، اذ اننا وجدناها في عهد سابق للمسيح حين معارضتنا اياها باليونانية démos δημὸς فالحرف اليوناني H كثيراً مايقابل حرفاً محذوفاً ولاسيما حرفاً حلقيا وهو هنا يقابل الهـاء واما الميم في آخر اليونانية ، فيقابله نون في لساننا او ميم ايضاً . ويقابله هنا نون . وهـذا ليس عجيباً لان هذه المعاقبة ترى في العربية نفسها فيقال المدى والندى (الغاية) والبنام والبنان . وقال الازهري في القعن والقعم : العـرب تعاقب الميم والنون في حروف كثيرة لقرب مخرجيهما مثل الايْم والأيْن للحيّة والغَيْم والغَيْن للسحاب ولا أنكر انْ يكون القَعَنُ والقَعَمُ منه (السن في قعن) ونقلهُ صاحب التاج ولم يَعْزُهُ إلى صاحبه ومن هذا المنقلب الرساطون واصلهُ ROSATUM والماطرون واصلهُ MARTYRIUM وقالوا بالعكس دم وهي بالرومية PANIS وقال اليونان (mairé) μαῖρα و MAIRA μαῖρα ومعناهما عندهم الكوكب الاكبر والشعرى اليمانية من كواكب السماء ، وهي تنظر الى « النيّرة » وقد خففتها قلت : « النَيْـرة » . فتكون كاليونانية بقلب الميم نوناً

يصطدم الدهن بكتب اللغة[1] والآية الكريمة . أما الدهن والشحم فكما ذكرت في صدر هذهِ المقالة والتي قبلها . ثم ان الدهن والشحم لم يردا في القرآن الكريم إلا في آيتين فقط وقد ذكرتهما . عرفت ذلك من فهرست فلوجل اشتراهُ[2] لي وأنا في بغداد الاب أنستاس . » اه كلام الكاتب

وكان أول اهتدائنا الى معنى الدهن الحقيقي والاصلي بمعارضتنا إياها باليونانية التي ذكرناها في الحاشية هنا فكتبنا في مقتطف يوليوسنة ١٩٣٨ (أي المجلد ٩٣:٥:١٠٥): « هذا المعنى [الاصلي] سبق معناهُ الآخر الفرعي أي الزيت بمعنى ما يستخرج من الأنبتة ، إذ ورد بالمعنى الاول في الالياذة في ٣٢ : ٥٠١ و٢٣ : ٧٥٠ الى غيرها من المواطن . والعدد الاول يشير الى رقم القصيدة بموجب ترتيبها ، والرقم الثاني الى رقم البيت بحسب ترتيبهِ . وجاء أيضاً في الاوذسّة في ١٤ : ٤٢٨ إلى مواطن عدة أخر . وكذلك في هسيودس الاسكريّ المتوفى بين ٩٠٠ و ٨٠٠ ق م ، في قصيدتهِ الموسومة بثئوغونية في البيت ٨٣٨ ، الى غير هؤلاء الشعراء ، والكتبة ، والمؤرخين اليونانيين ، مما يضيق المقام عن ايراد شواهدهم . وذلك « قبل الميلاد » .

وأما الدهن بمعنى الزيت ، فكان في أوائل النصرانية ، وقبيل الاسلام ، فحصر العرب معنى الدهن بما ماع من الشحم ، أو بما يستخرج عصراً من بعض الأنبتة الدهنية أو الدسمة ؛ وعليهِ : كان العود الى الدهن بمعنى الشحم أحمد ، وهو الوجه الأوجه والأشبه . والأصل أحق أن يتبع ، لأنهُ إذا جاز لنا أن نتخذ الفرع حجة لنا ، فبِحُجَّة أولى أن نتبع الأصل . ويزيدنا إثباتاً لذلك وأخذاً بهِ : استعمال جميع الناطقين بالضاد

---

(١) هذا تعبير عاميّ ركيك . والصواب : لايصطدم الدهن وكتب اللغة قال في اللسان « التصادُمُ : التزاحم . والرجلان يَتَصادَمانِ فيتصادمان اي يُصادِم هذا ذاك وذاك هذا والجيشانِ يتصادمانِ . قال الازهري : واصطدام السفينتين : اذا ضربت كل واحدة صاحبتها ، اذا مرّتا فوق الماء بحمولتهما . والسفينتان في البحر تتصادمان وتصطدمانِ : اذا ضرب بعضهما بعضاً . والفارسانِ يتصادمان ايضاً » اه

(٢) لم نفهم سر ذكر مشتراه لفهرس فلوجل في مقالة يتكلم فيها على الدهن . ولهمثل هذهِ الاستطرادات مايدفع القارىء الى الحَيْرة في مايفكر بامرهِ .

في الربوع العربية اللسان ، بلا شاذّ ، ومن أقدم العهـد . ولا يُهِمُّنا إنكار المكابرين لهذا الشيوع والتعميم » ثم قلنا :

« قد قلنا سابقاً : ان [الدهن] العربية تنظر الى اليونانية (المقتطف ٩٢ : ٦٤) ومعنى ذلك أنها تشبهها ، وليس معناهُ : أن اليونانية هي من العربية ، ولا ان العربية هي من اليونانية ، كما يتوهمهُ بعضهم . ولما لم يكن عندنا كلام مدوَّن يرتقي عهدهُ إلى ما قبل الميلاد ، بخلاف ما عند الاغريق ، نضطر الى النظر في هذهِ اللغة اليونانية في الالفاظ المشابهة لألفاظنا ، في ما ورد في مدوناتهم لمعرفة قدمها عندنا ؛ وعند استشارة كتبهم وَجَدنا أنَّ اول معنى الدهن هو الشحم الجامد .

« وهكذا كان في لغتنا ، ولو كان عندنا من المدوَّنات القديمة ، كما نرى منها عند الملَتِّيين ، لوجدنا أول معنى كان للدهن هو الشحم الجـامد ، ثم انتقلوا بهِ الى المعنى الثاني ، أي الى الدُّهْن السائل والإهالة ، وبالحالة التي يكون عليها ، وهو في الجِسْم » أ ه المطلوب من ايرادهِ هنا .

وقد اهتدينا الى مَعاني مئاتٍ من الالفاظ غير البينة في المعاجم ، باتخـاذنا هذا الاسلوب اللغوي ، أي بمعارضة الفاظنا بألفاظهم ، فكانت النتيجة من أعظم ما يحلم بهِ فقهاء هذهِ اللغة المُبِينَة .

فعرفنا ان (القُنْسَطِيط) هِيَ خمرة معروفة عنـد الأقدمين ، لا (شجرة) كما وردت في جميع كتب اللغة (راجع مقالتنا في جريدة الاهرام الصادرة في٣/٩/٣٧) وأصلها في اليونانية (Konyzitès oinos) Κονυζίτης (οἶνος)

وقد حاز علماء الطير في عصرنا هذا من معرفة اسم الطائر المسمى عند الفرنسيين CYGNE ولانكليزية SWAN فنهم من نقلهُ الى بجع وهم الاكثرون . وهذا خطأ لان البجع هو pélican بافرنسية و PELICAN بالانكليزية . ومنهم من نقـله الى

(أرْدَف) وأول من ذكرها مطبوعة في كتاب هو بقطر صاحب المعجم الفرنسي العربي وهي غير موجودة في العربية ، انما هي تصحيف: (اوردق) أو (اوردك) بالتركية ومعناها البطة ويطلقها بعضهم على البجع سهواً . فنقلها عن بقطر أصحاب المعاجم الفرنسية إلى العربية . - ومنهم من قال انهُ (الفون) وهذا غير معروف في لغة الضاد ، وأظن ان الاصل الحقيقي هو (القُوق) أو (القيق) بقافين بينهما واو او يآء فصُحّف وهو ينظر الى اليونانيـة KYKNOS κύκνος ويظن علمآؤهم ان اليونانية مشتقة من الاصل KAN ومعنـاه : رَنّ وصَقَع وصَلَع . ونحن لا نرى هذا الرأي بل نظن انهُ مقلوب (يقق) أي أبيض . وهذا الطائر معروف بلونهِ الابيض الناصع ، ويقال فيهِ (قوق) ، و (قيق) ، و (يقق) . (راجع لغة العرب ٨ : ٣٥٩) وهذا الكتاب ص ٤٨

ولا نريد أن نتبسط في البحث هذا لاتسـاعهِ فهو كالبحر الخضمّ فاجتزأنا بالاشارة اليهِ فقط .

٢٨ً . شروط الأخذ من لغة

أول شروط الأخذ :

اتصال الأمة الواحدة بالأمة الثانية ، أي ان الأمة الاخذة كلمتها من الامة الثانية المقتبسة منها الكلمة ان تتصل بها ، وقد يكون هذا الاتصال بالجِوار ، أو المتـاجرة ، أو المعاملة ، أو المصادقة ، أو المكاتبة ، أو المطالعة ، وهتان الصلتـان من مزايا هذا العصر . فان لم يكن ثَمَّ اتصال ، فلا أخذ . ونحن نذكر لك بعض الشواهد العصرية . فالفوتغرافية والتلغراف والتلفون وما أشبه هذه الكلم العصرية هي يونانية الاصل ، لكن لا نستطيع أن نقول اننا اقتبسناها من اليونان ، بل من أبناء الغَرْب كالفرنسيين، والانكليز ، والايطاليين ، والالمان مثلاً . وهؤلاء وضعوا الكلمة نحتًا من اليونانية ، أو من اللاتينية ، فهم اقتبسوها من كتب الهلّنيين لا منهم مباشرة . وهـذهِ مسألة لا بد من الاحتفاظ بهـا ، لكي لا ينخدع الكاتب بمـا ينقلهُ عن الغير أو يدعي بأنهُ مقتبس من الامة الفلانية : إذ يكون خاطئًا في مدّعاهُ .

الشرط الثاني :

لا يشترط في الأخذ أن تأتي الكلمة في العربية مطابقةً « كل المطابقة » للكلمة الواردة في اللغة المأخوذة منها ؛ بل قد يجوز أن يكون أُخِذ منها بعض معناها ؛ أو أن العرب تصرفت في معناها بعد نقلهم إياها إلى لغتهم ، وربما صحفتها أيضاً . فالقرطاس مثلاً يونانية من (ὁ) χάρτης, ου (khartès,ou) ومعناها الورقة من الكاغِد،فالسلف ثلثوها ، مع انهـا في الاصل مفتوحة ثم نقلوها الى قَرْطَس كجعفر وقِرْطَس كدِرهم ، وقالوا من معانيها :« الجمل الآدم أو الجارية البيضاء المديدة القـامة ، والصحيفة من أي شيء كانت ، وكل أديم يُنْصب للنضال ، والناقة الفَتيّة ، وبُرد[1] مِصْرِيّ . ودابة قِرْطَاسِية لا يخالط بياضها شِيَةٌ . ورمى فقرطس : اصـاب القِرطاس . وتَقَرْطَس : هَلَك . » (القاموس)

فأنت ترى من هذا ان المعاني تعدّدت وكلها مبنية على التوسع في البياض ، لأن

---

(١) كذا ورد في القاموس ولسان العرب . ولعل سبب هذه التسمية بياض ذلك البُرد كالقباطيّ مثلا ، وقد اشتهرت ببياضها النّاصع ورقتها وكانت من كتان . لـكن يحتمل ايضاً ان تكون الكلمة تَصْحيف «البَرْدِي المصريّ» وبردى مصر مشهور بحسنه وهو يكاد يكون أبيض ، اى انهُ آدم الاَوْن كالجمل المذكور آنفاً . وقد كتب ابن النديم في فهرسته (ص ٢١ من طبعة الافرنج) : كتب اهل مصر في القرطاس المصري . ويعمل من قصب البردى . وقيل: اول من عمله يوسف النبي عليه السلام » اه . فالقرطاس هنا بمعنى البابيرس او الفافيرس PAPYRUS ومنه اشتق الافرنج كلمتهم PAPIER والقرطاس يسمى باللاتينية CHARTA ويراد به البَرْدى المِصْرِيّ ومنهُ قولهم : CHARTAM TEXERE اى نسج البرديّ و نضده ويراد من ذلك : صنع ورقاً . وقيل ذلك لان الاقدمين كانوا يتخذون ورقهم او دفاترهم او قرطاسهم من تنضيد قشر البَرْدِي المصرى دون غيره . ولهـذا وجدنا الصواب هنا البردى المصري ، لا البُرْد . اللهم الا ان يقال ان البُرْد هنا جمع بُرْدى كقولهم في جمع تركى وكردي وروى ترك وكرد وروم وضموا الباء إشفاقاً من اللبس . لاننا لو فتحنا باء البُرْد جعلناها البَرْد وهو غير مرغوب فيه في هذا الموطن .

زد على ذلك ان CHARTA اللاتينية معناها البَرْدىّ نفسه اى النبات الذى يتخذ منه القرطاس . ورأينا في ردّ المعنى الى اصله لا غبار عليه .

اللون الغالب على الكاغِد هو البيـاض . وكان الأولون ينصبون للنضال قطعـة قرطاس ، لتظهر ظهوراً بيّناً للرامي ، فسُمّي الغرض قرطاساً . واذا أُصيب الغرض مُزّق ، فانتقل المعنى الى من يصيبهُ سَهْمُ القدر أو الموت فيقتـلهُ . وعلى هذا الوجه تُرى مِئاتٌ من الكلم المعربة جاريةً هذا المجرى .

الشرط الثالث :

ليس من الضروريّ أن تعرب الكلمة لحاجة الناس اليهـا أو الى معناهـا . كما ذهب كثير من اللغويين ، إذ يظنون : ان الكلمة الفلانية غير معربة لأن الناطقين بالضاد لم يحتاجوا اليهـا ، إذ مَعْنيُّها موجود في بلادهم ، أو لأن في لغتهم ما يُغْنِيهم عنها ، أو لعدم احتياجهم اليها . إلى ما ضاهى هـذهِ الاسباب . لكن السلف نطقوا بألفاظ دخيلةٍ كانوا في غنى عنها ، وانما تكلموا بها لأنهم ، أرادوا ذلك ، أو حاولوا أن يكلموا من يفهم تلك الكلمة ولا يفهم غيرها ، أو أرادوا أن يطلعوا السامع انهم يعرفون معاني بعض الكلم العَجَميّة ، أو لأنّ اللفظة الدخيلة طبعت في النفس طابعاً لا تؤدي اليهِ مفردتنا ، إذ إن حروفهم غير حروفنا ، ونبرتهم غير نبرتنا ، والاشتقاق من اصولهم غير الاشتقاق من اصولنا ، وشعورنا بتلك الدخيلات غير شعورنا بألفاظنا الضادية ، الى غير هذهِ الأمور المتعددة .

فقد جاء في لسان العرب في مادة (س و ر) : « وفي حديث جابر بن عبد الله الانصاريّ : ان النبي ، صلى الله عليهِ وسلم ، قال لاصحابهِ : قوموا ، فقد صنع جابر « سُوْراً » . — قال ابو العباس : وانما يراد من هذا أن النبي ، صلى الله عليهِ وسلم ، تكلم بالفارسية ، صَنَعَ سُوراً أي طعاماً ، دعا الناس اليهِ » اه .

فقد كان يستطيع الرسول أن يقول : صنع طعاماً ، او صنع ضيافة ، او وليمة . او أدب مأدبة ، الى غيرها من المفردات التي تعدّ بالعشرات ؛ لكنهُ عدل عنها كلهـا ، لأن (سُوراً) الفارسيـة ، طبعت في النفس طابعاً لا يُشْعَر بهِ أو لا يُحَسّ بهِ ، اذا قيل غيرها .

ومثل ذلك ما نقلهُ المذكور من كلام امير المؤمنين فقد ذكر في تركيب (ق ل ن) ما هذا نقلهُ : « الازهري : رُويَ عن عليٍّ ، عليهِ السلام ، أنهُ سأل شُرَيحًا عن امرأة طلقت ، فذكرت انها حاضت ثلاث حيض في شهر واحدٍ . فقال شُرَيحٌ : ان شهد ثلاث نسوةٍ من بطانة أهلها ، أنهـا كانت تحيض قبل أن طُلِقت في كل شهر كذلك ، فالقول قولها . فقال عليّ : « قالون » . قال غير واحدٍ من أهل العلم : قالون بالرومية معناها : أصبت . . . » وذكر هناك مثل هذهِ الكلمة ونسبها الى عبد الله بن عمر وفسرها برجل صالح . »

قلنا : وقالون كلمة يونانية (kalos,ê ou) καλός, ἡ, ον ومعناها : حسن وصالح وجيد الى آخر ما ضاهى هذهِ الالفاظ ، وتقال على الناس وعلى غير الناس .

الشرط الرابع :

يعرف الدخيل في لغتنا بكثرة أحرفهِ ، وبأنهُ لا يمتّ الى أصل عربي بما يوجّهُ وضعهُ ، واشتقاقهُ ، وصيغتهُ . ولهذا تكثر فيهِ اللغات ، أي اختلافات الكلمة الواحدة بأوجهٍ شتّى . هذا من باب الأغلبية ، إذ قد تكون الكلمة دخيلة وهي ثلاثية ، أو قد تؤوّل الدخيلة بما يوجّه اشتقاقها ، وإن لم يرد فيها لغات ، لكن كلامنا يقع على غالب ما جاء في هذا الباب . وإلا فقد ورد ما يخالفهُ والحكم على الغالب .

فقد عُرِّبت (ketos) τὸ κῆτος εος-ους بأوجهٍ شتى فقالوا ما هذا بعضهُ : القَاطُوس ، والعَاطُوس ، والقِيطُس ، والقاطوس ، والفاغوس ، والقَطَّا ، وحُوت الحَيْض . ولا نريد أن نثبت محل ورودها لئلا يسوقنا الكلام إلى أبعَدِ ما نَوَيْناهُ من طِيَّتِنا . مع انَّ السلف تَنوا في غنى عن هذهِ الكلمات ، لأنَّ عندهم « الحوت » وهو ينظر إلى الكلمة اليونانيه نفسها لأنَّ K تقابل الحاء في لغتنا في أغلب الاحيان فتدبَّر .

وعرّبوا φάλαινα (BALAINA) بما يأتي : البال ، والوال ، والفال ، والأوال ، والأفال ، والتال . والآل ، ولوالي ، والاوال ، والاوك ، والواك ، وأكيال ، والبالام .

وقد ذكرنا في كتابنا (أغلاط اللغويين الاقدمين) مواطن ورود هـذهِ الكلم، فلتُراجع من ص ٢٦٨ الى آخر ص ٢٧٤ . وكان العرب تسميها « جمـل البحر » . فهذه اللغات الثلاث عشرة لا تتصل بأصل عربيّ ، يوجّه هذهِ التسمية ؛ وهذا الباب أوسع ممَّا أن تُعَيَّن حُدودهُ فالوقوف عند هذا الأفق أوفق وآمن .

الشرط الخامس :

ان العرب عند تعريبهم الكلمة قد يتحكمون في تعيين معانيها على ما يهوون ، من غير أن يحق للاعاجم أو لبعض المتنطعين ان يردوهم عن قصدهم ويقولوا لهم : أخطأتم في المعنى ، لأن هذا المعنى ليس في الأصـل ، أو أن يقولوا لهم : أخطأتم في افراغ الكلمة الدخيلة بهـذا القالَب، الذي يُنكرهُ الاجانب على الناطقين بالضـاد . فكل ذلك مماحكات لا معنى لها .

مثـال ذلك : الأُوقيانوس ، وهو باليونانيَّة (okeanos) ὁ ωκεανός ου فان أبناء يعرب لما أرادوا معنى « البحر المحيط » عَرَّبوهُ بصورة « الأوقِيـانُوس » ، أو « الأوقِيانُس » ، أو « الأُقْيَانَس » أو « الأقْيَانُوس » ، وقصروهُ بصـورة « القاموس » . — ثم صَحَّفوهُ قليـلاً فقالوا : « الإفْرِيدُوس » . وقد وردت في كُتُب أوْصاف البلدان . قال فريتغ إنها تصحيف « الاقيانوس » ، وهو عِنـدهم بحر محيط بالأرض ؛ إلا أنَّ السُفُنَ لا تجري فيـهِ ، لأنَّ حواشيَ الأرض هناك ، مكفوفةٌ كفّ الثياب » اه .

وقصروهُ قَصراً آخر بصورة « قينس » وزان زَيْنَب وأرادوا بهِ البحر الثالث من أبحُر الارض السبعة[1] . ذكرهُ صاحب قصص الانبياء محمد بن عبد الله الكسائي (طبع ليدَن في ص ٩)

---

(١) اشهر البحار عندهم سبعة وهي : الاول بَيْنْطَش واكثرهم يسمونه نيطش وهو البحر الذي يسمى اليوم الاسود . — والثاني : الاصمّ وهو بحر الروم او البحر المتوسط . وهو

وصحّفوهُ بصورة « عِقْيَوْن » وزان كِذْيَوْن » وقالوا عليهِ : بحر من الريح تحت العرش ، فيهِ ملائكة من ريح ، معهم رِماح من ريح ، ناظرين الى العرش تسبيحهم : سُبْحَان ربِّنا الأعلى » راجع محيط المحيط في (ع ق ي و ن).

الشرط السادس :

لا حقّ لأحدٍ ان يعترض على ابنآء عدنان ، ان يتخذوا اسماً مفرداً يضعــونهُ هم ، وقد استلّوه من لفظٍ مجموعٍ دخيل . مثال ذلك : النِبْر لبيْت التاجر الذي يُنَضّد فيهِ المتاع ، فإنهُ مفرد أنبار ، وأَنْبَار تعريب اليونانية (EMPORION) ἐμπόριον بمعناه .

والفِرْدَوْس للبُستان ، فانّ جمعهُ فَرَادِيس . وفراديس تعريب اليونانيــة ὁ παράδεισος, ου PARADEISOS واليونانية من الزندية پَيْرِدايزا .

والقِرْميد مفرد القراميد . وهذهِ مأخوذة من اليونانيــة κεραμίς, ίδος (keramis, idos).

والقَرْن بمعنى الوقت من الزمان هو من قرون (KHRONOS) ὁ Χρόνος .

والكرّ بمعنى عشرة ملايين هو مفرد الكرور المعرَّب من الهندية كرور وتلفظ CROR.

والدَرْب دُرُوب واصلهُ في اليونانية (thurôm [ata,ôn] θυρώμ [ατα,ων]

الذي يسميه بعضهم البحر «الابيض» المتوسِّط . والبحر الابيض بحر آخر غير بحر الروم . - والثالث هو قَيْنَس هذا الذي ذكرناه وسمي كذلك لعظمهِ - والرابع الساكن وهو المشهور بالهادىء أو البَسيفيك أو الباسيفيكي . والياء لزيادة في الصفة كما في دوّار ودوّاري ، وأحمر وأحمريّ . - والخامس المُنْقَلِب وهو بحر الهند لانه يفضي إلى هذه الديار المعروفة بفناها وأمواهها - والسادس اسْوَقِنّس بتشديد النون المكسورة هو الاتلنتي أو الاتلنتيكي وهو الذي سمّاهُ بعضهم الاضني وهو وهم قبيح شنيع - والسابع الباكي الذي ينتهي بباب المندب ، باب البكآء والعويل . وقد كثرت أسماء هذا البحر واختلفت بين (بحر سوف) و (بحر إسَاف) و (بحر القُلْزُم) و (البحر الاحمر) وهو المشهور اليوم وعليهِ المعتمد في كتب المدارس والجرائد . لكن العرب الاقدمين لم تعرفهُ ، بل عرفت بحر القلزم ، وقبل ذلك البحر الباكي وبحر سوف أو بحر إساف . فحفظهُ تصب ان شاء الله

وفي المائة الثامنة عشرة من الميلاد ، دخل في كلامنا القِرْش او القِرْش على يد الترك باختلاطنا بهم ، وهم اقتبسوهُ من الالمان ، من غروشن أي GROSCHEN

وهكذا يُقَال عن الفاظٍ أُخر ، جاءتنا عن هذه السبيل ، او عن سبيل أخرى ، فجرّد السلف من اللفظ المجموع مفرداً ، والناظر اليهِ يظنّ الخلاف والاصل ما ذكرناهُ .

الشرط السابع :

لا اعتراض على أبناء مُضَرَ اذا قطعوا الكلمة قِطْعَتَيْن صدراً وعجزاً ، فيحتفظون بصدرها ويلقون عجزها – او يحتفظون بعجزها ويلقون صدرها ، أو يحتفظون بكلٍّ من صدرها وَعَجُزها ويُبَيِّنُون لكلٍّ من هذين الجزءين معنًى مستقلاً بذاتهِ .

مثال الاحتفاظ بالصَدْر . نَشَا سْتَج فانهم قطعوا الكلمة جزءين فقالوا « نَشَا » أو « نَشَــاء » ورَمَوا « سْتج » . – وقالوا في هَزَاردَسْتَان « هزار » والقوا « دَسْتان » . وقالوا في « دِيكْ باي » « الديك » أي الاثفية وفي σαρκοφάγος الشَرْجَع .

ومثال الثاني : خَرْدَاذِي فانهم نبذوا « خَر » واحتفظوا بـ « دَاذِيّ » . – وقالوا في « اذريطوس » : « الطُوسَ » . وقالوا في « نابَهْرَهْ » : « البَهْرَج » .

ومثال الثالث : « أُدْرَه قيــلة وهي من (ἡ) ὑδροκήλης ʽhydrokèlè فقــالوا : « أُدْرَة » ، و « قِيلَة » . وكل منهما يَعني الفتق في إحدى الخصــيين (راجع القاموس) .

الشرط الثامن :

أن لا يحكم الباحث على ان اللفظة الفلانية هي تعريب الكلمة الأجنبية الفلانية لمجرد مجانسة او مشابهةٍ بين الاثنين . فلا يحق لهُ ان يقول مثلاً ان الجليد تعريب GELIDUS اللاتينية وهي كالعربيــة مبنى ومعنًى . لأن الروميَّة من فعل GELARE

والضادية من « جَلَدَ » وبين الفعلين فرق بَيّن، فالمشابهة عرضية ومن باب المصادفة لا غير.

ولا يقال ان العُتُلّ وهو الغليظ الجافي من اليونانية ἀθηλυς (athēlus) أي غير المخنّث فان المشابهة ظاهرة لا غير. وأما الاصول فمتباعدة بعضها عن بعض.

واننا نكتفي هنا بهذهِ الشروط، مذخرين كلاماً أطول في كتابنا الموسوم بـ « المعرّبات وفوائدها ».

٢٩. الحربُ بين الكلم العربيّة والغريبة

أ. مدخل البحث

يحارب قوم قومًا ليذلّهُ، ويجتاح بلادهُ، مباهاةً، أو توسُّعًا في الديار التي يفتحها. ويحارب بيتٌ بيتًا، تشفّيًا لضغائن، أو نقاءً بينهما من عادات وسخائم، ذات بها جماعة، ورفعت رأسها طائفة أخرى.

ويقع القتال في أعضاء البيت الواحد، دفاعًا عن عرض، أو عن حقوق صادقة، أو كاذبة، حقيقية أو وهمية، لكن الخصم يعتقدها مُدينة لهُ؛ فينهض استردادًا لحقوقهِ المضاعة، واستعادةً لما اخذ منهُ عنوة.

لا بل قد يقع الخصام في المرء نفسهِ، محاولاً كبح نفسه السفلى الأمّارة بالسوء، ليكون نصر النفس العليا. ولذا قيل: اعدى عدوٍ لك نفسك التي بين جنبيك. ولذا السبب عينهُ عُدّ الصُّرَعَة (بضم ففتح) أعظم رجل في الخلق، لأنهُ يغلب نفسهُ عند الغضب ويقهرها، وهو أكبر نصرٍ يفوز به المرء، إذا تمكّن من البلوغ إليهِ.

فالحرب — على ما ترى — معروفة بين الاقوام والبيوت والنفوس . وللكلم في كل لسان حرب عوان أيضاً ، فالحديثة ، الشديدة القوى ، تصرع الهرمة ، وتقتلها، وتميتها . وفي لغتنا شيء كُثار من الالفاظ الصرعى الميتة ؛ أما اذا كان في الكلم القديمة قوة ، وخفة ، ورشاقة ، وتدفق حياة ، وحسن أسلوب ، وعذوبة جرس ، فانها تقاوم كل لفظ يحاول زحزحتها عن مكانها ، ولو كانت قديمة هرمة .

ب . أي الكلم لا تموت

وفي جميع اللغى ، حروف قديمة لا تموت ، ولن تموت ، ولو مضت أو تمضي عليها ألوف القرون ، لما فيها من ضروب المناعة والمكافحة ، على ما أشرنا اليه ؛ فانك اذا راجعت مثلاً بعض الاصول اليونانية واللاتينية والعبرية والعربية والإرمية ، ترى فيها الفاظاً جمة ، تعد بالالوف ، وهي حية إلى هذا اليوم ، و إلى ما يشاء الله ؛ مع انه قام بجانبها لغة يونانية حديثة ، وعدة فروع من اللاتينية ، كالايطالية والفرنسية والاسبانية . وكذلك في العبرية والآرامية والنبطية ، فقد دهمتها كلم عديدة دخيلة ؛ إلا ان الفصحى منها ، والسامية ، والمذاهب فيها ، بقيت على ما كانت ؛ فاستقامت كلها إلى إن ثبت الوضع منها ، باختلاف يسير في ثبات البنات المحدثات . [illegible] بالكلم التي حاولت أن تقتلها ، فلم ترجع عنها بطائل ، للاسباب المنيعة التي ميزتها عن سواها ، وهي التي أشرنا اليها فويق هذا .

والآن [illegible] « مجمع اللغة العربية الملكي » قتل بعض الكلم التي تسربت إلى اللسان المبين متدفقة من لغى الاجانب ، والمدخلات ، والعوام ، [illegible] إلى قتلها ، ودفنها ، واحياء غيرها في مكانها . اما بنشر المماتات . بل هذه منها [illegible] مئات من السنين . واما بوضع الفاظ يستقها من الاصول البينة ، متبعاً فيها قواعد السلف ، وضوابطهم ، واحكامهم التي جروا عليها في سابق العهد ، في مثل [illegible] ، والفنون ، والصنائع التي نشأت بعد الاسلام .

ج . سقم تعليل بهذا الصدد

ويدّعي بعض الاعضاء المحترمين ان الوضع الجديد لا يؤثّر في ابناء هذا العصر الذي نشأ على فساد اللغة ، فاستعذب الكلام الفاسد ؛ انما يظهر امرهُ في الاجيال الآتية من أبنائنا الذين في أصلاب آبائهم اليوم .

فجواباً عن ذلك نقول : ان الالفاظ الحديثة ، ان لم تجمع في نفسهـا المزايا التي تخلّدها ، فانها تكون من قبيل المخلوقات المشوّهة الشاذّة ، النادّة عن سنن الطبيعة ، فانها لا تولد إلا لتموت ، ولا توضَع ، إلا لتكون أعظم دليل على اثبات هذهِ الحقيقة ، وهي : « لا يُعمَّر ولا يُخلَّد في الكون ، إلا مَن أُوتيَ مزايا الخلود دون غيرهم » .

وكذلك يقال عن الكلم ، فكل كلمةٍ عربيةٍ غريبةٍ في اصولها ، أو صيغتها ، أو تركيبها ، او ثقيلة الاستعمال على اللسان ، أو على السمع ، أو على الذوق ، أو شنيعة الأحرف ، فانها تُولدُ للموت ، لا للحياة ، ولا للتعمير ، فكيف للخلود ؟

ونحن نبين هذهِ الحقيقة ، بسَرْد طائفة من الكلم التي وصلت الينا من السلف ، ولم يُغذّها ادوية اطباء اللغـة ، ولا معالجتهم إياها بالمقويات ، ولا بالمعوقات ، ولا بالمعسول ، ولا . . . ولا . . . ولا . . . لأنهـا عبرت وغبرت مع من ادبر ، ولم يبق منها إلا سوء الذكرى والعقبى !

د . مقابلة بين الألفاظ الحية الخالدة وبين المائتة البائدة

أحسن دليل على ما بيّناهُ الى الآن ، المعارضة بين الكلم الحية الخالدة ، وبين المائتـة البائدة ، فانها تطبع في ذهننا حقيقةً لا يمحوها كل رأيٍ يخالف رأينا ، ولو دعموهُ بكل أُخذة ، أو رُقية ، أو طِلسم .

(١) هذهِ كلمة (دِذِمجان) ، فليس في العربي لفظة أفشى انتشاراً فيهِ ، ولا أعرفَ منها . وقد جاءتنا من جيرتنا الفُرْس الاقدمين ، فحاول السلف مراراً خنقهـا

ووَأدها ، وهي في مهدها ، فما زادوها إلا تعمياً ، وانتشــاراً ، و بَثاً بين كل ناطق بالضاد . وعوضاً من أن يقضوا عليها القضاء المبرم ، زادوها حيــاةً ، ونشاطاً ، وسريانا ، وانتشاراً بين الناس . لا بل عَمَدَ بعضهم الى عَمَلٍ في منتهى القسوة : انهم لم يثبتوها في معاجمهم ، ليلجئوا الجميــع الى عدّها من حوشيّ اللفظ ، أو من العربي المستهجن . ولهذا لا تجدها في القاموس ، ولا في تاج العروس ، ولا في المصباح ، ولا في مختارهِ ، ولا في اساس البلاغة ، ولا في كثيرٍ من كُتُب مُتُون اللغــة ، خوفاً من أن ينبشها أحدهم ، و يعيدها الى الوجود .

ومن الغريب انهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط ، لأنهم لما ذكروا ما يقابلها في العربية المبينة ، شرحوهُ بقولهم : « الباذنجان » فجاء عملهم هذا خِداجاً مضحكاً .— والآن اذهب بنفسك الى العراق ، ومنهُ الى سورية ، ففلسطين ، فلبنــان ، فديار وادي النيل ، فطرابلس ، فلسودان ، فلبوة ، فالجزائر ، فالمغرب الاقصى ، فالى جميع الربوع التي ينطق أهلها بلسان مَعَدٍّ وعَدنان ، فانك لا تسمع إلا (البَاذنجَان) ، ولا يعرفون المغد ، ولا الوغد ، ولا الحدق ، او الحذق ، ولا الحَيْصَل ولا الكَهْكَب أو الكَهكَم او القهقب ، ولا الأنب ، ولا الشرجبان ، ولا الأنفحة ، ولا . . . ولا . . . ولا سواها .

(٢) المِسْك : وليس البَاذِنجَان وحده هو الذي نال هذا التفوُّق على سائر اخوتهِ ، بل ثمَّ عشرات من الألفاظ ، وربما مِئات منها ، شاع دخيلها ، ونُسِي أصيلها . أو ذاع دخيلها ، ونسي سواهُ من كلام المتفصّحين . هذهِ كلمة (المِسْك) ، فانهــا انتقلت من الفارسية الى لغتنا ، ومنها الى ما يقارب جميع لغات العالم المتحضّر، مع ان في لغتنا الفصحى ما يقوم مقامهُ ، وهو (المشموم) . وهل يمكن أن يقوم مقامهُ حقيقةً . أفلا يصعب علينا أن نعبر عن قولنا : « مَسَّكَ » يعني « طيَّبــهُ بالمسك » . وهذا دواءٌ ممسَّك ، وثياب ممسَّكة ؟ وكيف يُعَبَّر عن قولهِ : « ختامُهُ مِسْك » ؟

(٣) وهل بَلَغَكَ الخبر ان (البورق) هو (الحُكَاك) وزان غُراب ؟

(٤) وعوام مِصر يعرفون (الجنائني)، والعراقيون يعرفون (البَغْوَان) أو (البَغْوَانجِي) او (الباغْبان) وكان فصحاء العهد العباسيّ يقولون في هـذا المعنى : (البُسْتانْبَان)[1] . اما (النّاجِيّ)، بالحاء المهملة، وهو الصحيح الفصيح، فيجهله ابرع اللغويين، وابصر فقائهم .

(٥) وكلنا يعرف (النرْجِسَ)، هذهِ الزهرة التي تشبَّه بها العيون الساحرة الالباب، وما مِنَّا من يعرف انها (القِهَة) . (راجع اللسان في قها .) والقَهْدوالعَبْهر .

(٦) ومن يعلم أن (للإسفِيدَاج) الفارسية كأختها السابقة عربيةً وأن هذهِ العربيه هي (القُمْنَة) .

(٧) وعلماء الطبيعيات والكيمياء يعرفونَ معرفة دقيقة (البِلَّوْرَ) وهي يونانية، لكن لم أرَ أديبا منهم ذكرَهُ اسمه (المَهَا)، وهو اسمهُ الفصيح، ولا جمعهُ (المَهَوَات) أو (المَهَيات)، مع أنهُ من متين اللفظ وقديمهِ .

(٨) والأطباء جميعهم، قدماؤهم وأحداثهم، يذكرون في تآليفهم (الجوَارِش) أو (الجُوَارِشن)، ولكني لم أعثر على من ذكره باسمهِ العربي (الهَضوم) أو (قَمِيحة) [illegible] [illegible] في [illegible] فقط .

(٩) و[illegible] عريب [illegible] (طَرَق) العربي، ثم هجم على تحقيقه وتمثله . و[illegible] بيده .

---

(١) [illegible] تحتية، وسكون [illegible] وفتح [illegible] صوت ساكنة، [illegible] واحدة [illegible] او [illegible] مادة ([illegible])، [illegible] [illegible] [illegible] والاصوات [illegible] وحدة تحتية كما [illegible] . و[illegible] ([illegible]) [illegible]، و([illegible]) اي حوط او حارس او خدم . [illegible] (ا[illegible]) [illegible] الناجي في [illegible] [illegible] .

(١٠) وأظن أنك سمعتَ بـ(اللَّوْزِينَج)، إن لم تأكلهُ وتَستطِبْهُ، لكنك لم تسمع أبداً بمرادفهِ (المَلَذْنَخ[١])، فإنها أثقل من (الشُنْذُخ)، وقد وُلِدَ حالما وُلِّد.

(١١) ولعلك أمرتَ خادِمك أن يشتريَ لك من الحَلْوَانِيّ شيئاً من (الفَالُوذ) أو (الفَالُوذَج)؛ لكن هل فكرتَ أن يشتري لك شيئاً من (المَلُوص) أو (المُزَعْزَع) أو (المُزَعْفَر) أو (اللَمْص) أو (اللَوَاص) أو (المِرِطْرَاط) أو (السِرِطْرَاط) الى أخواتها وكلها تعني الفارسية الأولى؟

(١٢) الناس يعرفون (المَرْدَاسَنْج) ولا سيما العراقيون، ولو قلت لهم: هاتوا لي قليلاً من (المِرِّيخ) لضحكوا منك، لأن المِرِّيخ هو هذا النجم من الخُنَّس.

(١٣) وإخال أنَّ الجميع يعرفون (الجُوَالِق). وأمَّا (الجَشِير)، أو (اللَدّ)، أو (اللبيد)، وما ضاهاها، فلا يعرفها إلا اللغويون.

(١٤) والخيَّاطات العربيات يعرفن (الدِخْرِيصَ) وهنَّ لا يعرفنَ (البَنِيقَة) ولا (السُبْجَة)، ولا (السعيدة) ولا (البِنَة).

(١٥) وربما ذهبت مراراً الى حديقة الحيوانات وشاهدت فيها حيواناً كبيراً ضخماً، قيل لك إنهُ (الفيل)، ولم يقل لك أحدٌ انهُ (الوَنْدَبيل)، ولا (الكَلْثُوم).

(١٦) وتسمع كل يوم بـ(تِرْيَاق)، ولربَّما سمعت به مراراً في اليوم الواحد. لكن هل قيل لك إنهُ (المَسُوس)؟

(١٧) ونأكل كل يوم في بلادنا كلاً على (قِنْدَةٍ) و(قَنَوَات) و(القُمِيّ) و(النَزْعَةِ) و(النَزَع). وكل الألفاظ دخيلة. أما (طِبْنٌ) وهو كسرة، وجمعها (الطُبُوع). فليست معروفة إلا في دواوين اللغة. قال الأزهري صاحب التهذيب:

---

(١) ذكر (الملذخ) لسان العرب ولم يذكرها غيره، ولما سدد ... تصحيفاً صححت ونقل بعدها إلى الموزيج. أما القاموس فذكر الملذخ وقال به الموذج وظن ان هذا هو الصواب لا ما قاله ابن مكرم

« أما الأنهـار التي شقّها الله تعـالى في الأرض شقًّا ، مثـل دِجلة والفرات والنيل وما أشبهها ، فانها لا تُسَمّى (طُبُوعًا) ، إنما (الطُّبُوع) : الانهار التي أحدثها بنو آدم ، واحتفروها لمرافقهم » (اللسان) .

(١٨) والاطباء وعلماء التشريح يعرفون (الأعور) أو (المِعَى الأعْوَر) ؛ لكن أيعرفون فصحاها (المِيزَغَة) ، فاسألهم ، فلعلهم واقفون عليها ، ولا سيما من تَفَرَّغ منهم لِحُوشِيِّ اللفظ .

(١٩) وشُبَّانُنا الفلكيون يكلمونك على (النَـيزَك) ومشتقاته ، وكذلك الرياضيون من أبنائنا ؛ لكن أيعرفون عربيتها أيضًا وهي (المِزْرَاق) ؟

(٢٠) إلاّ أني إخال أن علماء النباتِ والصيادِلة والشجّارين والأطباء وطلبتهم لا يعرفون (البُخْدُق [1]) أبدًا ، واذا قلت لهم هو (بِزْرُ قُطُونَا) ، قالوا لك حالاً : هذا هو المشهور . أما ذاك فمهجور .

(٢١) ولا أظنّ كبيرًا ، ولا صغيرًا ، ولا غنيًا ، ولا فقيرًا ، ولا رجلاً ، ولا امرأة ، يجهل (العُرْبُون) ، حتى أصغر الباعة . أما (المُسْكَان) العربي الفصيح ، فلا يعرفهُ أحدٌ . واليوناني (عُرْبُون) لغاتٌ عدّة في لساننا بخلاف (العُرْبَان) بالضم فليس فيها إلا لغة واحدة . فقيل في (العُرْبون) : (العَرَبُون) محركة ، وتبدل العين همزة فيقال (الأُرْبُون) و (الأُرْبان) و (الأَرَبُون) . وربما قالت العامة (الرَعْبُون) . وبعض الفصحاء يحذفون الحرف الأول فيقولون (رَبُون) . وجاء في الحديث أيضًا (الرَبَان) بياء مثناة بعد الراء . فاليونانيات على اختلاف لغاتهـا عرفها الناس ؛ وأما العربية ، وهي (المُسكَان) ، فلا يعرفها إلا القليل من الأهالي .

---

(١) البُخْدُق ، كَعُصْفُر ، كما في القاموس . وهو بدال مهملة وقاف في الآخر . وفي محيط المحيط البُخْذُق بذال معجمة وقاف في الآخر ، نقلا عن فريتغ . وجاء بُخْدُق ، بخاء معجمة ، ودال مهملة ، وقاف في لسان العرب . واما الشارح والمزهر ، فذكراها كما في القاموس وهي الرواية المشهورة . وواما فريتغ فهو مصحف للالفاظ العربية .

ودونك الآن جدولاً يحوي الأعجميات الحية والعربيات المنسيات، مالم نذكره قبيل هذا :

أعجميات معروفة أو مشهورة	عربيات منسية او مجهولة
١ - فرِنْد السيف	: سِفْسِقَة السَيْف
٢ - الفَرَزْدَق	: المُشَنَّق أو المِجَّوْر
٣ - الساقُور أو الصاقُور	: المِقْرَاع
٤ - المَنْجَنيق	: الخَطَّار
٥ - السَوْسَن	: الرَفِيف
٦ - الصُنْدُوق (يونانية)	: الصيوان
٧ - الإسْفَانَاخ	: الرَحَى
٨ - المَرْزَنْجُوش أو المَرْدَقُوش	: العِتْرَة
٩ - الجُوْذَر	: القَهَد
١٠ - الأستاذ	: المُخَرِّج
١١ - الزُرْفِين	: الأَزْ
١٢ - الإفْسَنْتِين	: العَبْد
١٣ - الشَاذَرْوَان	: الجِذْر
١٤ - الأَلْمَاس	: السَامُور
١٥ - الكَشُوثَا	: الزُحْمُوك
١٦ - الأَقْنَايس (مجهول في العراق)	: الجِرِيّ (معروف في العراق)
١٧ - العِذْيَوْط	: اتَّتّ واشْموت
١٨ - البخشيش	: الحُلْوَان
١٩ - الكَيْمَخْت	: الزَرْغَب

اعجميات معروفة او مشهورة		عربيات منسية او مجهولة
٢٠ - الأُسْطُوَانَة	:	اللانطة أو السَّارِيَة
٢١ - الزِنْجَفْر أو السِنْجَرْف	:	الشَقِرَة
٢٢ - السُكُرْجَة	:	الثُقْوَة
٢٣ - البُرْنَيطَة	:	الكُمَّة (والقُبَّعَة غلط بهذا المعنى)
٢٤ - الشُرْطَة (يونانية)	:	الزَاعة والذَبِيّون
٢٥ - البِرْوَاز	:	الإطار
٢٦ - الفِيل (فارسية)	:	الشِمْشِل
٢٧ - البلْطة	:	القدُوم
٢٨ - اسكروْيا	:	النقْدَة
٢٩ - البُنْدق	:	الجِلَّوْز
٣٠ - الكُزْبرة	:	التقْدَة
٣١ - البِرْجَار أو البَرْكار أو البَيْكار	:	الدَوَّارَة
٣٢ - الأقدَان والإنقدَان	:	السُلحْفاة
٣٣ - التِلْميذ	:	الخِرِّيج
٣٤ - الهِنْدِباء (يونانية)	:	للعاعَة
٣٥ - البِدِزَهْر أو الفادزهر	:	سَوس
٣٦ - القسْطاط (يونانية)	:	الروْق
٣٧ - الباطية أو الناجود	:	الراوُوق
٣٨ - بَشْتَرْك	:	البَيْهَن
٣٩ - الدَسْكَرَة	:	الدَسِيعَة
٤٠ - الزَبَرْجَد	:	الحِمْل
٤١ - فِرْدَوْس أو بُسْتَان	:	الجَنَّة

اعجميات معروفة او مشهورة	عربيات منسية او مجهولة
٤٢ – القِرْش أو الكَوْسَج	: الأُخْم
٤٣ – الدِفْلى	: الحَبِين
٤٤ – الكَمَافِيطُس	: العَرْصَف
٤٥ – الهَيُولَى (يونانية)	: المادّة
٤٦ – الأُتْرُجّ	: العرْف أو المُتْك
٤٧ – البَيْرَق	: العَلَم أو الرَايَة
٤٨ – السراي أو السَرَايَة	: الصَرْح
٤٩ – البَلّان	: الحَمَّام

٥٠ – الطاوِلة (سورية) أو التَرَابِيزَة (مصرية) أو المَيْز (عراقية) : النَضَد .
(والمنْضَدَة خطأ لا وجود لها في الفصيح)

اعجميات معروفة او مشهورة	عربيات منسية او مجهولة
٥١ – البَاسَابُرْط	: الجَوَاز
٥٢ – البُوسْطَة	: البريد
٥٣ – البِيرَة	: الجِعة أو المِزْر
٥٤ – قناة أو ترعة	: طِبْع
٥٥ – جنزير (سورية) وزنجيل (عراقيه)	: سِلْسِلة
٥٦ – جوْرَب	: مِشْمَاة
٥٧ – خِافْقِين	: مِرْجَل
٥٨ – دفتر	: كُرّاسَة
٥٩ – ساده أو سَاذَج	: بسيط
٦٠ – سَرْدِين	: عَرْم
٦١ – اقليد أو مِقْلاد (يونانية)	: مفتح

اعجميات معروفة او مشهورة		عربيات منسية او مجهولة
٦٢ – سِمْسَار	:	دَلاَّل
٦٣ – شوربة	:	حُسَاء
٦٤ – قَنْدَافْت	:	وَاهِف أو وَافِه أو وافِف
٦٥ – شِنجَار	:	كَحْلاَء أو حُمَيْرَآء أو رِجل الحمامة
٦٦ – كُشْتُبَان	:	قِمْع
٦٧ – كَرُّوسَة	:	عَجَلة
٦٨ – مِلْفَان	:	معلم
٦٩ – البَقْس أو البِقْسِيس	:	الشِمْشَاذ أو الشِمْشَار
٧٠ – الشَمْعَدَان	:	المِشْمَعَة

ولو أردنا أن نجريَ في هذهِ الحَلْبة، لذهبنا بعيداً، وأحرَجْنا الصدور، فنجتزىء بهـذا القَدْر، ادعاماً لرأينا، وهو: أن الحرب قد تقع بين الألفاظ، فيصرع بعضها بعضاً، وربما تغلّب الدخيل على الصميم من كلام العرب. وما ذلك إلا لمـا أودع صدر الأعجميّ من الخفّة، والرّشاقة، والشِبه لفصيح الكلام العربّي، ومادّتهِ، ووزنهِ.

٣٠ . اى الدخيل الحديث يقتل وايهُ يُسْتَحيَا ؟

ان خِفّة الكلمة الاعجمية، ورشاقتها، ووزنها العربي، وشبه مادتهـا المادة العربية، يخوّلها قوةً ومناعة، ويكسبهـا جمالاً ويلبسها ثياباً عربية، يجعـل جميع الناطقين بالضـاد، يرحّبون بها كل الترحيب، ويحلّونها أعظم محلّ، ولا يتوهمون ابداً انها عجَمِيّة. ولهذا يحتفظون بها ويدّخرونها لجميع حاجاتهم، فيصبح محاولة قتلها من المحال. لأن وراءها دولة اعجمية قوية، هي دولة الاستعمال كل يوم، ودولة المال والمائيين، ودولة الصفات العربية التي ذكرناها.

فمن الكلم المعرَّبة حديثاً، والتي يحسن أن يُسْتَحْيا بعضها ويقتل بعضها، ما يأتي:

(البَنْك) لهذا المحل الذي يُتَاجر فيهِ، اي يدفع فيــهِ اموال لمن يريد الانتفاع بها، او يقبض فيهِ اموال، بموجب فائدة، او رِبًا مقرَّر.

(التَلَفُون) بشرط وزنهِ وزناً عربياً، اي كَكَلَزُون، لا (تَلِيفُون) الذي لا وزن لهُ في صميم لغة الضاد، او ان يقــال (تَيْلَفُون) كَخَيْزَبُون. او (هاتِف)، فانها كلمة لا بأس بها.

(البُرْصَة) وزان الغُرْفَة، لا (بُوْرصَــة)، بواوٍ بعد الباء، التي لا قياس لها في لغتنا.

(الفَرَامُوفُون) أو (الجَرَامُوفُون) تقتل، لغرابتها وقُبْح وزنها. ويقال في مكانها (الحاكي).

ويقــال (التَرَام) كسَحاب، لا (تراموايي)، لبُعْدِها عن اوزانــ العرب، ومألوف ألفاظِهِمْ، وقد اثبتها مجمع اللغة العربية الملكي.

ويقال (الرادّ)، لا (الراديو) لمخالفتها الاصول العربية، وهي تؤدي أحسن تأدية عمل هذهِ الآلة، فانها «تَرد» على مسامع الحاضرين ما ينطق بهِ المتكلم.

ونبقي (المِذْيَاع) (للمكروفون)، اي للآلة التي يتكلم بين يديها الخطيب، لتنشر صوتهُ وتبثّهُ. (فالرادّ) يردّدهُ في كل نادٍ ووادٍ.

ويقال (البيَان) تعريباً للپيانو، الغريب الوزن، فهو كالآلة التي تبيّن وتفصح، عمَّا يقع في النفس من أنواع حركاتها الباطنة.

ويستقبح مثل (مِصْرُولُوجِيّة)، لتركبها من افرنجية وعربية، وهو أقبح ما جاء من هذا القبيل. وكذلك (أَشُورُلُوجِيَّة) و (سُورِيُولوجِيّة) ويقال في مكانها: علم المِصْرِيَّات، وعلم الاشوريات، وعلم السُورِيَّات. وقد وقع مثل ذلك التركيب القبيح،

في عهـد سقوط العربية ، أي في عهد المماليك ، فقالوا : الدُّويدار ، والعَلَمْدار ، والجَامَدار ، ونحوها[١] .

وينبـذ مثل فوتغراف[٢] ، وفونغراف[٣] ، وتلغراف[٤] ، وتلفزة[٥] ، وفَسْلجة[٦] ، وفيزياء[٧] لقبحها وشناعتها وفظاعتها .

خلاصة الفصل

يؤخذ مما سردناه في هذا الفصل : ان في العربية الفاظاً دخيلة ، قاومت العصور والبلاد ، والعباد ، وأهل العناد ، باقية على حالها ؛ مع ما هناك من المترادفات العربية ، التي كان يمكن ان تقوم مقامهـا ، لكن ذلك لم يقع ، لأن الاعجميات التي اندسّت في لغتنا ، كانت شاكية السلاح . مقاومة لأعدائها العربيات بخفة لفظها ، واحرفهـا ،

---

(١) اغلب هـذه الالفاظ مركب من كلمة عربية او معرّبة ، هي الصدر . وكلمة (دار) وهي العجز . وكلها كلم لا يتعدّى عددها العشرين ، وهناك الفاظ صدرها كلمة عربية او معربة ، وعجزها (دان) مثل مَتَمْنَدَان ، وشَمْعَدَان ، وبُخوردان ، وسُكّردان . وكلها الفاظ لم تعش إلا في ذلك الوقت المنحط ، ولم يُدوّنها ارباب المعاجم الفصحى . بل اشار اليها التاج ، او قل : اشار الى بعضها السيد مرتضى ، شارح القاموس . وقال انها مولدة او عامية . راجع مثلاً ماقاله في مادة (س ك ر)

(٢) الفوتغراف : التصوير بالضوء .

(٣) الفونغراف : آلة تلقط الصوت وتنقله ، وهي (اللاقطة) . وقد عابني احد الجهلة فقال : لافرق بين الفونغراف والفوتغراف سوى نقطة واحدة ، وهي كل شيء . فماذا ينعت مثل هذا الرجل ؟

(٤) التلغراف : آلة يتصل بها الانسان بمن يريد ، واكثر مايكون ذلك بآلة برقية ، ولهذا سُمّيت (المُبْرِقَة) والفعل (ابرق) والخبر (بَرْقية) .

(٥) وضعه من فسد ذوقه العربي اقلاً لافرنجية (تَلَفِزْيُون) اي Télévision وهي (المُبَاصَرة) في العربية . قال الجوهري في صحاحه : « باصرته : إذا اشرفت تنظر اليه من بعيد » . فيكون المصدر لمباصرة وهو معنى الكلمة الافرنجية .

(٦) الفَسْلَجَة تعريب قبيح لفسيولوجية PHYSIOLOGIE . وهي علم مظاهر الحياة او علم الخلقة

(٧) مسخ شنيع لعلم الطبيعيات PHYSIQUE

ورشاقة وزنها ولطائفهِ ، ومضارعة مادتها للمادة العربية : وكفاها ذلك انتقاوم ضرائره وكل معادٍ لها . ولهذا تُخَلَّد بهـذهِ الاسلحة الفاتكة ، ما دام هنالك عربي ناطق بالضاد[1] .

٣١ . موت كَلِمٍ عربيّ وزوالهُ واندراسُهُ

قال ابن فارس اللغوي الشهير :« اعلم أنَّ لغة العرب لم تَنْتَهِ الينا بكليتها ، وان الذي جاء من العرب ، « قليـل من كثير » وان كثيراً من الكلم ، ذهب بذهاب أصلهِ ، (راجع مقدمة تاج العروس ص ٧)

وقال المَجْد الفيروزابادي : في مقدمتهِ : « ولما رأيتُ إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير انهُ فاتهُ نصف اللغة ، أو اكثر ؛ اما بإهمال المادة ، أو بترك المعاني الغريبـة النادَّة » ثم قال : « قال شيخنا : وصريح هذا النقل يدلُّ على انهُ جمع اللغة كلها ، وأحاط بأسْرِها ، وهذا أمر متعذّر لا يمكن لاحدٍ من الآحاد ، إلا الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام » .

وقال الشارح (ص ٢٦) : « فإذا عرفت ذلك ، ظهر لك ان ادعاء المصنف (اي المجد) حَصْر الفوات بالنصف ، أو الثُلُثَيْن في غير محلهِ ، لأن اللغة ليس يُنال مُنْتهاها ، فلا يُعرف لها نصف ولا ثُلُثٌ ؛ ثم ان الجوهري ما ادعى الاحاطة ، ولا سمّى كتابهُ « البحر » ولا « القاموس » ؛ وانما التزم أن يورد فيهِ الصحيح عنـدهُ ، فلا يلزمهُ كل الصحيح ، ولا الصحيح عند غيرهِ ، ولا غير الصحيح ، وهو ظاهر » اهـ .

وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان ، في مادة (يمامة) في كلامهِ على الزرقاء :

---

(١) ما حَلَّ ويحلُّ في اللغة المبينة ، يرى مثلهُ في اللغات القديمة والحديثة من لُغَى البشر ، فهي اذن سُنَّة جارية في وجهها بل سنة الله في خلقِهِ . ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلا .

« ولما نزل بجديس ما نزل ، قالت لهم زرقاء اليمامة : كيف رأيتم قولي ؟ – وأنشأت تقول :

خذوا خذوا حَذَرَكم ، يا قوم ينفعكم ، فليس ما قد أرى «مِلْ الأمرِ» مُحتَقر
لِني أرى شجراً من خلفها بشرٌ ، لأمرٍ اجتمع الأقوام والشجر

وهي من أبيات ركيكة » ا ه .

وقال السيد مرتضى في تركيب (ع ي ر) : « قال الحرث بن حِلِّزَة اليشكريّ :

زعموا أنّ كلّ من ضرب العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لها ، وأنّى الوَلاء

هكذا انشده الصاغاني . وفي اللسان : مَوَال « لنا » . ويروى الوِلاء بالكسر .
وقد اختلف في معنى « العَيْر » في هذا البيت اختلافاً كثيراً ، حتى حكى الازهري عن ابي عمرو بن العلاء أنهُ قال : « مات من كان يُحْسِنُ تفسير بيت الحرث بن حِلِّزَة . . . وها أنا أجمع لك ما تشتّت من أقوالهم في الكُتُب ، لئلا يخلو هذا الكتاب [أي التهذيب] عن هذهِ الفائدة : فقيل . . . (وذكر هنا عشرة أقوال ، لا تُرَى مجموعة في سِفرٍ واحدٍ) ا ه .

وقد نقل الينا بعض الرواة أبيات شعر عن مرثد بن سعد ، وقد كان في زعمهم في أيام النبي هُود (وهود عاش على ما قال ابو الفداء وابن الاثير وجمهرة من مؤرخي العرب بعد نوح ، وقبل ابراهيم الخليل . وأنت تعلم انّ ابراهيم عاش سنة ٢٠١٦ قبل المسيح ، فيكون بلغنا شعر ، لم يبلغ الى جميع أمم الارض ما يماثلهُ قدماً ؛ ولا يرى المحققون صحة هذه الرواية ، والعرب في بدء أمرها كانوا رُحّلاً في ذلك العهد وليس لهم من وسائل الرواية ما يضمن لنا صحتها .

وروى لنا المسعودي شعراً لِرَجُلٍ كان في عهد النبي صالح . ونُقِل لنا من كلام الحارث بن مُضاض الأصغر الجرهمي ما دوّنهُ المسعودي في مروجهِ .

وجاءنا كلام وأشعار من يعرب بن قحطان نفسهِ ، وعاد بن عُوصٍ وثمود بن عابر ، وسائر رؤوس الامم والقبائل العربية البائدة . وقد ذكر كل ذلك المسعودي

في كتابهِ المشار اليـهِ هنا . وذكر لنا كلاماً وشعراً عربياً ، من أيام النبي بَرَخِياً ، ومن يطالع المروج ، يقع على كلام وشعر ، من كل عصر من عصور العربية .

بل أغرب من هذا وذاك ، ما ورد الينا من نظم آدم أبي البشر . ولا جرم ان اهل النقد لا يلتفتون الى هذه الاقوال ، ويعدونها ملفقة من أولها الى آخرها ، إلا انهُ يؤخذ منها أن لغة الضاد قديمــة . يشهد على ذلك (سِفر أيُّوب) فان كثيرين من العلماء يذهبون الى ان صاحبهُ وضعهُ بلغتهِ العربية ، إذ فيهِ عبــارات ، وتشبيهات ، ومجازات ، واستعارات ، لا تُعرف إلا في العربية . فلا شك انهُ نُقِل من اللغة العربية الى العبرية وبقيت في النقل اصول اللغة ، ومبانيها ، وصيغها على أصلها ، او يكاد .

ولا يزال مثل هذا الكلام الغريب ، الذي لا يعرف معناهُ اليوم أحد ، مجهولاً لا يهتدي اليهِ أوسع اللغويين وقوفاً على العربية . ويسمى مثل هذا الكلام (العُقْمِيّ) أو (العُقْبِيّ) . قال ابن مكرم في (ع ق م) : «كلام عُقْمِيّ : قديم ، قد دَرَسَ . عن ثعلب . - والعُقْمِيُّ من الكلام : غريبُ الغريبِ . والعُقْمِيُّ : كلام عقيمٌ لا يُشْتَقُّ مِنهُ فعلٌ . ويقـال : إنهُ كعالِمٍ بعُقْمِيّ الكلامِ ، وعُقْبِيّ الكلام ، وهو غامض الكلام الذي لا يعرفهُ الناسُ . وهو مثـل النوادر . وقال ابو عمرو : سألتُ رجلاً من هُذَيْلٍ عن حَرْفٍ غريب . فقال : هذا كلام عُقْمِيّ ، يعني انهُ من كلام الجاهلية ، لا يُعرف اليومَ . وقيل : عُقْمِيُّ الكلام ، اي قديم الكلام . وكلام عُقْمِيّ وعِقْمِيّ [اي بضمّ الاول وكسرهِ] اي غامض » اه .

فعُقْمِيّ الكلام ، ناشئ من قراع الكلم بعضها لبعض ، ولولا هذا القِراع لمــا مات بعضها وعاش البعض الآخر ، وهو هذا الواصل الينا . أما المنقرض فلا يعلمهُ إلا الله ، ولعلهُ اكثر مما وصل الينا منهُ .

٣٢ . امثلة من الألفاظ المماتة او البائدة

بيّنّا ان الفــاظاً جمّة ، لا يعرف عددها إلا الله ، ماتت من هذه اللغــة لعدم تدوينها ، او لموت المتكلمين بها ، او لأنها لم تناسب البيئة التي تغيّرت بتغيُّر الاحوال والمعيشــة ، على ان هناك شيئاً يدل على بعض تلك المنقرضات . ونحن نذكــر هنا ما نظنّهُ زال واضمحلّ ، وأبقى لهُ اثراً ضئيلاً . مثال ذلك :

١ً . فدِعَ . قال في القاموس : الفَدَعُ ، محركةً : اعوجاجُ الرُسْغ من اليدِ او الرِجْل ، حتّى ينقلبَ الكفُّ اوالقدَمُ الى إنسيّها ، او هو المَشْيُ على ظَهْر القدَم ، او ارتفاعُ اخمَصِ القَدَم ، حتّى لو وطِئَ الأفْدَعُ عُصفوراً ما آذاهُ . أو هو عِوَجٌ في المفاصِلِ ، كأنها قدْ زالتْ عن مواضعِها ، وا كثرُ ما يكونُ في الارساغ خِلْقَةً ، أو زَيْغٌ بين القَدَم وبين عَظْم الساق . ومنهُ حديث ابن عُمَر : « أنّ يهود خَيْبَرَ دفعوهُ من بيت ، ففَدِعت قَدَمُهُ . – وفي البعير أن تَرَاهُ يَطَأُ على أُمّ قِرْدانِهِ ، فيَشْخَصُ صَدْرُ خُفّهِ . جَمَلٌ أفدَعُ ، وناقة فدْعاء . والتفديع : أن تجعلهُ أفدَعَ . » اه

والمعهود في الافعال الدالة على عيب أو مرض أن تجيء على صيغة المجهول ، أو على وزن فرِح وتُشتق من اسماء الاعضاء نفسها . كقُلِب البعير – على المجهول – أصابهُ القلاب فهو مَقْلوب . والقُلاب : داء البعير يشتكي منهُ قلبهُ ، يميتهُ من يومهِ .

وكُبِدَ فلان – على المجهول – شكا كَبِدهُ فهو مكبود .

وفُئِد فلان على المجهول – فأْداً ، وفَئِدَ كفرِح – فأَداً بالتحريك : شكا فؤدهُ و وَجِع فؤادهُ واشباه ذلك كثيرة لا تخفى على الباحث .

وعليه يكون اشتقاقُ (فدع) من كلمة تدلُّ على الرِجْل ، او القَدَم ، وهي (البِدْع) بضم الفاء أو كسرها . وهي موجودة في لغاتٍ كثيرة ، باسقــاط حرف الحلق منهــا . فهي بالاتينية PES, PEDIS وباليونانيــة πούς ποδός وبالهندية

الفصحى pada-s أو pad,pad ، وبالقوطـيَّة fotu-s ، وبالانكليزية FOOT وبالالمانية FUSS.

ودونك كلمة ثانية هي (الفُقْع) في هذه المادة معانٍ مختلفة ، نلخّصها لك من القـاموس : فَقَعَ لونهُ : اشتدت صفرتهُ ، أو خلصت وصفت . وفقَعَ الشيء : احمرَّ . وفقَّع الاديم : حمَّرَهُ . وتفاقعت عيناهُ : ابيضَّتا . واحمرُ فاقعٌ او اصفرُ فاقعٌ ، أي شديد مشبع اللون . ورجل فُقَاعٌ (وهو غير منصرف لانهُ معدول عن فاقع ، ووزنهُ وزن فُعَلٍ بزيادة الالف) اي احمر . واحمرُ أو أصفرُ فُقَاعِيّ أي شديد ، والفقِّيع: الابيض من الحمام . وابيضُ فقِّيع اي شـديد البياض . والفقْع : البيضاء الرِخوة من الكمأة . والجمـع فِقَعَةٌ كعِنَبَةٍ . والفِقْع كالفَقْع : الكمأة المذكورة . والفقيع : الرجل الاحمر . والافقع : الشـديد البياض . والمُفَقِّعَة : طائر اسود واصل ذنبهِ ابيض » . اه تلخيصاً .

فالمعنى السائد في هذه الالفاظ لا يخرج عن احمر واصفر وابيض . فالاحمر عند السلف يدلّ على كل من الاصـفر والابيض . يقولون : رجلٌ ابيضُ ، كما يقولون رجلٌ احمر .

ويسمون الذهب اصفر ، كما يسمونهُ احمر . وثمَّ أدلة لا تُحصى على ان هـذهِ الالوان الثلاثة قد تتبادل عند الاقدمين من أبناء الضاد :

فلا جرم أنهم كانوا يعرفون مادةً حمراء ، موجودة في الطبيعة ، حتى جاز لهم أن يستعملوا مشتقاتها للمعاني المذكورة.وهي مفقودة اليوم في اللغة ، لكنها موجودةفي اليونانيةوهي(phukos (τό) φύκος εος-ους و باللاتينية FUCUSوهو نبت بحري، تُسْتَخْرج منهُ الحُمْرة أو الغُمْرة ، وهي ما يُصْبَغُ بهِ الوجه بالاحمر . واستعار ابن البيطار اسم هذا النبات من اليونانية وسمّاهُ (الفُوقُس) ، بقافين ، فأخطأ ، والصواب الفوقس ، بفاء مضمومة ، يليها واو ساكنة . فقاف مضمومة فسين ، ولو دري أن الكلمة

اليونانية نفسها سامية الاصل ، كما اقرّ بذلك علمآء الغرب من الواقفين على أصول الكلم ، لقال (القُثْم) ، لأنك لَوْ حذفتَ من الهَلّنيَّة السين ، وهي من علامات الاعراب عندهم ، لبقي (قوقو) فالواو الاولى عوض الضم . لانهُ يُصَوَّر عندهم بهذهِ الصورة ، والثانية هي عوض الميم ، والسين حرف حلقي يسقط في كلامهم ، لكان الحاصل : (القُثْم) .

واليك مثلاً ثالثاً : جآء في اللغة : « القَرَمُ ، مُحَرَكةَ ، شِدَّةُ شهوة اللحم » . وورد في تركيب عرن : « العَرِن : اللّحْم . والعَرَنُ ، محركةً ، اللحم المطبوخ . وأعْرَن : دام على ا كل اللحم » . (ملخص عن القاموس) .

وعندنا ان القَرَم ، وهو على وزن فعَل ، يدل على عيب ، كالعَرَج والحَوَل ، والقَبَل . والعيب يشتق من اسم يؤخذ منهُ العَيْب . والاسم الاصل هُنا « القَرْمُ » : بفتح فسكون ، وهو اللَحْم . والكلمة تنظر الى اللاتينية CARO, CARNIS وهو اللحم .

وما العَرَن إلا لغة في القرم . أُبدلت فيها الميم نوناً والقاف عيناً . وابدال الميم نوناً كثير في كلامهم (راجع المزهر طبعة بولاق ١ : ٢٢٢ و ٢٢٥) - وكذلك ابدال القاف عيناً .

فقد قالوا : القُصْلُب : العُصْلُب ، وهو القوي الصلْب . - وَعبَا الثياب يَعْباها ، مثل قبَاهَا يَقْبَاهَا - وطوّعَت لهُ نفسهُ تطويعاً ، مثل طوّقت لهُ نفسهُ تطويقاً ، أي رخصت لهُ وسهّلت . إلى آخر ما هناك .

ولا تتعجب إذا وقع إبدالان في حرفي الكلمة الواحدة ، فقد جآء في اللسان في مادة (عرف) في نحو آخرها ما هذا نقلهُ : « وأما قولهُ أنشدهُ يعقوب في البدل » :

وما كُنْتُ مِمَّنْ « عَرّفَ » الشرَّ بينهم ، ولا حِينَ جَدَّ الجِدُّ مِمَّنْ تَغَيَّبا

فليس « عَرّفَ » فيهِ [أي في هذا البيت ، من هذا الباب [أي من مادة عرف يعرف] ؛ إنما أراد « أرّثَ » فأبدل الألف لمكان الهمزة عيناً . وأبدل الثآء فآء » انتهى .

فأنتَ ترى من هذا البيت أن الشاعر كان في مندوحةٍ عن استعمال « عَرَّف » بمعنى « أرَّث » لأن الوزن واحد ، والمعنى واحد ، لكن « عرَّف » كانت لغة قومه، فلم يَحِدْ عنها . ومُثُلُ وقوع إبدال حرفين في الكلمة الواحدة كثيرة ، وقد جمعنا منها شيئًا غير قليل . وبهذهِ الاشارة مجزأة .

ومن لغات « قَرِمَ » : « قَطِمَ » . قال اللغويّون : قَطِمَ الرَّجُلُ : اشتهى اللَّحم أو غيرهُ . والقَطَامِيّ وَيُضَمُّ : الصقرُ ، أو اللَّحِمُ منهُ كالقَطَام : كسَحَاب ، فأنت ترى أن معنى « اللحم » ملازم لهذا التركيب وهو أمر عجيب غريب . وكل هذا الاختلاف حاصل ، عن اختلاف القبائل المبثوثة في ديار العرب .

ومن الكلام المات : الجَدَف محركةً : قال في اللسان : « الجَدَف » من الشراب : مالم يُغَطَّ . وفي حديث عُمَرَ رضي الله عنهُ ، حين سأل الرَّجُلَ الذي كان الجِنُّ استهوتهُ : ما كان طعامُهم ؟ قال : الفُول ، ومالم يُذْكر اسم الله عليهِ . قال : فما كان شرابهم ؟ - قال : الجَدَفُ . وتفسيرُهُ في الحديث أنَّهُ مالا يُغطَّى من الشراب . قال أبو عَمرو : الجَدَفُ ، لم أسمعهُ إلا في هذا الحديث . وما جآء إلاَّ ولهُ أصل ؛ ولكن ذهب من كان يعرفهُ ، ويتكلَّم بهِ ، كما قد ذهب من كلامهم شيءٌ كثير » اه كلام ابن مكرم .

قلنا : الذي يبدو لنا أن الجَدَف هنا فعلٌ بمعنى مفعول ، كما قالوا : النَّفض والقَبَض والهَدَم بمعنى المنفوض والمقبوض والمهدوم . ولما كان معنى الجدف المجدوف غطاؤهُ أي المرميُّ غطآؤهُ ، كان معناهُ المكشوف أو الذي لا غِطاء عليهِ .

ومن قبيل المُمَات البائد ، الذي لا ذكر لهُ في الأسفار التي بأيدينا : « البَرَم » بالتحريك . قال الفيروزابادي : البَرَم حَبُّ العِنب ، إذا كان مثلَ رؤوس الذَّرّ . وقد أبْرَمَ الكَرْمُ . » اه .

قلنا : قولهُ : مثل رؤوس الذّرّ يوجب أن يكون (البَرَم) في معناهُ الأوّل : الذّرّ ثم شبّهَ بهِ حبّ العنب ، لأن لا بُدّ من أن يكون للمشبَّهِ أصل موجودٌ في أصل المشبّهِ بهِ . اذن البرَم: الذّرّ كما في اليونانيـة . μύρμηξ, ηκος (myrmex, èkos)

وهو باللاتينية FORMICA و بالهندية الفُصْحى vamra-h, VAMRI(VARMA-I) .

واليَبْرَمُ في العربية: البِرْطِيل أي الحجر الطويل الصُلب خِلقةً، يُنْقَر بهِ الرَحَى. والكلمة اليونانية تعني الصخرة التي يُغَطّيها المآء . فبين اللفظين والمعنيين تقارُب ونسبٌ.

ومن المات البائد : النُهْر بضم النون واسكان الهآء وفي الآخر رآء بمعنى الضيـاء ومنها النهار . وهو ما تظهر فيهِ الشمس من ساعات اليوم . ولم ينطق بهِ العرب ، بل قالوا في مكانهِ « النور » .

وقالوا « الرُكْبة » وكان الحق أن يقال « البْرْكة » لأنهم اشتقوا منها «بَرَكَ » ولم يقولوا « رَكب » بهذا المعنى لئلاّ يختلط بمعنى اعتلآء ظهر الحيوان .

والبحث واسع لا تحويه المجـلدات . فكيف هذهِ الصّفحات . ولا سيما أن العرب اختلطوا بأقدم الأمم وامتزجوا بهم امتزاج الراح بالمآء القراح ، فأعاروهم شيئاً كثيراً من ألفاظهم . وأخـذوا منهم أيضاً الفاظاً لا يستقل عددها . واتصالهم بالمصريين ، والحبشة ، والفلسطينيين . والفنيقيّين والآشوريين ، والفرس ،وغيرهم ، أمر غير مجهول اليوم . وقد بقي من لسان كل قوم شيء بمنزلة الذكرى . فنعمت هذهِ الذكرى !

٣٠ . ما يُعَمّر ولا يموت فى هذه اللغة

بلغت هذهِ اللغة عمراً ، يجوز أن نسميهُ (الكهولة) ، وهو العمر الذي تكتمل فيهِ قوى الحي الداخلية والخارجية ، فيتمكن صاحبها من أن يدفع بها أعداء حياتهِ ، من أي جنس كانوا ، ومن أي طبقةٍ .

فلقد مرّت مئات من السنين على هذهِ اللغة ، وبلغ المتكلمون بها كل غاية ومدًى ، حتى لم يبق لهم إلا أمر واحد ، هو الاحتفاظ بما وقع في أيديهم ، وأن لا يُسَاء التصرّف فيهِ ، وإن كان قد مات من هذهِ اللغة شيء لا يُقدَّر في سابق العهد ، فلقد وقع في أوانٍ كانت العوامل ضعيفة وغير مضطلعة بما عهد اليها . أما بعد هذا الحين ؛ فان اللغة أصبحت في حرزٍ حريز من القوة والمناعة ومقارعة أعدائها ، مالا يُخاف عليها البوار .

وأهَمّ ما يُعْمَرّ في هذهِ اللسان : أصول كلمها ، وتراكيب حروفها ، وأوزانها أو صيغها . ونحن نقول كلمة على كل فصل من هذهِ الفصول .

٣٤ . أصول الكلم وتراكيب حروفها

بيّنّا في صدر هذا الكتاب ، أنّ أول ما وُضِعت عليهِ أصول هذه اللغة ، كان يتقوّم من حرفين ، ثم كُسِع بحرفٍ ثالث للتثبت من تحقيق لفظ الحرف الثاني من الكلمة . ومنذ ذيالك الحين ، بُنِيَت كل لفظة عربيةٍ على ثلاثة أحرفٍ ، وأصبحت لها كالاثافيّ ، وعليها أُحْكِمَ وضع أصولها ، وما زيد على ذلك القدْر من الأحرف ، أُلحق بها لغاياتٍ شتّى ، يذكرها علماء العربية في مطاوي مباحثهم .

وقد وضع ابن فارس معجماً بديعاً سماه (المقاييس) وذكر لكل مادة ما يتعلق بها من المزايا والخصائص ، ولم يذكر مادة واحدة إلا نبّهَ عليها أنها تفيد كذا وكذا . فقد قال مثلا في تركيب (د ل ك) بعد أن ذكر ما فيها من مختلف الالفاظ المشتقة منها : « إن لله في كل شيء سرًّا ولطيفة . وقد تأملتُ هذا الباب ، يعني باب الدال مع اللام ، من أولهِ الى آخرهِ ، فلا ترى الدال واللام مؤتلفتين ، إلاّ وهي تدل على حركة ومجيء ، وذهاب وزوالٍ من مكان إلى مكانٍ » .

وقال صاحب العين « اعلم أن تاليف هذهِ المادة (مادة م ل ك) كلها مستعملة . وهي (م ل ك) و (م ك ل) و (ك م ل) و (ك ل م) و (ل م ك)

و(ل م ك) » . فقال الامام فخر الدين بعد أن وقف على هذهِ الكلمة : « تقاليبها الستة تفيد القوّة والشدة . خمسة منها معتبرة وواحد ضائع ، يعني (ل م ك) . قال صاحب القاموس في البصائر: « وهذا غريب منهُ ، لأن المادة الضائعة عندهُ ، معتبرة معروفة عند أهل اللغة . ثم ساق النقل عن العُباب ما قيل في (اللمْك) ، قال : فاذن الستة مستعملة ، معطيةُ معنى القوة والشدة . (وراجع أيضاً تاج العروس في (م ل ك) . »

وقال السيد مرتضى في الأصل (ن ف د) : « نقل شيخنا عن الزمخشري في الكشاف أنهُ لو استقرى أحدٌ الألفاظ التي فاؤها نون ، وعينها فآء ، لوجدها دالة على معنى الذهاب والخروج . وقالهُ غيرهُ . » اه

وقد ذكر الصاغاني في آخر تركيب (ق ن ع) : « والتركيب يدل على الاقبال على الشيء ، ثم تختلف معانيهِ مع اتفاق القياس ، وعلى استدارةٍ في شيء . وقد شذَّ عن هذا التركيب « الاقناع » : ارتفاع ضرع الشاة ليس فيهِ تصوُّب . وقد يمكن أن يجعل هذا أصلاً ثالثاً ويحتج فيهِ بقولهِ تعالى : ومُهْطِعين مقنعي رؤوسهم » . - قال أهل التفسير أي رافعي رؤوسهم » . (راجع تكملة الصحاح للصاغاني في قنع).

قال الاب أنستاس ماريّ الكَرْمِليّ: نحن لا نرى في هذا التركيب شاذّاً لان الاقناع هنا لارتفاع ضرع الشاة إشارة الى هيئة القنع والذي يتخذ القُنع برفعهُ صُعُدًا حين النفخ فيهِ ، فتكون الاشارة اليهِ في ارتفاع الضرع من « أحسن الاشارات وأبينها » .

وقال الصاغاني في مادة (س ل ط) : « والتركيب يدلُّ على القوة والقهر والغَلَبة . وقد شذَّ عنهُ « السليط » للدُهْن » اه .

قلنا : ونحن لا نرى هنا شاذا ، بل داخلا في حيز المادة : لأنَّ السليط بمعنى الدهن يحتاج لعصرهِ الى قوة وقهر . إذن فلا شذوذ .

وفي العُباب في ترجمة (عرض) : « العين والراء والضاد ، تكثر فرُوعُها ، وهي مع كثرتها ترجع الى أصل واحدٍ وهو (العرْض) الذي يخالف الطول . ومن حَقَّقَ النظر ودقَّقهُ ، علم صحة ذلك » : اه

وقد انتبه جمهور اللغويين الى أصول الكلم وما بينها من المعـاني ، على أنهم لم ينبهوا في كل منها على ذلك الاشتراك الظاهر لكل ذي عينين ، إمَّا لوضوح الأمر ، واما لأنهم لم يروا فيهِ عظيم فائدة ، واما لأسباب نجهلها . وقد سبق جميع أصحاب المعاجم الليث بن نصر بن سيَّار الخراساني في كتابهِ (العـين) ، المنسوب وهماً الى الخليل بن احمد الفراهيـديّ ، فانهُ نبه في صدر كل ترجمة ما يشعر ان في التركيب الفلاني ، المعنى الفلاني ، وان لم يصرّح بهِ تصريحاً بيّناً . تراهُ يقول مثلاً : « باب العـين مع الباء : عبا . عبو . عيب . وعب . بوع . بعو . بيع . عاب . مسـتعملات . لكن اللغوي الذي وضع معجمهُ مبنيّاً على المواد ، واحدة واحدة ، وذكر مالكل مادة من المعنى الخاصّ بها هو ابن فارس ، فان سِفْرَهُ الجليل ، الذي لا يمكن أن يقوّم هو (المقاييس) الذي يجد فيهِ الباحث كل ما يتمناهُ من خصائص الأصول وتراكيبهـا الأصلية .

ولقد انتبهَ لغويو العرب ، قبل لغويي أهل الغرب ، الى هذهِ الفـكرة البديعة ، والآن ترى غير أبناء الضاد ، يشيرون في معاجمهم المطولة ، الباحثة عن الاصول ، إلى أصل المادة ، بقولهم : وهذا الأصل يُفيد كذا . واذا عارضت هذهِ الاصول بأصولنا ينفتح بين يديك باب واسع يكْشِفُ لك جَنَّاتٍ فيحاً من المعاني ، تصطفق أوراقها ، وتغرِّد أطيارها ، وتصطخب أمواهها ، وتمرح ظباؤها ، كأنك في نعيم مقيم . أشير في ذلك مثـلاً الى المعجم اليوناني الفرنسيّ لصاحبهِ أناطول بايّي واسمهُ بالفرنسـية :

M. R. A. BAILLY.— Dic. Grec— Français, rédigé avec le concours de M. E. Egger. ix édition.— Librairie Hachette. Paris.

فقد عقد في آخر ديوانهِ باباً بديعاً ، وسمهُ : « فهرس الاصول الواردة في المعجم مع ذكـر أهم الالفاظ المتصلة بهـا » وقد وقع في ٢٦ صفحة وكل صفحة منهـا منشطرة الى ثلاثة أشطر . وذكر فيها أصل الكلمة بالحرف اليوناني ، مع ترجمتـه ، وعدد بعض المفردات اليونانية مع تفسيرها الى الفرنسـية ، فجاء هذا الباب من أنفس الابواب . ونحن ننقل الى القارىء ثلاثة من أصولهِ ، لا أكثر ليتضح الأمر بوجههِ الصبيح ونهجهِ البديع .

ذكر في ص ٢٣٠٣ هـذه الأصول GAL, GEL, d'où Glè وقال معناها être CLAIR أي وضح و BRILLER أي تلألأ ، ثم أدعم قوله هذا بأكثر من عشرين مفردة . فهذا الأصل يقابله عندنا (جلا) ويشترك معه (جهر) في بعض معانيه ، كما سترى :

وجلا السيف والمرآة جلواً وجلاء : صقلهما

وَجَلاَ البَصَر بالكحل : روّقه .

وجَلَا عن فلانٍ الأمر : كشفهُ .

وَجَلا لي الخَبَرُ : وَضَحَ .

وَجَلا العروسَ على بعلها : جِلْوَة (مثلثة) وجِلاء : عرضها عليه مَجْلوّة . — وجلاها زوجها وصيفة أو غيرها : أعطاها إياها في وقت العرض والزفاف .

وجَلِيَ الرجُلُ يجلى جَلىً : انحسر مقدم شعره ، أو نصف الرأس ، أو هو دون الصلع فهو أجلى .

ويشتق من هذا الثلاثي ، مزيدات عدة وأسماء مختلفة ، لو ذكرناها لتعدّى قدرها المائة . فانظر هذا الاتفاق بين اليونانية والعربية !

وذكر GAR وقال هذا الاصل يفيد السَقْع والصُرَاخ والصِيَاح .

قلنا : وعندنا نحن بهذا المعنى جأر وجهر . فمن الأول :

جَأَر الى الله يجأَرُ جَأْرا وجُؤَرا : رفع صوتهُ بالدعاء اليهِ ، وتَضَرَّع واستغاث وجَأَر الثور : صاح . وجأر النبات : طال ، كأنهُ بذهابهِ الى السماء يصرخ اليها . وجأرت الارض : طال نبتها . وَجَئِرَ الرجل يجأْر جَأَرا . غَصَّ في صدره . — وفي هذا الاصل معانٍ عديدة يتدبَّرها الباحث في دواوين اللغة اذا أراد التوسع في البحث .

ومن الثاني :

جَهَرَ الامر يجهَرُ جَهْرًا وَجِهَارًا : عَلَنَ .

وجَهَرَ الكلام و بالكلامِ : أعلنهُ .

وجهر الصَوْتَ : أعلاهُ .

وجَهَرَ القَوْمَ : استكثرهم حين رآهم .

وجَهَرَ الارض : سلكها من غير معرفة .

وجَهَرَ الرجلُ : رآهُ بلا حجابٍ ، أو نظر اليهِ وعَظُمَ في عَيْنَيْهِ .

وجَهَرَ السِقاء : مخضهُ .

وجَهَرَ الشيء : كشفهُ وحزرهُ .

وجهرَ البئرَ نقَّاها وأخرج مافيها من الحمأة ، أونزحها ، أو بلغ الماء . قال الاخفش: تقول العرب : جَهَرْتُ الرَكيَّةَ : اذا كان ماؤها قد غطّى الطينَ ، فنقَّيْتَ ذلك حتى يظهر الماء ويَصْفُوَ .

وجَهَرَ الرجلُ فلانًا عَظَمهُ .

وجَهَرَ بالقولِ : رفع بهِ صوتهُ .

وجَهَرَ بالبَسْمَلةِ : نطق بها واضحًا وبصَوتٍ عالٍ . عند فاتحة الصلاة .

وجَهَرَتِ الشمسُ المسافرَ : أسْدَرَتْ عينَهُ .

وجَهَرَ الشيء فلانًا : راعهُ جمالهُ وهيئتهُ

وجَهَرَ القومُ القَوْمَ : صَبَّحُوهم على غِرَّةٍ .

وجَهِرَتِ العينُ بجهْرُ كفرِحَ : لم تبْصِرفي الشمْسِ .

وجَهُرَ الرجلُ يجهُرُ ، بضمِ الهاء ماضيًا ومضارعًا ، جَهارَةً فخَمَ بين عَيْنَي الرائي .

وَجهُرَ الصوت يجهُرُ ، بالضم أيضًا ماضيًا ومضارعًا : ارتفع .

ولو أردنا التبسّط في هذا الاصل ، لبعدنا في شقتنا . والمادة واسعة جدًا ، تقع مشتقاتها من أفعالٍ وأسماء ، في صفحاتٍ عدّة . يشترك فيها معنيان :

الجلاء والصوت كما قلنا في أول مادة (جلا) .

ومن الاصول التي ذكرها العلاّمة اللغويّ (بايّي) : GEM وقال : « يغلب على معناها : الامتلاء والكثرة والحِمل » . قلنا : ويقابلها عندنا : جمّ . من ذلك ماجاء في كتب لغتنا :

جمّ الماء وغيرهُ يجُمُّ ويجِمُّ (بالضم وبالكسر) جُمُوماً : كثر واجتمع .

وجمّتِ البئرُ : تراجع ماؤها .

وجَمَّ الفرسُ : تَرَكَ الضرابَ ، فتجمّعَ ماؤهُ في صلبِهِ .

وجَمَّ قدومُ الغائب : دنا وحان .

وجَمَّ الجوادُ جَمّاً وجماماً ايضاً : تُرِكَ فلم يُرْكَبْ ، فعفا من تعَبِهِ .

وجمّ العَظْمُ : كثر لحمُهُ .

وجمّ الكيلَ يجُمُّهُ ويجِمُّهُ (بالضم والكسر) جَمّاً وجِماماً (وهذه مثلثة الجيم) : كالهُ الى راس المكيال .

وجمّ الماء : تركهُ يجتمع .

وجمّ المكيالَ : ملأهُ الى راسهِ طفافاً .

وأما فروع هذا الاصل ، فشيءٌ كثارٌ ، ولا بد من مراجعة الأمّهات للوقوف عليها .

وقد سردنا هنا ثلاثة شواهد من أصول اللغوي الفرنسوي (بايّي) وفي مكنتنا أن نتوسّع في هذا البحث توسّعاً ، لا يقوم بهِ حقّ قيامهِ ، إلا سِفْرٌ ضخمٌ . ويظهر ظهوراً بارزاً ان اصول الهلّنيّة والاصول المُضَرِيَّة متفقة . وهو أمر غريب ولسوء الحظّ ، لم يُنَبِّه عليهِ أحدٌ ، لذهاب أغلب أرباب اللغة ان لا مناسبة بين لغتنا ولغتهم ، وهو قَوْل قائل ينجلي فسادهُ من اول تبصُّرٍ لهذا البحث .

٣٥. اوزان العربية وصيغها

نريد بأوزان العربية، او موازينها: ابواب الافعال من ثلاثية ومزيد فيها. — ونريد بصيغها: أوزان الاسماء، من مشتقة وغير مشتقة، وميّزنا بين اللفظين والمعنيين، أمنا لِلَّبْس، وإلا فلا فرق بينهما. ولهذا لم نقيّد نفسنا بهما كل التقييد، بل تساهلنا فيهما أحياناً.

فأما أوزان العربية، فمن أبدع ما ورد فيها، وهي من الغنى بحَيْث يجد فيها الباحث ما يجزِئُهُ عن النحت والتركيب وتكثير الالفاظ والشروح، حتى انك لا تجد ما يضارعها في سائر الألسنة، ولو كانت سامِيّة الاصل. نعم، انك ترى في العبرية والارمية شيئاً يشبه هذه الاوزان، لكنك لا تجدها كلها، بل بعضاً منها، وهي دون العربية عدداً. فالعربية سبقت اخواتها كلهنّ، وبَزّتهنّ بزّاً! ولكل وزن من تلك الاوزان، مزية خاصة بهِ؛ وربما اجتمعت فيهِ عدة مَزَايا، وربما أيضاً اشتركت مزايا هذا الوزن، مع مزايا الوزن الآخر.

خُذْ مثلاً الوزن (فاعل) ففيهِ من المزايا ما يدهشك:

١َ. فتأتي (فاعَلْتُ للمشاركة) تقول: شاركْتُهُ، وقاتلتهُ. ودارستهُ، وقاومتهُ وجاورتهُ، وقاولتهُ.

٢َ. وتأتي فَاعَلْتُ بمعنى فَعلْتُ وأفعَلْتُ. تقول: قاتلهم الله، اي قتلهم الله. وعافاك الله اي أعفاك. وعاقبتُ فلاناً، وداينتُ الرجُلَ أي أدنتُهُ. وشارفتُ بمعنى اشرفتُ. وباعدتهُ بمعنى أبعدتهُ. وجاوزتهُ بمعنى جُزتُهُ. وعالَيْتُ رَحْلي على الناقة أي أعليتُهُ.

٣َ. وتأتي فاعلت من واحدٍ بغير معنى المشاركة، ولا بمعنى فَعَلْتُ ولا افعلت

كقولك : سافرتُ ، وظاهرتُ ، وناولتُ ، وضاعفتُ ، وسابقتهُ ، وحاربتهُ ، فلم يسابقني ولم يحاربني .

٤ً . (وتأتي فاعلتُ بمعنى فَعَّلْتُ بلا فرق) كقولك : ضَاعَفْتُ بمعنى ضعَّفت، وباعدتُ وبعَّدتُ، وناعمتُ ونعَّمتُ. ويقال : امرأة مُناعِمة ومُنعَّمة . وربما وَردتْ فاعلت بمعنى فَعَلت في اصل ولا ترى فيه فَعَّلْتُ . تقول : فلان ضَاءلَ شخصَهُ أي صَغَّرَهُ ولا تقول : ضَأَّلهُ .

٥ً . (وتأتي فاعلتُ للمُبَاراة والمغالبة) تقول : شاعرتُهُ مشاعرةً فشعرتُهُ ، أي غالبتهُ في الشِعر ، فكنت أشعر منهُ . — وتقول : فاضلني فلان فَفَضَلْتهُ أي باراني في الفضل ، فكنتُ افضل منهْ . ومثلهُ : جاودني فجدتهُ . وعَازَّني فعززتُهُ أي غالبني فغلبتهُ . وضم العين في مثل هذا مُطرد في المضارع وليس في كل شيء يقال : فاعلني ففعلته ، بل في ما يقبل المغالبة (راجع ما قالهُ صاحب اللسان في مادة (عزز) .

٦ً . (وتأتي فاعل بمعنى تفاعل) ومنهُ قول اللغويين ضاءل شَخْصَهُ وتَضَاءل أي صَغَّرهُ .

والتوسُّع في هذا البحث وأشْباهِهِ ، خاصٌّ بكُتُب الصرف .فارجع اليها ان شئت.

وأما الصيغ العربية ،

فهي أوسع ميداناً من الاوزان ، ولا نظن انَّ في العالم لغةَ تعدَّدت فيها الصيغ كما تعــدَّدت في لغتنا ، ففي لغات الغرب مثلاً ، ولا سيما الحديثة منهـــا ، ترى صيغاً للتصغير والتكبير ، للتحبيب والتحقير ، للتقريب وللتبعيــد ، للتجديد والتعتيق ، الى أشباه هذهِ الفِكر، ونظن ان أغلبها صيغت على أمثلة لغة عدنان . اما ان هناك صيغاً خاصةً ، ولكلِّ صيغــة مزيةً خاصة بها دون غيرها ، فهذا لا يُرى إلا في هــذهِ اللسان البديعة .

فعندنا صِيَغٌ تمتاز بمعانٍ خاصة - هذا عدا الصيغ التي قرّرها النحاة في تصانيفهم -
فهناك : فُعَال ، وفِعال ، وفَعَال .

فُعَالة ، وفِعَالة ، وفَعَالة .

فُعَّال ، وفِعَّال ، وفَعَّال .

فُعَّالة ، وفِعَّالة ، وفَعَّالة .

فُعْلَة ، وفِعْلَة ، وفَعْلة .

فُعُلّ ، وفِعِلّ ، وفَعَلّ .

فُعْلَان ، وفِعْلان ، وفَعْلَان ، وفَعَلَان

فَعَلْعَل ، وفَعَلْعَلَان ، الى غيرها وهي كثيرة . ونحن نذكر هنا بعض الشواهد للإلمام فقط ، والاشارة الخفيفة الى ما هناك من دقائق المعنى .

فالفرق مثلاً بين العلَاقة (بالفتح) ، والعِلَاقة (بالكسر) هو على ما قال في الكليات : « العِلَاقة بالكسر ، هي علاقة السَّوْط والقَوْس ونحوهما . وبالفتح : عَلَاقة المُحِبّ والخصومة ونحوهما . - فالمفتوح يُستعمل في الامور الذِهْنِيّة ، والمكسور في الامور الخارجية . والعَلَاقة ايضاً هي اتصال ما بين المعنى الحقيقيّ والمجازيّ . وذلك معتبر بحَسَب قوّة الاتصال . ويتصوَّر ذلك الاتصال من وجوهٍ خمسةٍ : الاشتراك في شكلٍ - والاشتراك في صفةٍ - وكون المستعمل فيهِ ، أعني المعنى المجازي على الصفة التي يكون اللفظ حقيقةً فيها - وكون المستعمل فيهِ - أصلاً غالباً الى الصفة التي هي المعنى الحقيقيّ - والمجاورة .

« فالاولان يُسَمَّيانِ مستعاراً ، وما عداهما مجازاً مُرْسَلاً . ووجه المجاورة يَعُمُّ الامور المذكورة . قال صاحب الاحكام ، بعد ما عدّ الوجوه الخمسة ، وجميع جهات التجوّز ، وإن تعدّدت ، غير خارجة عما ذكرناهُ . » اه .

قال صاحب هذا الكتاب : الفِعالة ، بالكسر ، تدلّ في أغلب الاحيان على

الصناعة كالحِراثة ، والزِراعة ، والمِساحة ، والنِجارة ، والحِدادة ، والخِراطة ، والحِياكة ، والتِجارة ، والسِقاية ، الى نظائرها .

وتدلّ أيضاً على الآلة ، والأداة ، فكأنّها تأنيث الفِعال الدالّ بنفسهِ على الآلة أو ما يشبهها ، كالحِزام ، والنِطاق ، والبِساط ، واللباس ، والمِقاط ، والشِكال ، والرِباط ، والعِقال ، ونحوها .

وأما نظائر الفِعالة فكالإِداوَة ، والحِداجة ، والخِزانة ، والرِحالة ، والجِبارَة ، والضِبارة ، والعِضادة ، والكِنانة ، والقِلادَة ، والحِيالة ، والرِفادة ، (الخِرْقة يُرْفد بها الجرح وغيره) والسِقاية ، (للإناء الذي يُسقى بهِ) الى آخر ما ذكروهُ من هذا القبيل . بَيْدَ أن الأمثلة الواردة بالهاء أقلّ بكثير من المُثُل الخالية منها . على ان ما ذكرناهُ كافٍ لإثباتِ ما نقول ، وان لم يذهب اليهِ إلى هذا اليوم ، أحد من النحاة أو اللغويين ، إلا ان الحقيقة لا تخفى على المتدبّر .

فَعَلْعَل

من الصفات الدالّة على ان صاحبها يمتاز بكثرة ما يتصف بهِ ، ما جاء منها على فَعَلْعَل كَعَطَمْطَم ، وعَنَطْنط ، وغَشَمْشَم ، وعَرَمْرَمُ ، وعَفَرْفَرَة ، ودَمَخْمَخ ، وهَجَفْجَف ، وحَوَرْوَر ، وعركرك ، وعَنَشْنَش ، وحَوَلْوَل ، وشَمَقْمَق ، وعَقَنْقَل ، وصَمَخْمَخ ، وعَصَبْصَب ، وسَمَعْمَع . وهي مركبة أو منحوتة من تكرار الوصف الثلاثي فقولهم : رجل عَنَطْنَط كقولهم رجل عَنِط عَنِط ، لكنْ عَنِطٌ لم يسمع بهِ ، فاجتزأوا بقولهم عَنَطْنط أي عظيم الطول أو بيّن الطول ولا سيا بيّن طول العنق . ويراد بفعَلْعَل ، المبالغة في الوصف ، عظيماً كان ذاك الوصف أم صغيراً ، فان كان عظيماً ، فهو أعظم ما يكون من جنسهِ وان كان صغيراً ، فهو أصغر ما يكون من جنسهِ . ويمتاز مع ذلك بشيءٍ خاصّ يبلغ بهِ النهاية .

فقولك : رجل سَمَعْمَع ، تريد به رجلاً « صغير الرأس والجثّة داهية غايةمايكون

(التهذيب) وقول القاموس : « الصغير الراس أو اللحية والداهيـة » . غير صحيح وفي اللسان : « الصغير الراس والجثـة الداهية » صحيح ، موافق لما في التهـذيب . والازهريُّ أعظمُ حجةٍ في اللغةِ ، يتضاءل بجانبهِ سائر أرباب المعـاجم . وقد غلِط أيضاً كل من نقل عن القاموس كالمعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ، والشرتوني ، في أقرب الموارد ، والشيخ عبد الله البستاني في البستان[1] فقد نقل جميعهم عبـارة القاموس فقالوا : السَمَعْمَعُ : الصغير الراس ، او اللحية ، والداهية . على ان (البستان) مسخها فأسـاء في التعبير كل الاساءة فقـال : « السَمَعْمَع : الذئب الخفيف السريع و — الصغير اللحية و — الداهية » (كذا)

وقال ابن بريّ : شاهدهُ قول الشاعر :

كأنَّ فيهِ وَرَلاً سَمَعْمَعا

وقيل : هو الخفيف اللحم ، السريعَ العَمَل ، الخبيثُ ، اللبِقُ ، طالَ او قَصُرَ . وقيـل : هو المُنْكَمِش الماضي . وهو فَعَلْعَلٌ . » (راجع أماليّ الشيخ ابن بريّ في ترجمة سمع في نحو آخرها) .

وقد اختلف العلماء في تعليل هذا الوزن . فمنهم من جعل أصله : الاحرف الثلاثة الاولى ، ثم كُسِعت بحرفين في عجزها ، من جنس الحرفين الاخيرين من صدر الكلمة . وهذا رأي الليث ، صاحب كتاب العين ، فقد قال في تركيب (ع ن ط) في كلامهِ على العَنَطْنَط : « اشتقاقهُ من عنط ، ولكنهُ أُردِفَ بحرفَيْن في عَجزِهِ » .

وذهب الفرآء الى انهُ مشتق من الفعل ، فقد قال في عَصَبْصب : « هو مشتق

---

(١) اني احذّر كل باحث من الاعتماد على (البستان) فان صاحبه حاول مراراً ان يخفي نقلهُ من الكتب التي كانتْ بين يدَيْه ، فلوى المعاني ليّا ، وأفسد التعبير عنها بأشنع صورة ، وكفى الباحث ان يعارض بين مادة من موادّ (البستان) بما يقابلها في القاموس ، او لسان العرب لتنكشف له المخازي ، والفظائع ، والشنائع . واحسن عمل يأتيه طابعو المعجم المذكور ان يجمعوا نسخه و يُحرقوها إحراقا لا يبقي من رمادها اثراً في الارض كلها .

من قولك عَصَبْتُ الشيء : اذا شددتَهُ . » قال الازهري : وليس ذلك بمعروف ، انما هو مأخوذ من قولك : عَصَبَ القومَ أمرٌ يَعْصِبُهُم عَصْبًا : اذا ضَمَّهُم ، واشتدَّ عليهم (راجع التهذيب في عصب) .

على ان الازهري نفسهُ ذهب مذهبًا آخر في مادة أخرى تشبه اشتقاقها هذا الاشتقاق فقال في التكملة : « بحر غَطَمْطَمٌ وغُطَامِطٌ : كثير الماء ، كثير الالتطام ، اذا تلاطمت امواجُهُ . والغَطْمَطَةُ : التطام الامواج . وجمعُهُ غطَامِطُ . وغَطَامِطُهُ كَثِيرَةٌ : اصوات أمْوَاجِهِ اذا تلاطمت . وذلك انك تسمع نَغْمَةً شِبْهَ غَطْ ، ونغمةً شِبْهَ مَطْ ، ولم يبلغ ان يكونَ بَيِّنًا فصيحًا كذلك ، غير انهُ اشبهُ بهِ منهُ بغَيْرِهِ ، فلو ضَاعَفْتَ واحدةً من النَغْمَتَيْنِ ، قلتَ : « غَطْغَط » ،أو قلتَ : « مَطْمَط » ، لم يكن في ذلك دليلٌ على حكاية الصوتين ؛ فلما أَلَّفْتَ بَيْنَهُما ، فقُلْتَ : غَطْمَط ، استوعب المعنى ، فصار بمعنى المضاعف ، فتَمَّ وحسُنَ » اه كلام ابي منصور .

وذهب ثعلب الى نحو ما ذهب اليهِ ابن مُظَفَّر فقد جاءَ في اللسان في (صمح) ما هذا نصُّهُ : « قال ثعلب : راس صَمَحْمَحٌ أي أصلعُ ، غليظٌ ، شديدٌ . وهو فَعَلْعَل ، كرّر فيهِ العَيْن واللام » .

وهناك رأي آخر هو رأي ابن جِنّي فقد قال في (صمحمح) : « الحاء الاولى من صَمَحْمَح زائدة ، وذلك انها فاصلة بين العَيْنَيْن . والعَيْنان متى اجتمعتا في كلمة واحدةٍ ، مفصولا بينهما ، فلا يكون الحرف الفاصل بَيْنَهما إلا زائداً نحو عَثَوْثَلٍ ، وعَقَنْقَلٍ ، وسَلالِم . وحَفَيْفَدٍ[1] . وقد ثبتَ أن العين الاولى هي الزائدة ، فثبتَ إذاً أن الميمَ

---

(١) هكذا هو في الاصل . ولا وجود لحفيفد في المعاجم العربية التي بايدينا ولعل الصواب هو حَفَنْدَد . وهو المدوّن في المعاجم . على ان سياق الكلام يوجب ان يكون حَفَيْدَد بياء متحركة بعد الفاء لان ابن جني ذكر اربعة شواهد : في الاول منها يرى الحرف الثالث واواً وفي الثاني حرفاً صحيحاً ، وفي الثالث الفاً . فيجب ان يكون الحرف الثالث من الشاهد الرابع ياء وهكذا تكون روايته بالياء صحيحة وعدم وجودها في المعاجم ، لا ينفي وجودها في كلام العرب لاسيما ان ابن جني هو من الحجج الثقات الاثبات . اذن حفيدد صحيح بمعنى حَفَنْدَد

والحاءَ الأوليين في صَمَحْمَح هما الزائدتان . والميمَ والحاءَ الاخيرتين هما الاصليتــان . فاعرف ذلك » اه .

فيتضح من هذا ان حُذَّاق الصِّناعة اختلفوا في اشتقاق هذا الوزن ، والرأي الاصح عندنا ، انهُ منحوت من نعتين متجانسين وضعاً واشتقاقاً ، وانما فعــلوا ذلك تبليغاً في الوصف واشارة الى أصل الاشتقاق .

واذا مُدَّ فعَلْعَل ، فقيل فعَلْعَال ، اختلفت فيهِ الاراء اختلافاً جديداً ، فمنهم من جعلهُ فَعَلعالاً بالتحريك . ومنهم من قال : الفِعِلْعَال بالكسر هو الفصيح . ومنهم من لم يُبْدِ رأياً في تفضيــل وزن على وزن ، كأنهُ يُجيزُ الاثنين ، أو يُغَلِّب السماع على القياس ، وهو الرأي الراجح عندنا ، المقبول ، المعقول .

قال ابو منصور في تهذيبهِ : « السِرِطْرَاطُ ، بالكسر ، لغة جيدة لها نظائر مثل جِلِبْلَاب[١] ، وسِجِلاَّط[٢] ؛ وأما سَرَطْرَاط [بالتحريك] فلا أعرف لهُ نظيراً[٣] . فقيل للفالوذج : « سِرِطْرَاط ، فكُرِّرَتْ فيه الراء والطاء تبليغاً في وصفهِ واستلذاذاً لآكلهِ إياهُ ، إذا سرطهُ واساغهُ في حلقهِ . . . والسِرِطْرَاط فِعِلْعال من السرط الذي هو البلع » اه .

---

(١) في اللسان المطبوع في بولاق في مادة (س ر ط) ، حِلِبلاب بحاء مكسورة في الاول والصواب ما ذكرناه إذ لاوجود لهذه الكلمة . ولاشك في ان الغلط وقع من الناشر لكثرة سمعه (الجلابية) و (الجُلاَّب) و (الجلباب) وعدم سماعه الحِلِبلاب بالحاء المهملة المكسورة

(٢) هذا كلام غريب ينطق به امام ائمة لغويي العرب ابو منصور الازهري . فسرطراط وحلبلاب وزنهما فِعِلْعَال . وسِجِلاَّط وزنهُ فِعِلاَّل ، فاين ذا من ذاك ؟ . ومع ذلك أنا لانتقل الا ماجرى في التهذيب وهو كذلك في اللسان ، فسبحان من لايسهو .

(٣) وهذا اغرب ما نطق به الازهري مع انك تراه يذكر في معجمه الشَرَقْرَاق نقلا عن(العين) . فقال في (شرق) في نحو آخر المادة : ليث : الشِقِرِّق والشَرَقْرَاق لغتان : طائر يكون في ارض الحرم ، في منابت النخيل كقدر الهُدهُد مرقّط بحمرة وخضرة وبياض وسواد فكيف نسي هذا ؟

وأما ورود فَعَلمال بالتحريك فغير مجهول ، فقد ذكر أرباب اللغة من لغات الشِقِرَّاق : الشِرِقْرَاق ، بالكسر ، والشَرَقْرَاق ، بالتحريك ، ولم يُقَبِّحوا هذهِ اللغة .— على أن كسر الاولَيْنِ اكثر وروداً . فقد قالوا مثلاً شِنِقْنَاق ، وهي بكسرتين ، وهو رئيس الجنّ والداهية .

ولم يذكر لهُ لغة التحريك .

بيد أنهُ يعترض على هذا ، ان وزن شِنِقْنَاق فِنِعلال ، لا فِعِلْعَال . ونظائر فِنِعْلال ومقلوبهُ فِعِنْلال معروفة كسِنِقْطَار وسِقِنْطَار .

ويقارب هذهِ الاوزان (فِعِلَّال) كسِجِلَّاط وسِقِلَّاط وسِنِمَّار[1] .

وكذلك فِنِعلَال ، كسِنْجِلَاط ذكره القاموس ولسان العرب في (سجلط) .

وقد أطلنا الكلام على هذهِ الاوزان الغريبة ، لأن أغلب النحاة لم يذكروها . والذين ذكروها ، اقلُّوا الكلام عليها ، إما لنُدْرتها ، واما لغرابتها ، وامّا لِما فيها من العراقيل في البناء والصّيغة . والصيغ في لغتنا تعد بالمئات .

٣٦ . اتفاق اصول العربية مع اللغات اليافثية

اتفاق أصول الساميات أمرٌ لا يجهلهُ صبيان الكتاتيب ، ولهذا لم نتعرض لهُ . إنما الاختلاف ، بل أعظم الاختلاف هو في اتفاق الساميّات واليافثيّات ، أهو واقع أم لا ؟ .

---

(١) اصل سِنِمَّار : سِين ، بمعنى القمر ، وسِين مَتاه ، وكلاهما بمعنى القمر ، الاول إرَمِيّ والثاني عبري . ثم مُزِجا وقلبت الهاء راءً على لغة لبعضهم .

ومثل هذا المزج لم يكن مجهولا عندهم . فقد قالوا (القباطاق) (راجع المغرب للمطرزي) والاصل : القب : الطاق أي ان القباء هو الطاق .

والقباء فارسية والطاق عربية من اصل رومي ، وقالوا : شقائق النعمان . وشقائق عربية والنُعْمان (و نَعمن) يونانية . بمعنى الشقائق للزهرة الحمراء المعروفة وهناك غير ما ذكرناه من هذا الكلام . وهذه الامثلة الثلاثة مجزأة ، اذ هي من باب التركيب .

فأغلب فقهآء اللغات على أن لا نَسَبَ بينهما البتة . وهذا رأي أغلب المتعصبين لقوميتهم تعصباً أعمى ، إذ لا يريدون أن يكون أدنى صلةٍ بين بني سام وبني يافث. وبعضهم يرى أن هناك بعض الصلة ، وهذا رأي بعض العلمآء الساميّين ، الذين أتقنوا العِبْرِيَّة ، ودرسوا اللُغَى اليافثية ، والألمانية ، والانكليزية ، والروسية ، فوجدوا مُشابهاتٍ بينهــا وبين اليافثيات . فذكروا أن هناك ألفاظاً أخذت من الساميات ، ولا سيما من العبرية . وأشهر من ذهب الى هذا الرأي (مُوس أرنولت) أي :

MUSS-ARNOLT.— On Semitic Words in Greek and Latin. (Transactions of the American Philological Association. VOL. XX. III. 1892.

والظاهر من اسم هذا المحقِّق أي موس أرنولت ، أنهُ يهودي ، أو من أصل يهودي ، لأن (موس) مقطوع من (موسى) وما بقيَ من اسمهِ هو كالردآء يلقيــهِ على نفسهِ ليخفي أصلهُ .

والثاني هو (لاوي) LEWY وهو يهودي صِرْف بلا نزاع . واسم كتابهِ :

DIE Semitischen Fremdworter in Griechischen. Berlin 1895.

على أننا نصرّح للجميع ، أننا لم نستفد من هذين الكتابين ولا من غيرهما ، لأننا لا نفهم كلمةَ من الألمانية .

ثانياً ، لعدم وجود هذين التأليفين بين يدينا .

ثالثاً ، أننا عرفناها من معجم أميل بوازاق اللغوي البلحكي أي :

EMILE BOISACQ. -- Dic. Etymologique de la Langue Grecque.—2e EDIT. PARIS. 1923.

الاشتراك اللغوي واضح في مئاتٍ من الألفاظ مما يدل على أن الحقيقة لا تنكر . ولا سيما اذا أخذ الباحث بمبدإنا وهو : أن كل كلمة مركبة من هجاء واحد أو هجاءين، لا بد من أن يكون لها مقابل في اليافثيات ، وهو المبدأ الذي جاهرنا بهِ ، وأنكرهُ علينا مجاناً وبلا أدنى تدبُّر ، من يدعي الوقوف على اللغات الغربية والعربية ، ولعــلَّ ذلك الوقوف هو « على الرأس لا على الرجلين » . ونحن نذكر الآن بعض الشواهد :

١ . العُصْفُور

هو اسم لكل طائر صغير الجثة يكثر الصفير . وقد قال بعضهم انهُ سمي كذلك لأنهُ لما أُدخِل الجنَّة (عصا) الله و (فرَّ) (راجع تاج العروس في طفيشل) . على أن اشتقاقهُ من (الصفير) واضح لا يحتاج الى دليل . وصُغِّر على وزن (فُعلول) فقيل (أُصفور) أي (عُصفور) .

ووزن (فُعلول) أو (أُفعُول) معروف في العربية وان لم يصرحوا بهِ في مهارقهم. من ذلك (الخُتْرُوش) : الصغير الجسم - (والزُغلول) الخفيف من الرجال والطفل- والمُلْمول للميل الصغير الذي يكتحل بهِ - (والأُملُول)لدويبة صغيرة تكون في الرمل تشبه العظاءة . الى نظائرها .

والعصفور بالأرمية (صَفْرا) ويضيفونهُ الى كثير من الألفاظ فيكون عنـدهم ما معناهُ : القبَّرة - والبُلْبُل أوالهزار - والسَّمَرْمَر - وعصفور الغاب الى آخر ما عندهم . -

وللانكليز كلمة تقرب من كلمتنا وهي SPARROW (وتلفظ سْپَارَو) أي العُصفور . قال وَبْسْتر : هو بالانكليزية القديمة SPARWE وبالانكليزية السكسونية SPEARWA قال : وأصلها يتصـل بالجرمنية العالية القديمة SPARO وبالجرمنيـة SPERLING وبالأَسْلَنْدِيَّة SPORR والهولندية SPURRE,SPURV والأسوجية SPARF والقوطية SPARWA . ومن المحتمل أن يكون الأصل مأخوذاً من معنى المرتعش والمرتعد وانهُ يتصل بالانكليزية SPURN ومعناه نفح أي ضرب برجلهِ .

على أن الأصل الذي أشرنا اليهِ هو أقرب الى طبيعة العصفور . وهو باللاتينيـة PASSER وبالفرنسـية PASSEREAU وباليونانيـة στρουθός (STROUTHOS) (أي ستروثس) وبين الأصل اليوناني (ستر) ، أو (صتر) ، أو (صفر) ، العربيات مجانسـة لا تخفى على السامع . فان بعض الأعْرَاب كانوا ينطقون بالتاء المثناة فاء ،

وبالعكس كالنبيت والنفيت ، ومنهم من كان يجعل الثآء المثلثة فآء ، وبالعكس ، فيقولون : الحثالة والحفالة ، وثلغ رأسهُ وفلغهُ ، والثِام والفِام .

فترى من هذهِ المقابلة ما يدهِش كل متدبرٍ . ومن ذلك :

٢ . التُرعة .

الترعة : الباب (اللغويون جميعًا) . وهو بالأرمية (تَرْعَا) ، بمعناهُ ، وهو مشتق عندهم من (ترَعْ) أي شقَّ ونقب وفتح ، وهو بالصابئية أو المَنْدَائيّة (ترْأا) ، لأن أرباب هذهِ اللغة يسقطون منها الحرف الحلقي ، وهو بالعبرية (ترع) ، وبالفارسية (دَرْ) ، ومنها اللفظة التركية المركبة من الفارسية والعربية (دَرْ سَعادَتْ) أي (باب السعادة) وهم يريدون بها (إسْتَانْبُول) ، أو (القُسْطَنْطِينِيّة) ، وبالانكليزية DOOR ، قال وبستر : وبالانكليزية القديمة القديمة DORE, DURE وبالانكليزية السكسونية DURU ، والأصل يتصل بالسكسونية القديمة DURA, DUR والهولندية DEUR، والجرمنية العالية القديمة TURI ، والباب الكبير TOR ، والجرمنية THOR, THUR ، والإسلنديّة DYRR ، والدنيمركية DOR ، والأسوجية DORR ، والقوطية DAUR ، والثوانية DURVS ، والروسية DVERE واللاتينية FORES واليونانية THURA ، والهندية الفصحى DUR, DVARA . فهل بعد هذا من يشك في أن اللغات تتلاقى في بعض الألفاظ كما يتلاقى الأصدقآء بعضهم مع بعض ؟

٣ . العِدّ

العدّ ، بالكسر : المآء الجري الذي لهُ مادة لا تنقطع كماء العين (القاموس) وهو باللاتينية UNDA . باقحام نون أي N بين العين والدال . ومثل هذا كانت تفعل العرب . فانهم كانوا يقولون (الحَنْظ) في (الحظّ) [1] الى أمثالها وهي لا تعد . على أن اليونان أسقطوها من كلامهم وعوّضوا عنها برآء في الآخر فقالوا ὕδωρ, ὕδατος

---

(١) قال ابن منظور في مادة (حنظ) من ديوانه ما هذا اعادة نصّه : من العرب من يقول : « حَنْظ » وليس ذلك بمقصود ، انما هو غُنّة تلحقهم في المُشَدَّد ، بدليل ان هؤلاء اذا جمعوا ، قالوا حظوظ قال الازهري : وناسٌ من اهل حمص يقولون

(hydôr, hydatos) وتلفظ (عِدُر) وفي الاضافة يحذفون منها الرآء ، فيقولون : عِدَاتُس ، مما يدل على أن الرآء عارية فيها . وقد كان للناطقين بالضاد مثل زيادة هذهِ الرآء في الآخر ، فقالوا : بَحْثر الشيء في بحثه ، وفجَّر الشيء في فجّه ، والبَتْر في البتّ ، وهو القطع . إلى نظائرها .

و« العدّ » بالهندية الفصحى (عُدَان) أي udan وبالاضافة udn—ah والأصل udan وهذهِ اللفظة يجانسها عندنا العَدَان : كسحاب ، وهو ساحل البحر وحافة النهر ، و hydôr اليونانية نقلت الى water الانكليزية . ومن أراد أن يرى أخواتها في اللغات السكسونية فليراجع هذهِ اللفظة ، فانهُ يرى لغاتها المختلفة في (وبستر) ، كما فعلنا في (الترعة) و (العصفور) فبهذهِ المعارضة يظهر ، في لغتنا من الفضل العظيم والأصل الحقيقي ، لأنهُ مبنيّ على هجاء واحد ، لا غير ، على ما تقدَّم القول . وقد أسلفنا الكلام : أن أقدم كلمة في اللغات أقربها الى الهجآء الواحدِ . وهذا ما يتحقق هنا كل التحقق .

ونزيد على ما تقدم أن الكلمة اليونانية hydor تبتدىء بحرف عليهِ علامة تدل على أن ذلك الحرف يقابلهُ في الألسنة السامية حرفٌ حلقيٌّ كالهمزة أو الهآء ، أو الحآء ، أو العين أو الخآء . ولما كانت كلمتهم تلك تعني « العِدّ » المآء الجاري ، وأيضاً البحر ، قالت العرب في هذا المعنى الاخير (خُضَارة) بالضم وفي الآخر هآء وبلا (أل) لانهُ علم للبحر ، واللفظ يكاد يكون واحداً في العربية ، لولا أن للعرب الخآء والضاد . فمن لا يعجب من هذهِ المجانسة العجيبة ؟

« حنظ » فذا حمــوا ، رجعوا الى الحظوظ . وتلك النون عندهم غُنَّة ، ولكنهم يجعلونها اصلية ، وانما يجري هـذا اللفظ على ألسنتهم في المشدد ، نحو الرزّ ، يقولون « رُنْز » ونحو « أتْرُجّة يقولون أتْرُنْجة ا هـ (ذكره الازهري وابن مكرم .

قال الأب انستاس ماري الكرملي : ونحن لاحظناه في غير المشدد ايضاً كقولهم : العَنْسل في العَسَل ، وهي الناقة السريعة . والجُنْفَم في الجيصم وهو الضخم الجنبين والوسط . ـ وقلو القِنْطار وهو عُطَرة لعود البخور . قال ابن دُرَيْد في جمهرته : « فِنْعال من القَطْر : ضَرْب من عُود البخور . . . والقُطْر هو عود البخور . والعَرَنْدل كالعَرْدَل وهو الصُلب الشديد . ـ ونقف عند هذا الحدّ اشفاقاً على القارىء لكي لا يتحرَّج صدره .

ويقرب من (خُضـارة) علَماً للبحر : (الخِضْرِم) والأصـل واحد ، إلا أنهُ أُرْدِف بالميم ، وهم كثيراً ما يزيدونها مبالغةً لما يقصـد منهُ . قال في القاموس : « الخِضْرِم ، كزبرِج ، البئر الكثيرة المآء ، والبحر الغطَمطَم .

وَيُشْبِه (الخِضْرِم) : الغُذَارِم وهو المآء الكثير .

ولليونان كلمة تقارب الأصل hydor وهو HYDRA,AS ويريدون بها ضرباً من الحيّات يأوي الى المآء .

وقد اشتهر بهذا الاسم HYDRA LERNAIA وهو حيّة كان لها أسبعة أرْؤُس ، وكان كلما قطع منها رأس نبتت في مكانهِ رأسان ، ولهم مثل مأخوذ من هذا اللفظ ، معناهُ : « قَطَعَ هِذْرَة » يضربونهُ لمن يُقَارِع مَصَاعب لا تنتهي »

وكان الاقدمون من مُعَرِّبي صدر الاسلام ، ترجموا هذهِ الكلمة « بالشجاع » ، قال في القاموس : « الشجاع كغراب وكتاب : الحية ، أو الذكر منهـا ، أو ضرب منها صغير والجمع شجعان ، بالكسر والضمّ » اه .

وعدم تثبتهم من حقيقة هذهِ الحية ناشيء من وجودها في المآء . على أن في لغتنا كلمة تضاهي أصول (هذرا) وهي (العُدَار)ونسب اليها صاحب القاموس رواية مصحفة الاحرف ، أصلها هو هذا على ما نرى : « دابّة تلكع الناس [أي تنكزهم] باليمن ، ولنَسْغَتِهَا (أي لسعتها) دود » ، والمثل العربي مبني على هذا التصحيف الوارد منذ أقدَم الازمنة . وليعذرنا القرآء عن إيرادهِ وإنما نسبوها الى اليمن ، لان هـذه الربوع عندهم بلاد العجائب ، فلقد نسبوا اليها (النَسْنَاس)، (والقَقَنّس) ، أو (القوقيس) ، الى غير ذلك من الغرائب ، وشواذّ الخلق ، وشُذّاذ الخلق .

ومن الاصول العربية الشبيهة باليونانية hydor « العَذْر » . قال المجد : العَـذْر المطر الشديد الكثير ، ويُضَمُّ : عَدِرالمـكان كفرِحَ ، واعتـدَر : كثر ماؤهُ . . .

والعَدَّار . الملاَّح . . . وعنذَر المطرُ فهو مُعنْذِر : اشتدَّ . واعتدر المكان : ابتلَّ من المطر » اه وكل ذلك موافق لما في الاصل اليوناني .

على أننا نلاحظ شيئاً وهو قولهم العدَّار هو الملاَّح . فكما أن (المَلاَّح) منسوب الى البَحْر « المِلْح » . (والبَحَّار) الى البَحْر ، وَجب أن يكون هناك لفظ مُمَات هو (العَدْر) بمعنى البحر ، حتى يؤخذ منهُ العَدَّار للبَحَّار ، و إلا لما جاز أن يقال العدَّار : الملاَّح .

ومما يضارع العَذْر العِضْرِس ، فليس فيهِ سوى تفخيم الدال وزيادة السين في الآخر . وهو من الامور المألوفة عندهم . « والعَضْرَسُ : كجعفر : . . . البَرْد ، والمآء البارد العذْب ، والثلج ، والوَرَقْ يُصْبِح عليهِ النَدَى ، أو اللازقةُ بالحجارةِ الناقعةِ في المآء ، وعُشْب أشْهَب الخضْرَةِ يحتمِل الندى شديداً ، ويُكسر كالعِضَارِس ، بالضمّ في الكلّ وجمعهُ بالفتح » اه . ففي هذا كلّهِ معنى المآء ، وهو أصل معنى اليونانية أيضاً مع فروعها المختلفة . فلا جرم أن الاصل واحد ، وان يحاول بعضهم انكارهُ على غير جَدْوَى .

وهناك مشابهات أخر لالفاظ لا تحصى ، وكلها تتصل بهذا الاصل أي (العِدّ) ، وقد حلَّت بهِ الغِيَرُ باختلاف ألْغَى القبائل ، كالوادي والودْي .

والعذِب (كحذِرَ) وهو المطحْلَب من المآء .

والعِذْي : للزرْع الذي لا يسقيهِ إلا المطر .

وَوَدَعَ المآء . سال . والوادِع : المَعين ؛ وكل ما جرى على صفاةٍ .

وَوَدَفَ الشَحْمُ ، وغيْرُهْ يدِفْ وَدْفاً : سال يسيل سيلاً .

وَوَدَكَ الشيء : بَلَّهُ وَنَقَعَهُ .

وَوَذَفَ الشحمَ كوَذَفَ ، بالمهملة والمعجمة على السواء .

واهْدَوْدَرَ المطرُ اهديداراً : انصبْ وانْهَمَرَ .

وَوَدَنَ الشيء يَدِنُهُ ، وَدْنًا ، وودانًا ، فهو مَوْدُون ، وودين أي منقوع ، فاتَّدَن. الى غير هَذِهِ المجَانسات ، والمشابهات ، والمقاربات ، وكلها ناشئة من أصلٍ واحدٍ ، هو (العِدّ) الذي وُضِعَ على أبسط وجهٍ أمكن أن ينطِقَ بِهِ المتكلِّمون ، وما بقي ففروع وفروق، اختلفت باختلاف القبائل،أو باختلاف الناس الذين جاورهم بنو مُضَر.

٤ً . الأَباءة

الاباءة : الاجمة من القصب ، والجمع ، أباءٌ (اللسان في أبأ) وقال في (أبي) : الأَباءة : البرْدِيَّة . وقيل : الاجمة . وقيل : هي من الحلفاء خاصةً . قال بن جِنّي : كان أبو بكر يشتق الاباءة من أَبَيْت . وذلك لأن الأَجمة تمتنع وتأبى على سالِكِها . فأصلها عندهُ أَبَايَةٌ ، ثم عُمل فيها ما عُمل في عَبَايَة وصَلاَيَة وعَظَايَة ، حتى صِرْن عباءة وصلاءة وعظاءة ، في قول من همز ومن لم يهمز اخرجهنَّ على أصولهنَّ ، وهو القياس القويّ . قال أبو الحسن : وكما قيل لها أجَمَة ، من قولهم أجِمَ الطعام : كرِههُ. والأَباءُ بالفتح والمدّ : القَصَب . و يقال : هو أَجَمَهُ الحَلْفاء والقصب خاصة . . . » اه

فأصل التركيب (أَبَا) لا غير . فضعفّها الارميون فقالوا : (أَبُّوبَا) و يريدون بها الانبوب أي ما بين عقدة وعقدة من القصبة أو كل مجوّف مُدَوّرٍ . ثم توسعوا في الكلمة والمعنى فقالوا (أَبُّوبْتَا) أي الانبوبة والقصبة .

على أن المعنى الاصلي للأَباء ، هو البَرْدِيّ ، كما صرَّح بهِ اللغويون الاقدمون . يثبت ذلك اللفظ اليوناني وهو πάπυρος (PAPYRUS) فانهُ يعني البَرْدِيّ الذي كان يُكتب عليهِ . وهم لا يدرون أصل الكلمة ، ولا أول من استعملها ، ويصعب أن يعرف ذلك . بيد أن الهجاء الاول من PAPYRUS تضعيف لثاني فلأصل (يَرْ أي PYR) وهذا ينظر الى اول هجاء (البَرْدِيّ) العربية أيضاً والمعنى واحد .

واذا بحثت في اللغة عن هذا الهجاء او هذا الاصل الاول (بر) او (فر) تراهُ

يدلّ على الرقة والدقة والخفة . فقد قالوا في مركبات (بر) : بَرَى العود والقلمَ والقدح وغيرها : يبريه بَرْياً : نحته . وابتراهُ كبراهُ .

و بَرَاهُ السفر يَبريهِ بَرْياً : هزَلهُ (عن اللحياني في اللسان) .

والبُرَة : حَلقة من فضَّةٍ او صُفرٍ تجعل في أنف الناقة ، اذا كانت « دقيقة » معطوفة الطرَفين . (اللسان) .

والبَرَى ايضاً : التراب ولا سيما الدقيق منهُ ومنهُ في الدعاء على الانسان : « بفيهِ البَرَى » كما يقال « بفيهِ التُراب » .

وقال في القاموس في (ب و ر) : البُوريُّ ، والبُوريّة ، والبُورِياءُ : والبارِيُّ ، والبَارِيَاءُ ، والبارِيَّةُ : الحصير المَنْسُوج . » اه . وقالوا : انها من الفارسية وهو غير بعيد . وقد اتصل العرب بالفرس ، فربما أخذوها منهم ، لكنهم لم يتصلوا مباشرة بغيرهم ليقال انهم اقتبسوها من غير الفرس . والذين يزعمون ، يجهلون سُنَن اقتباس الالفاظ . والمشهور في العراق ان البواري تتخذ من القصب ، والقصب يكثر في وادي الرافدين (راجع ما كتبناهُ في لغة العرب في ٧ : ٣٣٤ و ٣٣٥ وفي ٦ : ٧٨٢ و ٩ : ٣٢٥ الى مواطن اخر) .

والفارسية (بوري) من أصل عربيّ محض هو (برع) او (يرع) او (ورع) ومنها اليَرَاعة للقصبة ، ولأن البواري تتخذ من القصب ، على ما أسلفْنا القول . ولما لم يكن للفُرس ، ومن كان من أصْلٍ يافثي ، حرف العين ، عوّضوا عنهُ بحرف عليل كما هو مألوف عادتهم .

وأما مركبات (فر) فمعروفة أيضاً للدلالة على الدقة والصغر والخفة ، كما رأيناه في (بر) فقد قال البُصَرَاء في الاصول العربية : إنّ الفُرار : ولد النعجة ، والماعزةِ ، والبقرةِ الوحشيةِ ، أو هي الخِرفَان والحُملان . وكذلك الفَرِير والفَرور . والفُرْهور والفُرفُر والفَرافِر . ولو أردنا السير في هذا الوادي المتشعب الاطراف لأرهقنا القارىء عسْراً على غير طائل ولا جَدْوى .

وتتبع هذهِ الاصول العربية ومعارضتها بالاصول اليافثيــة أمر متسع الاكناف ولا يمكن تحقيقه إلا بمئات من الصفحات ، إن لم يكن بالألوف ، ولهذا نعــدل عنهُ لمعالجة بحث آخر .

٣٧ . تكاملُ[١] العربية بوجوهها المختلفة أو اكتهالها .

أ . توضيح

المراد بـ « تكامل اللغة أو اكتهالها » تقلب أحرف تركيبها ، وافادة معنى جديد في كل تغيُّر منها ، وسهولة الاشتقاق من ذلك القلْب مع استساغتهِ ، فيكون مع هذا القلب الجديد ، معنى جديد ، واشتقاق جديد ، في جميع الأوجه . وقد يكون قلب ولا يكُون سائغاً ، فلا يشتقّ منهُ شيء ، لأن ذوق العربي لا يستسيغهُ ، ويأبى أن يبقيهُ على لسانهِ لغرابتهِ ، أو لشناعتهِ ، فينبذهُ عنهُ نبْذاً قصياً ، لا نَدَم فيــهِ ولا مَنْدَمَ .

مثال ذلك قولك : (مدح)[٢] فتشتق منهُ : مدَّحهُ ، وتمدَّحهُ ، وامتدحهُ ، والمَدْح ، والمديح ، والأُمدُوحة ، والممدَّح .

فاذا قلبتهُ قلت : (حمــد) . ومنهُ . حَمِدهُ ، وحَمَّدَ الله ، وأحمــد الرجلُ ، وتحمَّد بهِ ، والحَماد ، والحَمادى ، والحُمادِيُّ ، والحَمْد ، والحَمْدَة ، وحَمَدَة النار

---

(١) انكر بعض المتحذلقين وجود « تكامل » . نعم . انه غير موجود في كتب او دواوين اللغة . ثم ماذا ؟ . هل عدم ورودهِ في تلك المعاجم دليل على عدم وجودهِ في اللغة ؟ ـ كلا . لأن القياس لا يمنعهُ . لأن السماع يؤيدهُ قال المعريّ :

وقد سارَ ذكري في البلادِ . فمن لهم بإخفاءِ شمسٍ ضوءها متكاملُ

وفي لسان العرب في مادة (درو) : درءٌ من قول . اي طرف منهُ ولم يتكامل .

(٢) (مَدَح) لا نظير له عند الروم . انما عندهم (لمدح) وسقوط احائه معروف عندهم فلم يبقَ في لسانهم منها إلا LAUDA | RE |

والحُمدَة ، والحُمَّاد ، والحمود ، والحامد ، والمحمود ، والحميد ، والاحمد ، والمَحْمَدة ، والمَحْمِدة ، والمحمَّد ، والمَحْمود ، إلى آخر ما هناك .

واذا قلبتهُ للمرة الثالثة نهض بين يديك (حدم) ومنهُ احتدمت النار ، وتحدّم عليهِ غيظاً ، واحتـدم ، والحِدَامُ ، والحَدْم ، والحَدَمُ ، والحَدَمَة ، والحَدِمَـة والمُحْتَدِم .

واذا قلبتهُ رابعةً ، انتصب بين يديك (الدحم) فقلتَ : دحمهُ دحماً . والداحُوم وهو قليل الاشتقاق .

واذا قلبتهُ خامسةً مَثُلَ نُصْبَ عَيْنَيْك (دمح) ، وهو قليل المشتقات لِنَبْوَتِهِ . فتقول : دَمَّحَ تدْميحاً ، والدَمَحْمَحُ ، وهو المستدير المَلِم .

وأمّا (محد) ، فلا يُعرف لهُ كلام ، لما فيهِ من الجفَاوة ، والغلظة ، وقُبْح التركيب .

وتكامُلُ المواد العربية تكون في أغلب الاحيان على هذهِ الصُوَرِ العجيبـة ، من التقلُّب والتغير .

وكثيراً ما تشابه التراكيب العربيةُ التراكيبَ اللاتينية ، او اليونانية . ويُرَاعى فيها بعض الأحيان القلب المكانيّ . هذهِ كلة (الشَرَف) ، ويقال فيها (السَرَف) ، فأول معانيها العُلوّ والتفوُّق ، ، إذ ما (الشَرَف) على الحقيقـة إلاَّ علو ادبيّ او معنويّ . فهي تنظر الى اللاتينية SUPER أي فوْق أو SUPERUS أي عالٍ ، أو قائم في العلوِ أو مُشْرِف ، ومنها عندهم SUPERI أي أهل عِلِيّين أو العُلْوِيون ، أو آلهة السماء ، أو بعبارة مألوفة « الشرفاء » ، لإشرافهم من فوق السماء على أهل الارض .

فأنت ترى من هذا أن أحرف اللاتينية ثلاثة في الاصـل ، هي (SPR) أي (س ف ر) ، وبالقَلب المكانيّ (س ر ف) ، ومنهـا يشتقّ (السَرَفُ) أو

(الشَرَفُ) ، إذْ لم يكُن فرق عند قدماء القبائل بين المهملة والمعجمة ، لأنّ احداهما كانت لغة قوم ، والثانية لغة قوم آخرين .

ومن الكلمة اللاتينيّة ، تتركب عشرات من الكلم ، وكلها تفيد العلُوّ ، والسُمُوّ والشرف ، والاشراف ، وكذلك نرى في لغتنا . (فالسَرَف) بالسين المهملة على ما في كتبنا :

(السَرَفُ) ضد القَصْد ، والإغفال ، والخطأ ، ومن الخمر ضَرَاوتُها . والشرف ، ومنهُ الحديث : « لا ينتهبُ الرجلُ نُهبــةً ذاتَ سَرَفٍ وهو مؤمِنٌ » أي ذاتَ شَرَفٍ وقَدْرٍ كبير . ورُوي بالشين والمعنى واحد .

و (سَرَفَتِ) الأُمُّ ولدها : أفسدتهُ بسَرَف اللبن .

و (السَرُوف) : الشديد العظيم . ومنهُ السروف ، وهو من أرواح السماء من زمرة الملائكة ، والكلمة مشتركة في العبريةّ وسائر اللغى السامية . وقد اختلف الحُذّاق في معناها ، إلاّ ان للمعنى الساميّ مكانتهُ العليا ، فلا تَنْفِي تآويلهم المتباينة معنى التركيب الاصليّ . ويقال في (سَرُوف) : (إسرافِيل) و (إسْرَافِين) باللام وبالنون . والسروف ينطق بها النصارى واليهود ، وأما اسرافيل واسرافِين فينطق بها المسلمون على ماهو مشهور .

ويقال : ذهب الماء (سَرَفاً) محركةً ، أي فاض من نوَاحيهِ .

و (الإسْرَاف) : التبذير ، أو ما أُنفِقَ في غير طاعةٍ .

واشتق الفَيْروزاباديُّ (سِيراف) ، وهي من مدن فارس من هذهِ المــادة . ونحن لا نوافقهُ . وهذا قولهُ : سِيراف كشيراز : بلدة بفارس ، أعظمُ فُرْضَةٍ لهم ، كان بناؤهم بالسَّاج بتأنّقٍ « زائدٍ » . فهـذا أشهر ما عرف من مادة (سرف) وذكرهُ أرباب كُتُب مُتُون اللغة .

وأما مادة (شرف) فأغزر اشتقاقاً من سرف ، من ذلك :

(الشَرَفُ) بالتحريك وهو . العُلُوّ ، والمكان العالي ، والمجْد . أوْ لا يكون

إلا بالآباء ، أو عُلوُّ النسَبِ ، ومن البعير سَنَامُهُ . والإشفاء على خَطَرٍ ، من خيرٍ أو شرّ . وجبلٌ قُرْبَ جبلِ شُرَيْفٍ . وشُرَيْفٌ أعلى جبلٍ ببلاد العرب . وهناك عدة مواضع سميت بشرفٍ ، لعلوّها على ما جاورها .

و (شَرُفَ) ككرُم فهو شريف اليوم ، وشارف عن قليل ، أي سيصير شريفاً . والجمع : شُرَفاء وأشْراف وشَرَفٌ ، محركةً .

ومنها : الشارف ، والشارفةُ ، والشّرَفاء ، والشُّرُفُ ، والشَّوارِفُ ، ومنكبٌ أشرف ، واذن شَرْفاء ، وشُرْفة القَصْر ، وشُرْفة المال ، وشُرُفات الفَرَس ، وناقة شُرَافِيَّة ، والشُّرَافِيّ من الثياب ، وأشْرافُ الإنسان ، والشِرْياف ، ومشارف الأرْض ، وأشْرفَ المَرْبَا ، وشرَّفهُ ، وشارفهُ ، وتشرَّف ، واستشرفَهُ حَقَّهُ ، الى غيرها ، وكلها تدل على ان المادة من صميم العربية ومن مُصَاصِها . ولكل ذلك مقابلات في لغة الرومان .

وأما اليونان : فيقابل مادة (سرف) أو (شرف) (HYPER) ὑπερ, ὑπέρ ومعناها معنى اللاتينية المتقدّم ذكرها بلا فرق ، ويتركب منها عشرات ، بل مئات من الالفاظ .

وهي بالهندية الفصحى UPARI وبالزَنْدِيَّة UPA'RI وبالفارسية القديمة « أوپري » . ومثل هذه الكلم أو ما يجانسها يُرَى في سائر الالسنة السكسونية ؛ مما يدل على اتفاق غريب في جميع اللغات . وهي كلها لا تبتدىء بالسين إلا ما كان في العربية أو في اللاتينية أو ما تفرع منهما. فهذه ملاحظة دقيقة يجدر بالباحث أن يحتفظ بها . أي ان اللاتينية والمُضَرية تبتدئان كَلِمَتها بالسين (وبالعربية بالسين أو بالشين أيضاً ، ولو كان للرومان شين معجمة ، لجاروا سلفنا باتخاذهم الحرفين المتماثلين) وأما سائر اللغات فتبتدئها بحرف عليل من هذين الحرفين Y أو U وما تفرع من الارلندية هو بالفاء أي F .

وقد قلنا مراراً: أن الكلم اليونانية ، أو اللاتينية ، المبتدئة بحرف من أحرف العلة عندهم، تنظر الى مثلها في العربيـــة ، ويكون الحرف الأول وفي لغتنا حرف حلق في أغلب الأحيــان ، أي الهمزة ، أو الهاء ، أو الحاء ، أو الخاء ، أو العين ، أو الغين ، إذ لا وجود لهذهِ الحلقيات في لغتهم ، وان وجدت في سابق العهد بنوع مبهم في اليونانية ، ثم سقطت مع توالي الدهور. فاذا عرفنا هذه الحقيقة اللغوية ، اتضح لنا أن ما يقابل اليونانية HYPER هو (عفر) وبالقلب (عرف). والحق يقال اننا إذا أنعمنا النظـــر في مشتقات هتين المادتين ، نرى فيهما ما يفيد العلو والارتفاع .

من ذلك مشتقات ما ورد في (عفر) : العَفْر بالفتح : ظاهر التراب (أي وجه الأرض ، أو ما كان « على » وجهِ الأرض) . ومنهُ قولهم : كلام لا عَفْرَ فيهِ ، أي لاعويص فيهِ ، فكأن معناهُ بيّن « على » وجههِ أو ظاهرهِ . وقالوا العَفَر بالتحريك ، ظاهر التراب ، ووجه الأرض ، ويطلق من باب التوسع على التراب نفسهِ . - والعَفَر أيضاً : السُهَام وهو شيء دقيق كأدقّ ما يكون من خيط الابريسم يطـير في الهوآء لا سيما في أيام الحرّ . ويسمى أيضاً بمخاط الشيطان والفرنسيون يسمونهُ بمـا معناهُ « خيط العذرآء FIL DE LA VIERGE » .

و (العَفْرَى) من الديك : ريش عنقهِ . ومن الانسان شعر القفا . ومن الدابة : شَعَر الناصية ، والشَعَرَات النابتة في وسط رأس الانسان .

و (العِفرّ) الخبيث المنكر ، الذي يفوق سواهُ بكمالهِ ، وضبطهِ لنفسهِ ، وقوتهِ ، والنافذ في الأمر ، المبالغ فيهِ مع دهاء . كل هذا مأخوذ من معنى العـلوّ والتفوّق . ومثل هـــذا المعنى أو يكاد ترى في العِفرّي ، والعِفرّين ، والعفرْفَرَة ، والعفرْنَى ، والعَفَرْناة ، والعُفرْنِيَة ، والعِفرِية ، والعِفْرِيت .

و (العفِير) : لحم يُجَفَّف « على » الرَمْل في الشَمْس .

و (العفَيرَة) ما يُدَحْرِجُهُ الجعل « على » الأرض .

و (الأعْفر) من الظباء : ما يَعْلُو بياضهُ حمرةٌ .

و (اليَعْفُور) : ظبيٌ بلونِ التراب [أي وجه الأرض أو ما علاها] ، أو عامٌ ، وتُضَمُّ الياء ، والخِشْفُ . هذا معظم ما يقال في هذهِ المادة .

واذا قلبنا (العفر) قلباً مكانياً ، وقلنا (العرف) ، نَشَأَ عندنا ما يأتي :

(العُرْفُ) : مَوْج البحر ، وهو ما « تعالى » وارتفع من مائهِ عند هبوب الرياح . و (العُرْف) أيضاً شعر عنق الفرس ، أي الشعر النابت «على» محدّب رقبتهِ و (العرف) أيضاً لحمة مستطيلة في «أعلى» رأس الديك . و (العُرْف) أيضاً : الرمل والمكان « المرتفعان » . و (العُرْف) من الرملة : « ظهرها » المُشْرِف .

و (العَرْفاء) : الضبع ، لكثرة الشَعْرِ الذي يعلو رقبتها . وناقة (عَرْفاء) أي سَنامها صار لها كالعُرْف أو صار على عنقها مثل العرْف .

و (العروفة) و (العريف) العالم بالشيء . والتاء في الأول للمبالغة كأن العالم بالشيء يشرف « عليهِ » ويعلو سائر الناس بوقوفهِ «على» موطن أومقام «أعلى» من أمكنة الخلق عامةً و (العريف) : رئيس القوم .

و (الأَعْرَاف جمع عُرْف) وهو على مافي القاموس : سور بين الجنة والنار ، ومن الرياح أعاليها . وفي اللسان : « وجبل أعْرَفُ ، لهُ كالعرْف . وعُرْف الأرْضِ: ما ارتفع منها . والجمع أعراف . وأعراف الرياح والسحاب : أوائلها وأعاليها . واحدها عُرْف . وحَزْن أعرف : مرتفع . والأعْرَاف: الحَرْثُ[1] الذي يكون على الفُلْجَان[2] والقَوَائد[3] » اه .

هذا هو اكتهال العربية ، فهل من قائل ان في سائر اللغات مثلهُ ؟ – اللهم لا . فإن هذهِ المحاسن والبدائع لا ترى إلا في لغة اسماعيل بن ابراهيم خليل الله . ولا عجب بعد هذا اذا رأينا اتصالها بأخواتها أو بنسيباتها ، لأنها مفتاح كل مُغْلَقٍ مُبْهَمٍ .

---

(١) كما في الاصل . والذي في التهذيب : الحرف بفاء في الآخر ، اي الطرف المحدد من الفلجان وغيرها (٢) الفلجان هكذا ورد بنون في الآخر والصواب هنا : الفلجات بالتحريك وبتاء في الآخر أي مزارع . والمراد بالفلجات هنا بعض الوجه (٣) القوائد جمع قائد وهو ما استطيل من الأرض وعلا على وجه الارض .

وانك لترى مثل هذه القُرْبى بين هذهِ اللغة والغَنِى الياقيــة ، في كل لفظ تراهُ فيها ، أي ذلك اللفظ المركب من هجاء أو هجاءين . وربما لا يتضح معنى الأعجمية إلا بالالتجاء الى هذهِ اللسان الحيَّة . وعندي من هذا القبيل الفاظ جمة . ولو دونتها لملأت مجلدات من هــذا الحجم والقدْر . وأنا أذكــر هنا شاهداً واحداً ليكون مثالاً لما أُريد أن أثبتهُ .

هــذهِ اليونانية : (IKRION) ἴκριον معناها خشــبة ، أو عود طويل مستعرض أو ذاهب في العرض ، وعود الشراع أو الدقل . ثم أطلقوه على بِنايةٍ من خشب ، والمِنَصَّة والأرض المفروشة بالخشب والمُتَلَمِّظَة ، والسَلُوقِيَّة في السَّفِينَة ، والمقاعد في المسارح . وقد اختلف فقهاؤهم في اللغة على أصل الكلمة ، الذي أخرج لهم هــذهِ المعاني مماَّ ذكرناهُ ، ومما لم نذكرهُ ، فان الاسـتاذ بوازاق طعن في كل ما ذُكر لهُ من تلك الأصول . وأما أ . بايّي ، فلم يجزم بأصل ، ولم يعِنّ على بال الجميع ، ما ورد في العربية .

فعندنا ان (إقريون) ، اذا جرَّدناها من زوائدها : الياء والنون أي IN يبقى بيدنا (قريو) ، الذي يوافقــهُ في لساننا (قريّ) ، أو (قرِيَّة) ، في التأنيث . والقريَّة – على ما في القاموس ، «كغنيَّة : العَصَا ، وأعْوَادٌ فيها فرَضٌ يجعلُ فيها رأس عُودالبيْت . وعودُ الشراع الذي في عُرْضهِ من أعلاه ، أو في أعلى الهوْدَج » . قلنا : وهذهِ كلها اسمها أيضًا في اليونانية (إقْرِيون) ، فهي مشــتقة من القَرْي أو القرَى وهو الجَمْع ، فانهُ لا يخفى وجودهُ في جميع هذهِ المعاني . التي عددناها . فهذا هو فصل هذهِ اللغة . ونحن لا نريد أن نطلق العنان في هــذهِ الحَلْبة . لكي لا نُحْرِج الصدور ، ونثــير البَرَم في النفوس .

ب. المشابهة هي غير الاشتقاق ، وقد تدعو الى الاشتباه مرةً ، والى التجانس مرة أُخرى .

مما أوقع كثيرين في مهاوي الأضاليل ، وساق جماعاتٍ من مشاهير العلماء الى وهاد الاوهام ، المشابهة بين اللفظ واللفظ . فان أصابوها قالوا : هذهِ من تلك . وما هنالك على الحقيقة الاَّ شُبهاتٌ ، وظواهر كاذبة ، وقد قال ابن جِنِّيْ في هذا الموضوع ما هذا صورتهُ :

« ليس سَلْمَانُ من سَلْمَى ، كسَكْرَان من سَكْرَى . ألا ترى أن فَعْلَانَ الذي يقابلهُ فَعْلَى ، انما بابهُ الصفة ، كَغَضْبَانَ ، وغَضْبَى ، وعطشان وعطشى ؛ وليس سلمان وسلمى بصِفَتَيْن ولا نكرتَيْنِ ، وانما سلمان من سلمى كقحطان من قحطى ، ولَيْلَانَ من ليلى ، غير أنهما من لفظ واحدٍ فتلاقيا في عُرْض اللغة من غير قصد ، ولا إيثار لتقاوُدِهما . ألا ترى أنك لا تقول : هذا رجل سلمان ، ولا هذهِ امرأة سلمى ، كما تقول : هذا رجلٌ سكرانُ ، وهذهِ امرأة سكرى ؛ وهذا رجل غضبان ، وهذه امرأة غضبى؟ وكذلك لو جاء في العَلَم لَيْلَانَ ، لكان من لَيْلَى كسَلمان من سلمى » اه كلامهُ

وأحسن دليل على أن التشابهَ في الظاهر لا يدل على الاشتقاق ، ان السلف أدخل في كلامهِ شيئًا من كلام الأعاجم وصاغوهُ صيغة واحدة مع أن الاصول في كلام الأجانب مختلفة عن أصولنا . مثال ذلك :

(التُرْتور) قال المجد الفيروزابادي : « التُرْتور : الجلواز وطائر » اه . فاذا كان بمعنى الجلواز فهو من اللاتينية TORTOR, ORIS المأخوذ من TORTARE وهذا من TORQUERE أي أدار على نفسهِ ، وأمال ولوى ، وألوى وأحنى ، وعذَّب . فيكون معنى التُرْتور للجلواز : المعذِّب في أصل معناه الموضوع له في اول الأمر . وقد صحفهُ اللغويون بصور تختلف بين ثرثور (بثاءين مثلثتين ، وزان عصفور الشهير) وتؤرور ، (بمثناة فوقية فهمزة) ، ويؤرُور (بمثناة تحتية فهمزة) والأترور ولعلَّ هناك غيرها ونحن نجهلها ، والمادة اللاتينية التي

أخذت منها (التُرْتور) يقابلها عنـدنا : (طَرَقَ يَطرُقُ طرْقاً) اي ضرب ، او بمطرقةٍ او صكّ وكل ذلك يوافق ما في العَجَمِيَّة . و يقابلها في اليونانية τρέπω .

وأما (التُرْتور) بالمعنى الثاني اي بمعنى « طائر » فأول عيب هـذا التعريف ، انهم لم يُحلُّوا لنا هـذا الطائرِ ، ولا قدرهُ ، ولا شكلَهُ ، ولا جنسـهُ . فيصعب على الباحث ان يعرف حقيقتهُ لولا وقوفهُ على لفظتِهِ الأعجميـة وهي TURTUR ومعناها « الصُلصُل » ونظنُّ ان كلاًّ من (تُرْتُور) و (صُلْصُل) مأخوذ من حكاية صوت هذا الطائرِ المحبوب من الجميع . فبعضهم خُيِّلَ اليهم انهُ يقول (تُرْتُور) وآخرون انهُ يقول (صُلْصُل) كما ان العراقيين يتوهمون انهُ يقول : (كُوْ كُوْ وُوْ وُوْ كُو) ، والحقيقة أن لكل جنس من أجناس هـذه الصلاصل ، حكاية صوت تختلف عن حكاية الجنس الآخر ، أو الضرْب الآخر ، واسمهُ بالفرنسية TOURTERELLE وبالانكليزية TURTLE-DOVE و بالالمانية TURTELTAUBE وبالارمنية TATRAK .

ومن الغريب ، أن اللسان مع ضخامتهِ لم يذكر (الترتور) بل (الصلصل) فقط.

ومن هـذا القبيل (البال) ولها معانٍ عدة ، منها : «الخاطر ، والحوت العظيم ، والمرّ ، الذي يعتَمل بهِ في أرض الزَرْع . وبهاء (أي البالة) ، القارورة ، والجراب ، ووعاء الطيب . » اه عن القاموس .

(فالبال) بمعنى الخاطر عربي صِرْف .

و (البال) بمعنى الحوت العظيم ، ينظر الى BALAENA اللاتينية أو φάλαινα الهلّنيَّة .

و (البال) بمعنى المِرّ ، قديم في اللغة الفارسية ، ولعلها من لغة بابلية قديمـة [1].

---

(١) ان وجود كلمة في لغة ، لا يدل على انها من تلك اللغة . إنما تكون منها اذا كان في اصولها ما يوجه للفظ معنى ، و يؤيده اشتقاقاً . وليس في مادة (ب ا ل) او (ب ي ل) او (ب و ل) معنى للرفع ، او الجمع ، او الحفر ، او القلب ، او نحوها . ولهذا عدت دخيلة في الفصحى . وكذلك يقال على (المر) بفتح الميم وشد الراء . فليس في مادته ما يوجه سبب وصفه ولا علة اشتقاقه . فليحفظ لان هذه الملاحظة دقيقة النظر عظيمة الخطر .

وهي باللاتينيــة PALA وقد ذكرها اللغوي الالماني أ . والدى A. WALDE أصولاً غريبة . فلتراجع عند الاحتياج اليها .

وأما (البالة) بهاء في الآخر ، بمعنى القارورة فتنظر الى الاغريقية φιάλη وقد نقلها الرومان الى PHIALA ويقال فيها أيضاً بالاغريقية φιέλη قال بوازاق العلامة البلجكي : ان معناها الاول كان القِدْر ، وبَرْنِيَّة الموتى ، ثم نُقِلَ بعد العهــد الهومَرِي الى معنى القارورة .

و (البالة) بمعنى الجِرَاب تنظر الى اليونانية πήρα ومنها الرومية PERA . قال بوازاق : الاصل المجهول . قلنا : البال بمعنى الجراب ووعاء الطيب تنظر الى الفارسية (بِيلَهْ) بباءٍ مثلثة تحتية مكسورة ، يليها ياءٌ مثناة تحتيــة ساكنة فلام مفتوحة ، فهاء ساكنة .

فلا جرم أن في لغتنا مئاتٍ من الحروف لا تكون فيها المشابهــة مأخوذة من الاشتقاق ، بل من أصل آخر . وأحسن دليل بين أيدينا (الاضــداد) ، فانك ترى المشابهــة والمجانسة بين اللفظين ، لكن المعنى قد يختلف ، فيكون بضــد ما يرى في الظاهر .

وقد يقع عكس هذا الامر ، أي قد يقع بعض الاختلاف في الصورة الظاهرة ، الا أن في المعني تقاربا وتدانيا وتلامسا وتمسكا . وذلك لتجانس يُرى في الحروف.

ج . التشابه والتجانس فى اللفظ والمعنى .

قد قلنا ان المشابهة بين الألفاظ ، ربّما باعدت المعاني بعضها عن بعض ، حتى غدا الواحد ضِدّاً للآخر ؛ لكن قد تقع المشابهة فى اللفظ والمعنى لتجانس الحروف بعضها لبعضٍ . وقد تنبهَ الاقدمون لذلك وذكروها فى تآليفهم وأسفارهم . قال السيّد الزبيديّ في شرحه لمادة (ف ل ح) : « الفلْح الشّقّ والقطْع . قال شيخنا : الفلح وما يشاركهُ كالفَلْق ، والفَلْد ، والفلْذ ، ونحو ذلك ، يدل على الشق والفتح ، كما في الكشاف .

وصَرحَ بهِ الراغب وغيرهُ . وهو بناء على ما عليهِ قدماء أهل اللغة من أن المشاركة في أكثر الحروف اشتقاق يدور عليه معنى المادة ، فيتحد أصــل معناها ويتغاير في بعض الوجوه ، كما هو صنيع صاحب التهذيب والعين وغيرها . » اه .

ومن قبيل التشابه بين اللفظ والمعنى قولهم : المُحّ ، بضم الميم وشد الحاء المهملة ، وهو الخالص من كل شيء ، ويقرب منه لفظاً بزيادة طفيفة قولهم : مَحْت (وتقلب فيقال) حَتْم (وتبدل الميم باء فيقال :) بَحْت . ومَحْت ، إذا فُخِّم : قيل مَحْض ، ويزاد على بحت حرفان فيقال : بِحْرِيت ، ثم يزاد فيهِ حرف ويقلب فيقال حَنْبَرِيت . وتقلب ميم محت لا ماً ، فيقال لَحْت ، أو تقلب نوناً فيقال : نَحْت . ويقع قلب وابدال في لحْت فيقال حَتِد . ولم يخرج في كل هذا عن معنى الخالص . زد على ذلك : تَحَمَّتَ لونهُ أي صار خالصاً .

ويقال في محّ : مصّ ومنهُ المُصَاص الذي هو خالص كل شيء . ومثلهُ المُصَامِص ويقال في المُصَاص : المضاض أيضاً أي بالضاد .

ويقارب (مص) مخرجاً (نص) ومنهُ : الناصح والناصع والناطع والماطع والناعج . وكلها بمعنى الخالص ، مع بعض تخصيصات وُضِعت بعد التعميم بازمان متطاولة .

ويقال في محّ : قُحّ وكُحّ .

ويُعكَس (مص) فيصير (صم) ومنهُ الصميم والصِهْمِيم وكلها بمعنى الخالص .

ومن الغريب أن الخالص نفسهُ يقابلهُ عند اليونان مبنًى ومعنًى χάλις, ικος (KHALIS, IKOS) ويريدون بهِ الخمرَ الخالِص ؛ لكنهم لا يعلمون من أين جاءتهم أصول هذه الكلمة . افظلهم ان قلنا انها عربية مَحْضة . قال بوازاق : « ومثلهُ في اللغة المقدونيه κάλιθος (KALITHOS) ، لكن بوجود θ (TH) في هذه اللغة المقدونية صعوبة » .

— قلنا : اننا لا نجد صعوبة ، لأن الحرف اليوناني المذكور يقابلهُ في لغتنا الطاء أو الثاء ، وكلتا اللغتين معروفة في لسانا . وان كانت تقابل الطاء فقد جاء عندنا :

املصت الناقة واملطت : إذا القت ولدها ولم يشعر . — واعتاصت رحمها واعتاطت : إذا لم تحمل أعواماً . ويقال صرفهُ أو طرفهُ عن كذا بمعنى واحد .

أما إذا كان الحرف اليوناني يقابل الثاء المثلثة عندنا ، ففي لغتنا أيضاً أمثلةٌ . من ذلك : الثُبرة بالضم ، كالصُبْرة ، والحِثحِث ، بالكسر ، كالكِثْكِث التراب . وسير حَثْحاث ، كسير حَثْحاث ، أي سريع ، إلى نظائرها . فبعد هذا لا نرى فرقاً بين الكلمتين العربيتين والكلمتين اليونانيتين إذ المعنى واحد .

والفاظ (الخالص) لا تنتهي في ما ذكرناهُ من المترادفات ، فثَمَّ غيرها وهي كثيرة ، كقولهم : صَرْح ، وصريح ، وصُرَاح ، وصَرْد ، وصِرْف ، وصافٍ ، ومثل صريح قريح بالمعنى نفسهِ .

ويستعمل اللاتين كُمْ CUM ومعناها (مع) للدلالة على ما يدل (الجَمع) . وما (كُمْ CUM) إلا معكوس (مك) المقابل لاداتنا (مع) . وذلك ان ليس للغربيين الحرف (عين) فيحارون في نقلهِ إلى لغتهم ، وقد نقلوهُ هنا إلى الكاف . فقالوا (كم CUM) وهذا النقل ، نقل العين إلى الكاف ، كان العرب يفعلونهُ أيضاً إذا ما استثقلوا الحرف الحلقي المذكور . فقد قالوا : اعْلَنْدى البعير واكلندى أي غَلُظَ . وعَبَلَهُ وكَبَلَهُ أي حَبسَهُ ، والأغمه والأكمَه ، وباع الشيء كباكهُ . إلى ما يضارعها وهي كثيرة أيضاً .

وإذا علمت ان CUM هي مثل (مع) جاءك سَيْل من الالفاظ مركب منها في اللاتينية ، وكذلك في العربيةِ لأنَّ (كم) الرومية تشبه (جم) العربية ، فحينئذٍ ترى كلماً تتدفق عليك وهي مركبة من (جم) ، وكلماً اخر تتدفق عليكَ ، وهي مركبة من (مع) فتدهش مما ترى من جماعات تلك الالفاظ ، التي تفيض عليك من كل حدب وصوب .

د . امثلة ما يبتدىء بالجيم والميم للدلالة على الجمع :

واول كل شيء مادة (ج م م) كلها . ففي مشتقاتها الكثيرةِ العدد ما يكفي الباحث الامعان في الطلب ، اذ فيها وحدها مجزأة .

ويقاربها كثرة ، بل ربما زادت عليها بكثير ، ماورد في مادة (جمع) ، ودونها (جمل) في عدد فروعها وشعبها ، لكنها جمة العدد وَفْرَتهُ ايضاً . ومن المواد العجيبة الفروع مادة (جعد) و (جَمَّر) و (جمس) .

وهناك الزيادة على الثلاثي زيادة تشبه الاصلية ، غير الزيادات الاشتقاقية المعهودة ، بل زيادات معنوية ، من رباعية ، وخماسية ، مثل الجَمْهَرة ، والجُمْهور ، والجُمْعُور ، والجَمْعد ، والجُمْشُورة ، والجُمْجُمة ، والجُمْعُلَة . الى غيرها وهي لا تحصى كثرةً . وقد تقلب (جم) فتصير (مج) وينشأ منها الفاظ عدة منها : مجدت الابل تمجُدُ مَجْداً ومُجُوداً : وقعت في مرعى كثير ، او نالت من الخَلَى قريباً من الشبَع . ومَجَّد تمجيداً وأمْجدهُ إمجاداً : عظَّمَهُ واثنى عليهِ ، ونسبهُ الى المَجْد . ومَجِرَتِ الشاة مَجَراً : عظم ولدها في بطنها فهي مُمْجِرٌ . ومثل مجِرت : أمْجَرت . ومَجَمَ فلانٌ مَجْماً أكل التمر اليابس باللبن معاً ، او : اكل التمر وشرب عليهِ اللبن . ومَجَلت يدهُ تمجُلُ مَجْلا ومُجُولاً ، ومَجِلت تمجل مَجَلاً : نفطِتْ من العمل ، فمرِنت . والحافر نكبتهُ الحجارة ، فبرىء وصلُب . أو المَجْل : ان يكون بين الجلد واللحم ماءٌ من كثرة العمل . او المَجْلَة : قشرة رقيقة يجتمع فيها ماء من اثر العمل .

ومَجَن الشيء يمجُنُ مُجُوناً : صلُب وغلُظ .

أمثلة ما يَبْتدىء بالجيم والعين للدلالة على الجمع ايضاً

يجوز لك ان تنظر الى (الجمع) نظرتين ، فاما ان تعتبر الحرفين الاولين من (الجمع) اصليين ثم زيدت عليهما العين ، واما ان تعتبر الجيم في الاول زائدة والحرفين التاليين اصليين . فيكون بين يديك (جم) في الاول ، و (مع) في الثاني ، وكلاهما يفيد الجمع .

وامثلة ما جاء في اولهِ (مع) قليل ، لانَّ الناس تستثقل العين في الكلام ، ولهذا نزعها الغربيون من كلامهم نزعاً بتاً لا عودة اليها . ومع ذلك فعندنا الفاظ تبتدىء بالحرفين المذكورين كقولهم :

مَعَثَ الشيء يَمعَثُهُ مَعثاً : دلكهُ ، ولا يكون إلاّ بجمع اجزائِهِ تحت اليد .

مَعَجَ يَمْعَجُ مَعْجاً : أسرع في السير و يكون بجمع قواهُ .

مَعَد الشيء يمعَدهُ مَعْداً : اختلسهُ . والجمع فيه ظاهر .

مَعزَ الشيء يمعَزُ مَعْزاً : صلب فهو مَعزٌ وماعِز ، والرجل كثرت معزاهُ .

مَعَسَ الشيء : يمعَسُهُ مَعْساً : دلكهُ دلكاً شديداً .

مَعَشَ الشيء : يمعَشُهُ مَعْشاً : دلكهُ دلكاً رفيقاً .

مَعِصَ الرجُلُ يمعَصُ مَعَصاً : كان بهِ مَعَصٌ . والمَعَصُ : التواءٌ في عصب الرِّجْلِ ، كأنهُ يقصُرُ عصبهُ فتتعوَّج قدمهُ ، ثم يُسَوِّيهِ بيدهِ ، او خاصٌ بالرِجْل ، ووجع في العصب من كثرة المشي .

معَكَ الشيء في التراب يمعكه معكاً : دلكهُ بهِ ، او يُستعمل في غير التراب . وابل مَعْكى : كثيرة . والمَعْكَاة : الابل الغلاظ السمان .

معكوكاء . يقال : وقعوا في مَعكوكاء ، ويضم ، اي في غبار وجلبةٍ وشرّ . ومَعكُوكة الماء : كثرتهُ .

مَعَلَ الشيء يمعَلهُ مَعْلاً : اختطفهُ واختلسهُ . وفلان : اسرع في سيرهِ .

المَعَلَّط : الرحل الشديد .

مَعمَعَ فلان : اكثر من قول « مَعْ » ومَعْمع القوم : قاتلوا شديداً . — والمعامع الحروب ، والفِتن ، والمظالم ، وميل بعض الناس على بعض ، وتظالمهم ، وتحزّبهم احزاباً لِوقوع العصبيةِ . قال في النهاية : ومنهُ الحديث : « لا تَهلك امتي ، حتى يكون بينهم التمايُل . والتمايُز ، والمعامِعْ » وهي شدة الحرب ، والجدّ في القتال . — والمعمَع : المرأة التي امرها مُجَمّعٌ ، لاتعطي أحَداً من مالها شيئاً .

مَعنَ الفرس مَعْناً . تباعد في عدوهِ . ومَعِنَ النبت يمعَنُ مَعْناً : روِي ولغ .

وهذهِ الامثلة كافية للدلالة على ان مُركَّبات (مع) تفيد معنى الاجتماع ، وكفى بها دليلاً .

وقد تقلب (مع) فتصير (عم) فيتولد منها الفاظ جمة . من ذلك :

عَمتَ الصوف يعمِتهُ عَمْتاً : لفَّهُ مستديراً ليجعل في اليدِ فيُغْزَل .

عَمَجَ الرجل يعمِج عَمْجاً : اسرع في السير وسبح في المآء .

عَمَدَ السَقْفَ يعمِدهُ عَمْداً : اقامهُ بِعمادٍ ودعمهُ . وهو عَمِدُ الثرى : كثير المعروف .

عَمَرَ المنزلُ باهلهِ يعمُرُ عَمراً : كان مسكوناً بهم . والمكان اهلهُ : سكنوهُ واقاموا بهِ . وعَمَرَ فلان الدار : بناها . وعَمَرَ الرجُلُ ، يعمُرُ ويعمِر عَمْراً وعُمْراً وعَمَارَة بقي زماناً طويلاً . وعَمَرَ الله مَنْزِل فلان عِمارةً : جعلهُ آهلاً . وعمر المالُ عَمَارة : صار عامراً ، اي كثيراً وافراً . وهذهِ المادة واسعة الآفاق ، منبسطة الميادين . واغلب مافي معانيها وفروعها : الجمع ، والكثرة ، والوفرة ، وما ضاهاها .

عَمِس يومُنا : يعمَسُ ، وعَمُسَ يعمُسُ عَمْساً وعَمَساً وعُمُوساً وعَماسةً : اشتَّد واسودّ واظْلَمَ . وعامس فلان فلاناً : ساترهُ ولم يجاهرهُ بالعداوة .

عَمْعَمَ الرجل : كثر جَيْشهُ بعد قلةٍ .

عَمِل الرجل يَعْمَلُ عملاً : مَهنَ ، وصَنَعَ ، وفعلَ . وفي الكليات لابي البقآء : العمل يعم افعال القلوب والجوارح . و« عَمِلَ » ، لما كان مع امتداد زمان ، نحو : « يعملون لهُ مايشاء » . و« فعلَ » بخلافهِ ، نحو : « الم ترَ كيف فعلَ ربُّك بأصحابِ الفيل » . والعملُ لا يُقال إلا فيما كان عن فكرٍ ورويَّةٍ . ولهذا قُرِن بالعلم ، حتى قال بعض الادبآء : قُلب لفظ « العمل » عن لفظِ « العِلم » تنبيهاً على انه من مقتضاهُ . — والتركيب واسع المدَى والفضاء .

عَمْلَسَ في السير عَمْلَسة : اسرع .

قَرَبٌ عِمْلِيص : شديد مُتعِب .

العمَلَّط ، بفتح العين والميم ، وتشديد اللام المفتوحة ، والعُمَلِّط بالضم ، وتشديد الميم المفتوحة ، وكسر اللام : الشديد القويّ على السفر .

عمّ . هذهِ المادة واسعة كثيرة الشعب والمشتقات وكلها تدل على الجمع . فقد قالوا : عمَّ الشيء يعُمُّ عُمُوماً : شمل الجماعة ، فهو عامّ . وكذا المطرُ الارضَ اي شملها . وعمّ القوم بالعطية : شملهم . وعُمِّمَ راسُهُ عَمّاً ، على صيغة المجهول ، لُفَّتْ عليهِ العمامة . الى آخر ما هناك . ولا حاجة لنا التبسّط في هذا التركيب اكثر من هذا .

والعمْهج والعُمَاهِج : الممتلئ لحماً وشحماً ، والاخضر الملتفّ من النبات . والعُمْهُوج : الممتلئ لحماً وشحماً .

العَمَيْذَر : الغلام الناعم البدن الكثير المال .

العَمَيْثَل من كل شيء : البطيء لعظمهِ وترهُّلهِ ، والضخم الشديد العريض . والعَمَيْثَلة : الناقة الجسيمةُ .

٣٨ . تذييل في أصل الحَوَاريّ

في سنة ١٨٨٤ ، كنا قد قرأنا مقالة في إحدى الصحف العربية ، يقول فيها صاحبها انهُ طالع كتاباً في الالمانية يذهب صاحبهُ الى أن (الحَوَاريّ) من أصل حبشيّ معناه (الرسول) ، والناقل يستحسن هذا الرأي ، ويفضّلهُ على ما ذهب اليهِ لغويو العرب القائلون بأنهُ من مادة عربية ، وان اختلفوا في تأويل اللفظة . فكتبنا حينئذٍ مقالاً في السنة نفسها ، ونشرناهُ في إحدى الجرائد ، ولا نتذكّر أ كان ذلك في (الجوائب) ، أم (البشير) ، أم (الجنان) ، أم في جريدة أخرى ، إذ كل ذلك بعيد عنا اليوم ، ولا يبدو لنا إلا كالسواد البعيد عن البصر ، ويصعب علينا التثبت منهُ ، وكان ذلك في رَيْعان الشباب . وهذا ملخصهُ : لا يمكن أن العرب أخذوا هذا اللفظ عن الحَبَشِ ، لأسباب ذكرناها في وقتها ، إلا أننا نتذكر منها اليوم شيئاً . ونظن ان الأب لويس شيخو اليسوعي ، او غيرهُ أخذ بهذا الرأي ، أي برأي ان الحَوَاريّ مأخوذ من الحبشية ، ونحن لا نوافق على هذا الرأي لاسباب . منها :

١ً . إن النصرانية اتصلت بالعرب قبل أن تتصل بالحُبْشان . ودليلنا على ذلك ذهاب القديس بولس الى موطن من مواطن العرب ؛ ولا جرم انهُ وعظ الناس وبشرهم بالمسيح .

٢ً . بعد أن حل الروح القدس على الرسل وأخذوا يبشرون بالسيّد يسوع ، كان هناك أناس يسمعونهم يتكلمون بألسنتهم وكان بينهم عرب .

٣ . اذا قابلنا بين قِدَم العربية والحبشية لم نجد هذهِ أقدم من تلك ، وليس لنا أدنى دليل على ذلك .

٤ . ان الحبش تلقوا أصول النصرانية عن قِدّيس ما كان يحسن إلا اليونانية ، وأغلب المصطلحات الدينية الموجودة في الحبشيّة ، يونانية لاصل . وفي الكلمة (الحواري) حاء ، وهو غير موجود في الهلّنية إلا مَبْدَإيّاً .

٥ً . ان أصول الكلم الحبشيـــة والعربية تكاد تكون واحدة بتغيير طفيف لا يُعتد بهِ ، فلماذا يُعزى ذلك المعنى الى الحبشية ولا يُعْزَى الى المضرية وهي أولى بهِ ؟

فهذهِ أدلة تبين استحسان الاصل العربي ، وتستهجن الاصل الحبشي ، لكنها ليست بالجازمة الجزم الباتّ . ولهـــذا يحسن بنا أن ندرس المسألة درساً لغوياً وهو الحَكَم في هذا الامر.وقبل أن نأتي بما عندنا من هذا القبيل ، أردنا أن نجدّد الذكرى بأول من ذهب الى حبشيـــة اللفظ ، وفي أي وقت كان ، وكيف أُوّلت الكلمة . فالتجأنا إلى علم ثلاثة من كبار المستشرقين الغربيين أصدقائنا وهم : الدكتور فيشرَ ، والدكتور لتمانّ ، وهما المانيان ، والاستاذ ميكلانجلو وهو ايطالي . فاستفتينا كل واحد منهم بكتاب خاصّ ، وكتبنا اليهم رأينا في أن الكلمة من أصل عربي ، نُقل الى اليونانية ، ومن اليونانية الى الحبشيـــة (الجعْزِيّة) . ودونك مُعْظَم جواب الدكتور أ . فيشر :

« أول من ذهب الى أن الحوارِيّ من أصل حَبشيّ ، هو العلامة الالمـــاني الجليل (لودلف) LUDOLF ، في نحو آخر المائة السابعة عشرة للميلاد ، إذ قال إنها من (حَوَارِيَا) ومعناها الرسول أو الفَيْج MESSAGER . وأظن أن جميع المستعربين تابعوا رأيهُ . والاصل (حار ، حور) معناهُ (ذهب) وهو فعل مألوف في الجعزِيَّة . والاصل الذي تشير اليهِ بديع لجميع الاصول التي تذكرها . وأظن أنا أيضاً أن أصل الحواري سامي أيضاً .

وقد نشر ث . نولدكى في كتابه الموسوم :
NEUE BEITRAEGE ZUR SEMITISCHEN SPRACHWISSENSCHAFT
(STRASBURG . 1910) فصلاً ذكر فيهِ الالفاظ المستعارة من الحبشية . وبينهنّ الحواريّ . ولعلك تراجعهـــا في كتابهِ في ص ٤٨ . وتجد الكتاب في حجرتي التي أشتغل فيها في مجمع اللغة ، ومعاوني يسّرَ باطلاعك عليها . . . . أ . فيشر » اه .
A.FISCHER

ودونك الآن ما جاء في جواب الدكتور أنّو لتمان :

« تلقيت كتابك المؤرخ في ٨ ايار (مايو) فأسرع بجوابي اليك :

« ان الكلمة الحبشية «حَوَاري» و « حَوَارِيًا » تعني : مسافر، ومَشَّاء، وساعٍ و« حَوَارِيًا» أيضًا هي الكلمة المألوفة للرسل . وكان لودلف أول من عارض هذه الكلمة بالحواريّ العربية وذلك في المائة السابعة عشرة . وآخر من قال بهذا الاصل هو على ظني الاستاذ نولدكى في كتابهِ :

Neue Beitraege zur Semitischen Sprachwissenschaft. P.48

وقد ذكر نولدكى طائفة من الكلم الحبشية المعربة (من ص ٤٦ — ٥٩) ولا شك في ان كثيراً من الكلم الحبشية أخذت من اليونانية والعربية .

هذا ، وأتوقع ان صحتك حسنة . واهنئك بهذا السعي الذي لا يعرف الملل حبًّا للعلم ....

انو لتمان
ENNO LITTMANN

توبنجن في ١٦ مايو ١٩٣٨ .

وهذا جواب الاستاذ ميكلانجلو غويدي .

رومة في ٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٨ .

أبدأ كلامي بأن أعتذر اليك لتأخري بالجواب ، ولغيابي عن رومة . ثم أقول : ان أول من ذهب الى أن (حَوَاريّ) تعود الى أصل حبشي هو لودلف . ومعناهُ الرسول .ونولدكى في كتابهِ Neue Beitraege zur Semitischen Sprachwissenschaft. (Strasburg. 1910. P. 48.) توسع في هذهِ الفكرة . ولا أظن أن والدي تعرض لهذا الموضوع ، فانهُ لم يذكر كلمة عنهُ في كتابهِ (ديار العرب في الجاهلية) ، ولا في (مباحث القاهرة) على ما أتذكر .

وأرى أن الاصل الذي ذكرهُ لودلف ونلدكى،هو الحق ولا سيما لما بين (حار) العربية والحبشية من المشابهة . أما انها من ἱερεύς فاني أقر لك بأني غير مقتنع بها. وفي الختام ...

ميكلانجيلو غويدي
MICHELANGELO GUIDI

فهذه هي الأجوبة الثلاثة، التي تلقيناها من الأصدقاء المحترمين من الواقفين على اللغة الحبشية (الجعزية). ونحن الآن نبدي رأينا في اننا غير محتاجين الى هذه اللغة.

وأول كل شيء، ان العلماء القائلين بحبشية (الحواري)، ذهبوا الى انها مأخوذة من مادة (ح ا ر) أو (ح و ر) ومعناها : ذهب، أو راح وجاء. وهذا موجود في العربية في الفعل المذكور. فقد قالوا :

(المَحارة) وهي المكان الذي يَحُور أو يُحار فيه أي يُذْهَب أو يجاء فيه -. وقالوا: (المِحور) وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة ذهاباً وإياباً.

وقالوا : طَحَنَتْ فما(أحارتْ) شيئاً أي ما ردّت شيئاً من الدقيق. والاسم منهُ (الحُوْر). ومعلوم ان الطحن لا يكون إلا بحركة يذهب بها البُرّ ويجيء، حتى يحصل الدقيق من تلك الحركة. على ان في مادة (ح و ر) معنىً مقدساً.

فالأحْور عند العرب : كوكب، أو هو المُشْتَري، والعقل (القاموس) ومعلوم أن المشتري هو ربّ السماء، أو سيّد أهل السماء، عند أصحاب الخُرافات اليونانية والرومانيّة وربما كان ذلك أيضاً عند قدماء العرب، ثم اطلقهُ أبناء اسماعيل على العقل لأنهُ أقدس ما في المرء، ويحكم على جميع قُواهُ الباطِنية والخارجيّة.

و (الحائِر) و (الحَيْرَاء) : كَرْبَلاء وهو من المواطن المقدسة. منذ أقدم العهد عند البابليين. وهو كذلك إلى عهدنا هذا عند الإمامية الشيعة.

و (الحِيرة) من مُدُن العراق المقدسة منذ قديم الزمان ايضاً. ويدّعي الأرميون انها من (حِيرْتَا) في لغتهم أي الحظيرة. وقَوْلَتُهُمْ هذهِ مبنية على مجانسة في اللفظ. وكم خدعت المجانسة علماء وائمة !.

و (الحَيْر) : شبه الحظيرة أو الحِمَى. وانتَ أدرى مني، بأن الحِمى هو كل ما يحميه الرجل ؛ ويعتبرهُ العرب اعتبار النصارى الشيء المقدس. ولهذا جاء في

الحديث : « لا حِمَى إلاّ لله ورسولِهِ » وكانت الأحبـار والاحبار في عهد الأقيَال تسمّى (مَحَاجر) ومفردها مَحْجِر كمجلِس، أو مِحْجر كمِنْبَر. ويؤخذ من اشتقاقها، انها كانت ممنوعة على الناس ومحفوظة للأقيال كما لو كانت مقدسة .

وقالوا : لا آتيهِ (حَيْرِيَّ الدَهْر) ، مشددة الآخر ، وتكسر الحآء ، و (حَيْرِيْ دَهْرٍ) ، ساكنة الآخر ، وتُنْصب مُخففَةً [أي حَيْرِيَ دَهْرٍ] ، و (حَارِيَّ دَهْرٍ) ، و (حِيَرَ دَهْرٍ) ، كعِنَب، أي مُدَّةَ الدَهْر » ا ه (القاموس).

وانتَ خبيرٌ أن الدَهر مُقدَّس في نظر الحنفآء . فقد جاء في لسان العرب في مادة (د ه ر) : « فاما قولهُ صلى الله عليه وسلم : « لا تَسُبُّوا الدَهْر ، فان الله هو الدهْرُ » . فمعناهُ : ان ما أصابكَ من الدهر ، فالله فاعِلُهُ ، ليس الدهر . فاذا شتمتَ بهِ الدهر ، فكأنك أردت بهِ الله . الجوهري : لأنهم كانوا يُضيفـون النوازل إلى الدهر، فقيل لهم : لا تَسُبُّوا فاعِلَ ذلك بكم ، فانَّ ذلك هو الله تعالى » . ا ه المراد من نقلهِ .

إذن معنى قول الناطقين بالضاد : لا آتيهِ حيريّ الدهر (وسائر لغاتها) لا آتيهِ ما دام هناك شيءٌ مقدَّساً ، أو محميًّا ، أو مدافعًا عنهُ .

ولا فرق بين (ح و ر) و (ح ي ر) لان الواو واليآء تتبادلان . ولأن اصل التركيب هو (ح ر) . وقد تقلب الحآء خآء معجمة . ومنهُ (خَيْر) كل شيء بمعنى (حُرّ) كل شيء أي أصْلَحهُ .

كما أن الحآء قد تقلب جيماً ،والمعنى يبقى على أصلهِ الذي وضع عليه في أول الامر. فأصل (جَيْرُون) و (جَرَابُلس) : (حَيْرُون) و (حَرَابُلُس) أي الهيكل المقدس والمدينة المقدسـة . ونحو ذلك وقع في الفرنسية فان العالم الروماني HIERONYMUS صار JEROME فأين هير و نمس من جيروم ؟

وقد تكسع المادة الاولى ، أي (ح ر) بميم ، فينشأ منها (اَلحَرَمُ) و (اَلحَرَام) ومعناهما المكان المقدس .

وقد تصدّر المادة الأولى المذكورة بسين ، فينشأ منها (السِحْر) وكان الكهنة الأقدمون يزاولون السحر في معابدهم ،ومناسكهم ، فكانت كلمة (السَاحِر)و(الكاهِن)، مترادفتين عند بعض الأقوام الاقدمين . فالمجوس كانوا عند الفرس كهنةً ، وعلماء ، ومنجّمين ، وسحرة ، ومعالجين للعلوم الغامضة على العوام .

وربما صدروا المـادة (ح ر) بالنون فقالوا : (النِحْر) والتعليل الذي ذكرهُ اللغويون لا يقنع الطفل ، فكيف الرجُلَ والكهل . فقد قالوا : « النِحْر والنِحْرير ، بكسرهما : الحاذِق ، الماهر ، العاقل ، المجرَّب ، المتقِن ، الفطِن ، البصير بكل شيء ؛ لأنهُ « ينحر العِلم نَحْراً . » (القاموس)

وربما جعلت الحَآء قافاً أو عيناً . فقد قالوا : (حَيْدُحُوَّر) ، أو (قُوَّر) أو (عُوَّر) ، وهو جبـل باليمن فيهِ كهف يُتَعَلَّم فيهِ السحر (القاموس في حور) وأنت تدري ان اَلحيدْ هو المكان الشاخص في الجبل كأنه جناح ، أو كل نُتُوّ في جبلٍ . فالظاهر أنهُ كان في ذلك الحَيْدِ كهفٌ ، يختلف اليهِ بعضهم ليتعلموا السِحر ، فالحُوَّر جمع حائِر، اسم فاعل من حار يحور ، وهم الذين كانوا يَروحون ويَغْدُون للأمور الخفيـة أو الغامضـة . وسائِر التصحيفات من (قُوَّر) و (عُوَّر) هي من نِتاج لغاتهم بموجب قبائلهم . وإذا اختلفتِ الكلمة في لغاتها ، دلَّت على قدمها ، وتعاورها بينهم .

أما اذا اعتبرت المادة الاصلية في الحواري (ح ر) : على ما يجب أن تكون كل كلمة في أول وضعهـا ، ثم حشيت (واو) كما تقدم . أو حشيت (ياء) من باب التناوب . فهذا أيضاً تفرده العربية . فقد ورد في اللغة : حار المآء : تردَّد ، أي راح وجآء . وما المراد هنا إلا للتمثيل والتنظير . ووظيفة الرسول التردّد أي الذهاب والمجيء . فالعربية تؤدي الى المعنى المطلوب أحسن من الحبشية بكثير . فلينصف الباحث .

ومعلوم أنك إن قدّرتَ الاصل (حور) ، فهو والـ (حبر) شيءٌ واحد وهذا واضح جليّ في لغـة اليونان ، فانهم يقرأون البآء واواً . وكذلك الفرس . فانهم يكتبون مثلاً (آب) ويقرأونها (آو) ، ويكتبون (زَهَاب) ويقرأونها (زَهَاو)، وهي اسم مدينة في ايران . ومنها اسم الزَهَاوِيّ . وكذلك كان الأمر عنـد بعض قبائل العرب ، فانهم كانوا يجعلون البآء واواً وكان آخرون يعكسون الأمر . مثـال ذلك: البُؤْرة والوُؤْرَة ، لموقد النار، والشَعْوَذَة والشَعْبَذَة، لأَخْذ كالسِّحْر ، والواشق كالباشق، وجارية بكباكة ووكواكة ، والبَزْمة والوَزْمة من الطعام . وقال ابو سعيد : يقال مالهُ حَبَرْبر ولا حَوَرْور ، الى غيرها وهي كثيرة .

وعلى هذا المبدإ (يكون) الَحبْر من (الَحوْر) وقد جاء الَحبْر في لغتنا بعدة معان منها ، ما ذكرها صاحب لسان العرب : « ابن سيده . . . اِلحبْر والَحبْر : العالِم ، ذمّياً كان ، أو مسلماً ، بعد أن يكون من أهل الكتاب . . . وسألَ عبدُ الله بنُ سلام كعباً عن الحِبْرِ . فقـال : هو الرجل الصالح . وجمعـهُ : أحْبَار وحُبُور . . . قال أبو عبيد : وأما الاحبـار والرُهبان ، فان الفقهآء قد اختلفوا فيهم ، فبعضهم يقول « حَبْر » ، وبعضهم يقول : « حِبْر » . وقال الفرّاء : انما هو حِبْرٌ ، بالكسر ، وهو أفصح ، لانهُ يجمع على أفعال ، دون فَعْل . ويقال ذلك للعالم . وانمـا قيل « كعْبُ الحِبْرُ » لمكان هذا الحِبْر الذي يكتب بهِ ؛ وذلك لانهُ كان صاحب كُتُب . قال : وقال الاصمعي : لا أدري أهو الحِبْرُ أو الَحبْر للرجل العالم . قال ابو عبيـد : والذي عندي : أنهُ الَحبْر، بالفتح ، ومعناهُ العالِم بتحبير الكلام ، والعلم ، وتحسينهِ . قال : وهكذا يرويه المحدثون كلّهم بالفتح .

« وكان ابو الهيثم يقول : واحد الأحبارِ : حَبْر[ا] بالفتح [ا]لا غير ، وينكر الحِبْر [بالكسر] ، وقال ابن الاعرابي : حِبْر وحَبْر للعالِم . ومثـلهُ : بِزْر وبَزْر . وسِجْف

وسَجْف . الجوهري : الحِبْرُ والحَبْرُ : واحد أحبار اليهود . وبالكسر أفصح . ورجل حِبْرٌ نِبْرٌ . وقال الشمَّاخ :

كما خطَّ عِبْرَانِيَّةً بِيَمِينِهِ بِتَيْمَاءَ حَبْرٌ ثُمَّ عَرَّضَ أسْطُرَا

رواهُ الرواة بالفتح لا غير . قال ابو عبيد : هو الحَبْر ، بالفتح . ومعناهُ العالم بتحبير الكلام . وفي الحديث : سُمِّيَت سورة المائدةَ المائدة وسورَة الاحبار ، لقولهِ تعالى : فيها يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والاحبارُ ، وهم العلماء ، جمع حِبْر وحَبْر ، بالكسر والفتح » .

« وكان يقال لابن عباس الحَبْر والبَحْر ، لعلمهِ . » ا ه المقصود من ايراده وقد توخينا ايراد النصوص على طولها لما فيها من الفوائد الجليلة ، إذ تبنى عليهِ حقائق بديعة.

ففي مادة (ح ب ر) من الإرَمِيَّة : (حَبّرْ) ومعناها : أخَّذ تأخيذاً ، وسَحَر سِحْراً ، ورقى رقياً ، وعزَّم تعزيماً . وعندهم (حَبَّارا) العرَّاف والمؤخِّذ والساحِر والعرَّاف والحوَّاء والرقَّاء والمعزّم . ومثل المعاني العربية يرى في العبرية .

على أن المعنى الحقيقي الاول للحبر ، هو العالِم الرباني ، أو القُدْسي أو القِسّيس ، بموجب عبارتنا النصرانية ، او الكاهن بحسب التعبير العام عند غير النصارى .

ومنهُ اخذت اليونانية ἱερεύς, έως (hiereus, eōs) . والدليل على ان اليونانية من العربيةِ : ان الهائية تبتدىء بحرفٍ عليهِ علامة حرف حلقي ، اي علامة تفخيم ، وبالفرنسية ESPRIT RUDE ، ثم ان معنى العربية والاغريقية واحد . وإن قيل لنا كيف أن اليونان أخذوا اللفظة عن العرب ؟ ، نقول لا عجب ، الم يأخذوا الفاظاً يقرّ الهلنيون إقراراً صريحاً بأنهم أخذوها من الناطقين بالضاد كالبان ، والسَّنا ، والمُرّ ، وغيرها ، فهذهِ من تلك .

زد على ذلك ان لليونانيين كلمة تعني البازي او الصقر وهي (HIERAX , AKOS)

ἱεραξ, ακος وهي (الحُرّ) بالعربيـة بضم الحاء وتشـديد الراء ، فـكأن هذا الاختلاف الموجود عند اليونانيين ناشيء من الاختلاف الموجود عند بني مُضَر (راجع معجم بوازاق باليونانية ومعجم الفيروزابادي ، تَرَ المَجَب) ، فهل بعد هذا الدليل ، دليل أقوى ؟ .

والذي حمل العرب على ان يَرَوْا في (الحبر) : العالم بتحبير الكلام ، انهم خلطوا بين (الحِبر) للمداد . وبين (الحبر) للعالم الرباني ، بَيْدَ أن نتيجة الوهم ليست عظيمة . — ومنهم من رأى مجانسةً بين (الحبر) و (البحر) بل رأى قلباً فيهما ، وهو غير صحيح هنا ، اذ لا حاجة لنا اليهِ . ثم ان رآء (الحِبْر) أبدلت لاماً فقيل (الحِبْل) والمعنى واحد ولهذا كانت (الحِبْر) بالكسر أفصح من الحَبْر بالفتح .

بقي اننا قلنا : ان كل كلمـة ثلاثية لا بُدَّ من ان تُرَدَّ الى لفظ ثنائيِّ الحرف . و (حور) ، او (حير) ، ترد الى (حر) ، ثم يُضَعَّف فيقال (حرّ) ، ومنهُ (الحَرّ) في الشرع وهو : « خلوص حُكميّ يظهر في الآدمي ، لانقطاع حقّ الغـير عنهُ » ، (عن جامع الرموز) .

فالحَرّ ، او الحُرُورِيّة ، او الحُرورة ، او الحِرار ، أو الحُرِّيَّةُ هي أثمن شيء في الانسان ؛ ومن ثَمّ هي أقدس شيء فيهِ ، اذ شيئان يميّزانهِ عن سائرِ الخلقِ كلهِ : العقل والحرية ، فاذا عدم المرء احدهما ، لم يبق لهُ تلك القيمة التي تعلي شأنهُ .

والحرية ، كما تعلم نتيجة العقل وثمرتهُ ، ولاسيما ثمرة العقل السليم الصحيح . فتكون الحرية حينئذٍ شيئاً مقدساً . وتجد تحقيق ذلك في مشتقات هذهِ المادة . قال اللغويون : « حرَّر الولد : افرزهُ لطاعة الله ، وخدمة المسـجد . ومنـهُ في سورة آل عمران : « ربّ اني نذرت لكَ ما في بطـني محرَّراً . فتقبل مني » . قيل : مُعتَقاً لخدمتـه ، لا أشغلهُ بشيء ، او مُخلَصاً للعبادة .

ومن هذهِ المادة : حَرَّ فلان يَحَرُّ حِرِّيَّة : كان حُرَّ الاصلِ . والحُرُّ عندهم : « الكريم وخيار كل شيء والفعل الحسن » وهو افضل ما يوصف بهِ الانسان وافضل

ما يوصف بهِ الشيء . ولا عجب بعد هذا ، إذا أطلق على القِسِّيس ، وهو في نظرهم احسن رجل عندهم .

ولهذا جاءت الكلمة اليونانية ἱερεύς, έως بمعنى الكاهن أو القسيس عند اليهود ، ثم بمعنى الكاهن الاكبر ، ثم بمعنى كاهن ؛ او خادم البلية ، فخادم او كاهن الفضيلة ، فالكاهن الاكبر ، وفي عهد النصرانية جاءت بمعنى المطران والحَوَارِيّ .

فهذا تاريخ تنقل هذهِ الكلمة ، فمن شاء ان يتبع الحق . فهذا هو ، ومن شاء المكابرة ، فليبق مصرًّا على رأيهِ ، ووادي الضلال فسيح واسع .

اما الحواريّ ، على ماذكرهُ المفسرون واللغويون ، فمبني على انهم اشتقوهُ من مادة (ح و ر) ، فاختلفوا فيها . على ان صاحب اللسان قال : « واصل التحرير في اللغة ، من حَار يَحُورُ وهو الرجوع . والتحوير : الترجيع » اه . — قلنا : والرجوع والترجيع من صفات الرسول ، اذ لا بُدَّ لهُ من الرجوع الى أرباب الشؤون مراراً ، لابرامها ، وإحكامها . فالحَوَارِيّ أصلهُ الحَوَّار .

و (الحوّار) من صيغ المبالغة بمعنى (الحائر) ، وزادوا اليآء في الآخر ، مبالغة في الصفة ، ثم نقل الى الاسمية . كما قالوا الشَنَّاح والشَنَاحِيّ أي الطويل . وقالوا فرس شَنَاص وشَنَاصِيّ أي طويل نشيط . (فالحوارِيّ) لفظ عربيّ فصيح صحيح ، لا رائحة للعجمة فيهِ . وقد بيّنّا أن معناهُ الأصلي هو المتردّد في الذهاب والاياب ، والمقدّس النفس ، الطاهرها ، كما هو شأن كل رسول ، أو الأبيض القلب النقيّهُ ، وكل ذلك من صفات الرسول ، الصادق الايمان ، والعامل بهِ .

فاذا كان هناك من يذهب الى خلاف ماذهبنا اليهِ ، ويقول بعجمتها ويصرّ على رأيه فلا يكون حينئذ إلا من اليونانية ἱερεύς وهو الكاهن أي القسيس والحبر والاسقف ، وقد أخذ العرب من الملنيين الفاظًا دينية نصرانية مثل المطران والاسقف والبطريرك والانجيل الى نظائرها . على أننا ننكر ذلك كل الانكار . أما أنها من

الحبشية ، فهـذا بعيد . وإذا كان هناك بعض المجانسة ، فالحبشة أخذوها من العرب لا العكس، لأن صلة العرب بالمسيحيين الأولين كانت في صدر النصرانية. ففي الاصحاح الثاني من أعمال الرسُل ما يبين هذهِ الحقيقة . وقد قال بولس الرسـول في الأصحاح الاول من رسالتهِ الى أهل غَلاطية أنهُ ذهب الى الديار العربيـة ثم عاد الى دمشق . ونظن أن وجودهُ هناك لم يكن عبثاً . فأينَ هذهِ الحقائق من خرافات بعضهم ، إذ يقولون أن العرب اقتبسوا كلمة (الحوارِيّ) عند دخول الحبش بلاد اليمن وعن أهل نجران تلقاها عرب الحجاز (؟) . فهـذه أقوال مريض مصاب بالهذَيَان . فليرحمهُ الرحمان ، وليعنهُ على قبول الحق والاذعان لهُ كل الاذعان !

٣٩ . موجز هذا الكتاب

(وهو خطبة القيتها فى المعهد الحديث فى الاسكندرية فى ٣ / ٣ / ١٩٣٨)

يا أشبال اللغة ، وفخر الوطن ،

دعاني رئيس « معهدكم الحديث « الوقور » أن أحاضركم في (اللغة العربية من حيث أنها تهمُّ الشرق والغرب) ، فاعتذرت اليهِ ، بأني لم أعالج في حياتي إلا قليلاً المسائل التأريخيـة والأدبية ، إذ كان معظم اجتهادي ، في معارضـة العربية بسائر اللغات ، لغات الأقوام التي احتكت بهم العرب ، منذ أعرق القدم ، ولا سيما معارضتها بألسنة اليونان ، والرومان ، والفرس ، والنبط . فوجدت أموراً لم تخطر ببال ؛ لأن ، لغتنا المبينة ، لم تُدْرَسْ من هذا المنحَى .

والسبب – على مايُخيَّلُ الي – أن الناطقين بالضادِ، لذين أمعنوا في تدبُّر لغتهم ، وتقليبها على مناحٍ ووجوهٍ شتَّى ، ازدروا بكل لسان سواها ، فتبيَّن أنها فوق كلِّ لغـة ، ولا يمكن أن يدانيها شيء من كلام البشر . فكان هـذا لاعتزاز داعياً ، بل ناعياً ، كل تَبَحُّرٍ في معارضتها بسائر اللغى والألسنة . فأُهمِل هذا البحث بتاتاً في جميع العصور ، حتى في عصر اعتزازها وازدهارها وتسنُّمها صهوات المعالي .

أما المستشرقون ، - على اختلاف قومياتهم - فانهم أهملوا هذا الموضوع ومعالجته، وقعدوا عنــه ، بل أقول : ناموا عنهُ ولا نوم أهل الكهف ، وذلك بسببيــين على ما يبدو لي :

السبب الأول انهم اتقنوا الالسنة الغربية كل الاتقان ، وعُنُوا بها عناية دونهــا كل عناية ، بل عناية تُقَطِّع نِياط من يحاول من الشرقيين أن يسابقهم في هذا الميْدَان . أما وقوفهم على أسرار الضــادية ولطائفها ، واستجلاءَ مزاياها وخفاياها ، فهيهــاتِ هيهات ! ووصولهم الى مناط العيوق ، أقرب اليهم من البلوغ الى الاستبضاع من هذهِ السوق ؛ بل أجرؤ فأقول : أنهم لو وقفوا أعمارهم كلها على هذهِ الغاية ، لمــا استطاعوا اليها سبيلاً ؛ لان الدم الذي يجري في عروقهم ، غير الدم الذي يتدفق و يتسلسل في عروق بني يعرب . فهذهِ علة لا يستهان بها .

والسبب الثاني أنهم يتحامون كل التحامي أن يجمعوا بين أصــول لغتنا وأصول لغتهم ، عملاً بمبــدإ لهم يُجلُّونَهُ وَيُعَظِّمُونَهُ و يضــعونهُ فوق كل مبــدإ ، أي أنهم لا يَوَدُّونَ أبداً أن يقال أن بيننا و بينهم صلة رحم ، أو وَاشِجَة بيِّنــة . فتكون ثمَّ الطامة الكبرى ، والداهية الدهياء على مايتوهمونهُ ، فظلموا أنفسهم ، وما ربكم بظلام للعبيد . ومع ذلك فقد قام بعضهم حيناً بعد حين ليعالج هذا الموضوع من هذا المنحى، فناهضهُ سائر إخوتهِ من أهل البحث ، وتناولوهُ بألسنٍ حداد . فانقبع ولازم الصمت ، فكرِهَ غيرهُ أن يعودَ الى هذا الموضوع ، فنبذهُ جماعة المستشرقين . ومنــذ ذلك الحين ، وجموا وجوماً ، ولا يزالون واجمــين ، ولعلهم يبقون كذلك إلى ما شاء ربُّك ربُّ العالمين .

والآن أعرض عليكم كيف وقع في صدري الاخذ بهذا البحث :

كنت في التاسعة عشرة من عمري ، حينما شرعت في تعلُّم اللاتينية ، وما كدت أقف على أوائل أحكامها . حتى شُغِفْتُ بها كل الشَغَف، وذلك لاني رأيتُ فيهــا

مشابهة ، بل عدة مشابهات للغة الفصحى ، وأنا أذكر المشابهة الاولى والكبرى التي أثرت في نفسي تأثيراً قصياً .

في الرومانية ، كما في اليونانية ، أوجُهُ الاعراب ، أي الرفع والنصب والخفض ، وبصورة مألوفة جارية على الالسن : الضم والفتح والكسر ؛ بل ثمّ ثلاثة أوجه أُخَر ليست في فصحانا وهي : وجه المنادى ، ووجه المفعول لهُ ، ووجه المفعول بسببه . وهذهِ الاوجه تختلف في حالاتها عن حالات الاوجه العربية الثلاثة التي تعرفونها . فدُهِشتُ من هذهِ المعلومات وفروقها الدقيقة ، وقلت في نفسي : ان هذهِ اللغة لجدٌ جميلة.وتضارع العربية بمحاسنها ، وأساليبها ، فلادرسنّها ولو كلفني درسها عرق القربة .

والامر الثاني الذي عزز فيصدري درسها ، اني وجدت فيها ما دفعني بعد ذلك الى التوغل فيهِ ، وهو : اني لاحظت ان اسم الجلالة في كلام أولئك القوم DEUS ، والحرف الاخير هو من زيادتهم ، ومن ملحقات علامات الاعراب عندهم ، فيكون الاصل الحقيقي DEU ، وهو يوافق كلمتنا (ضوء) ، ولو أردنا أن نكتب كلمتنا بأحرف رومانية ، فلا نجد أحسن من هذا الوسم الصحيح . ونحن نعلم من التاريخ ، أن أمماً شتى عبدت ، أو ما زالت تعبد الى اليوم (الشمس) أو (الضوء الاعظم) وتسجد لهُ . ومن هؤلاء العبدة : الصابئة، والمجوس ، والثنوية ، والدَّيْصَانيَّة ، والمانوية ، ولم يعبدوا (الضوء) أو يعدُّوهْ إلهاً إلا لكونهم رأوا فيهِ ثلاثة أمور لا ترى في سواهُ ، وهي الحرارة والنور ، والقوة ، أي الحياة .

ولما كان هذا الضوء يختفي عند حلول الظلمات أي أن الشمس قد تحتجب بالغيوم الكثيفة أو بالليل ، أقاموا لهْ صوراً وتماثيل اكراماً لهُ ، واقراراً لفضله ، وبأنهُ الإلهُ الاعظم اذ منهُ الحرارة والنور والقوة ، أي الحياة .

أما أولئك الذين اختارهم الله ليكونوا من عبادهِ المقرَّبين فانهُ أوحى اليهم بالحق ، ولذا لا يرون في (الضوء) أو (النور) أو (الشمس) إلا صورة ضئيلة للرب المتعال ، الرب الذي لا يصل اليهِ الحسّ من أي نوع كان ، إذ يترفع عنهْ لروحانيتهِ المحضة ، التي لا تصفها الألسن ، بل لا يمكن أن تصفها ، وان كانت بليغة فصيحة .

فاسم الضوء اذن إلهاً هو باللاتينية DEUS و باليونانية θεός و بالفارسية (دَيْوْ) ، ولو عُرِضَتْ على أنظارنا جميع الالفاظ الواردة في جميع الالسنة ، لما رأينا بينها الا فرقاً زهيداً ، والاصل يبقى واحداً .

والامر الثالث الذي ألقى في روعي حبَّ هذهِ اللغة الرومانية ، اني رأيت في الوقت عينهِ كلمة ثانية تجانس العربية ، وهي DIES ، ومعناها النور والنهار ، والضـياء . فاذا حذفنا منها الحرف الاخير ، أو حرف الاعراب عندهم ، وجدنا DIE أي ضياء ، وهي الكلمة العربية نفسها .

فاتضح لي من مقابلة هذين اللفظين في اللسانين المختلفين داراً ، وقوماً ، وأصلاً ، ونسباً ، أن هنالك غير هذهِ الكلم تتجانس بينها وبين العربية . ولا بد من الامعان في البحث ، لينجلي الامر بوجههِ الصبيح . الا أن الامور مرهونة بأوقاتها . لاني كنت قد عقدت النية على السفر الى بيروت للدخول في كلية الآباء اليسوعيين لدرس اليونانية واللاتينية على معلم ، وليس على نفسي ، كما كنت أفعل ، إذ هذا الامر الاخير شاق وطويل الامد ، وفيهِ إضاعة الوقت . دع عنك أني لا أصل الى هدفي وصولي اليهِ على يدِ معلم ماهر خبير بصير .

فغادرت بغداد وكان عمري يومئذٍ عشرين سـنة ، فبقيت في بيروت نحو ١٤ شهراً درست فيها اللغتين المؤتمتين (أي اللاتينية واليونانية) ثم سافرتُ الى بلجكة ، فواليت فيها درسهما ، ومن بلجكة الى جنوبي فرنسة ، فزاد حبي لهما ، اذ انفتح لي فيهما مهيع واسع للتحقيق والتـدقيق . وألفيْتُ من انهتاك حُجُب الاسرار ما زادني شغفاً بهما ، وأشبهت نفسي ذيالك الغنيَّ الذي يزداد حبهُ للمال كلما وجد ركازاً ، أو كنزاً دفيناً في الارض الجديدة التي اقتناها .

أما الكنز الدفين الذي وُفِقْت للعُثُور عليه ولم أجدهُ في كتاب ، ولم أسمعهُ من أستاذ أيًا كان ، فهو أني لاحظتُ هذا المبدأ وهو : كلّ كلمة ذات هِجَاء أو هِجَاءين في الرومية أو اليونانية ، ولم تكن من أصل منحوت ، بل من وضع أصيلٍ ، أو توقيفي ، فلا بُدَّ من أن يكون لها مقابل في لغتنا المُضَرِيَّة .

ولاحظوا هذا الأمر ، اني قلتُ : « كل كلمة ذات هجاء واحدٍ (أي مقطع واحد) ، أو هجاءين (أي مقطعين) ؛ لأن اللفظ إذا زاد على هذا القَدْر يكون قد وقع في اللغتين المؤتمتَّيَن نَحْت ، أي تركيب من كلمتين ، أو أكثر ، أي انهُ أخذ من هذهِ الكلمة شيء ومن تلك شيء ، وجُعِلت واحدة ، فهذا هو (النحت) أو (التركيب) .

وهذا النحت يتدفق تدفق السيل الجارف في لغة كيكرون وديمستينس ؛ أما في لغة عدنان ، فانهُ قليل لا يعتدُّ بهِ ، ولا يتقوم منهُ قواعد ، ولا يَصْلُح لأن يُجْرَى عليهِ جَرْياً . والذي يرد في الفاظنا الكثيرة الاحرف ، ان زيادتها ، تدل على معانٍ خاصة بكل حرفٍ منها ، وهي معانٍ دقيقة ، تزيد المعنى الواحد معاني عدة جديدة ، لم تكن فيها قبل ذلك التوسيع ، الذي يسميهِ اللغويون (التَغْشِيم) .

والملاحظة الثانية التي أجلب اليها نظركم هي أني قلتُ : « ولم تكن تلك الكلمة من أصل منحوت ، بل من وضع أصيل » ، لأنها ان كانت مركبة الاصل ، فليس لها مقابل في لغتنا ، إذ خرجت عن القاعدة المطردة ، وصارت في حَيّزٍ آخر هو حيّز العجمة الصِرفة .

وقد ذكرت لكم كلمتين لاتينيتين ، وعارضتهما بأخريين عربيتين ، وبينت لكم تآخيهُمَا . والآن أذكر لكم مثالين آخرين آخذهما من الإغْرِيقِيَّة :

۱ً . الحُدَاء (أي الغِنَاء) عند أبناء صولون (hôdè) ᾠδή وهي نفس الكلمة العربية ، إذا أُميل في لفظها . وهي تُضاف في لغتهم الى عدة أسماء ، فيقولون مثلاً : حُدَاء حزْن أو حِدادٍ ، وحُدَاء مديحٍ ، وحُداء أُنشودة ، وحُداء حَرْب ، وحُداء دِين ، الى نظائرهن ، كما لا يخفى . ولاحظوا هذهِ المجانسة بين اليونانية والعدنانية . فالكلمتان لا تختلف الواحدة عن صاحبتها بشيء البتة ؛ اللهم إلا بسقوط الحاء الحلقية من كلامهم ، على حدّ ما سقطت وتسقط أغلب تلك الاحرف من جميع لغات الغربيين .

وهذا الأمر يَبّن من الاعلام الشرقية القديمة الواردة في التوراة ، ونقلها الى لغات الغرب ، فان الحاء مثلاً سقطت من قولهم EVA ، أي حَوَّاء ، و NOE ، أي نوح ، و BETHLEEM ، أي بَيْت لَحْم ، و MESSIA أي المسيح، الى أشباهها ، وهي جمة كما لا يخفى على ذكائكم . ومثل هــذا الحرف جرى في الحُدَاء . وأول ما وضع الحُدَاء كان للابل ، وهو أقرب الى طبيعة الحال .

قال الجوهري : « الحَــدْو سوق الابل والغِنَاء لها . ويقــال : بينهم أُحْدِيَّة وأُحْدُوَّة ، أي نوع من الحُدَاء يَحْدُون بهِ ، على ما نقلهُ الحيــاني . » اه . ومثل الحَدْو : الحُدَاء .

ووَضْع السلف هذهِ الكلمة لهذا المعنى أقرب الى السليقــة ، لأن ابن الشرق الادنى وُلِدوهو مُحاط بأنواع الحيوانات ، يأكل من لحومهــا ، ويشرب من ألبانهــا ، ويلبس من أوبارها ، ويستدفئ بجوارها ، ويظعن على صهواتها ، ولا سيما اذا جاز رمال القفــار ، فلا بد لهُ من الابل ، إذ لا تعطش إلا قليــلاً ، ثم اذا مات فهو بين جماعاتها . فكان اذن من طبع ابن البادية أن يكون أول غنــائهِ للعيس ، فخصّ حُدَاءهُ بها ، وحسناً عمل ، إذ قام بما لتلك الحيوانات من الحق الصريح على من يعتزّ بها وينشأ بينها .

وأغرب من هذا وذاك : أن نفس الكلمة اليونانيــة تستعمل لنوع من الغناء ، يَتَغَنَّى بهِ الســاحِر في سِحرهِ ، أو النفّاثات في العُقَد ؛ ثم أطلقوها على كل رُقْيــة أو أُخْذَة أو سِحْرٍ . – أما أبناء عَدْنان ، فانهم رأوا في هذا الخلط بين المَعْنَيَيْن ، واللفظُ واحد ، إجحافاً باللغة ، ففرّقوا بين معنى ومعنًى ، وجعلوا (الحُدَاء) لغِناء الابل ، و (العوذة) للسِحْر . واللفظ في الاصل واحد .

فأنتم ترون أن اللفظتين الضِدّيتَين لا يقابلهما إلا لفظــة واحدة في الهُومَرِيّة ، ولو حاولنا أن ننقل بأحرف يونانية كلاً من (الحداء) و (العوذة) ، لما استطعنا أن

نصورها بغير هذه الاحرف أي hodè ، لخلوّ لغة الهلّنيين من الحآء والعين . ثم لاحظوا ان (الدلتا) أو (الدال) اليونانية هي في (الحداء) مهملة ، وفي (العوذة) معجمة وهما لغتـان من لغاتهم . فمنهم من يقول (ذال) بالمعجمة ، ومنهم من يقول (دال) بالمهملة الى يومنا هذا . وكذلك الامر جارٍ على هذا الوجه عند بعض العرب الى عهدنا هذا .

ولعلّ أبنـاء هلاّس رأوا هذا الامر عند العرب ، أي الفرق بين (الحُدَآء) و (العُوذة) ، فجروهم هم أيضاً . فوضعوا لفظين مختلفين بعض الاختلاف ، فسـموا (الحدآء) hodè وسموا (العوذة) أيضاً épode ، وان لم ينبذوا الكلمة الاولى hodè ، فانظروا الى محاسن معارضة اللغتين الساميةّ الكبرى أي العربية ، واليافثية الكبرى أي اليونانية .

ولا بد لي من مثل ثانٍ أدعم بهِ هذا الرأي ، وان كان عنـدي عشرات ، بل مئات من الشواهد :

عند بني هَلاّس كلة هي Τυννός ومعناها الصبي القصيع الذي لا يشب ، ولا يكبر . وقد حار كبار علمائهم اللغويين ، من أقدمين ومحدثين ، في ردّها الى أصل يشابهها في المبنى والمعنى ، فلم يجدوا في جميع اللغات الغربية ، حتى في الهندية الفصحى (أي السنسكريتية) ، ما يجانسها ، فانقلبوا عن بحثهم مقرّين بكل سلامة نية ، وبياض طوية ، انهم لم يهتدوا الى ما يقابلها . وما عَرَضَـهُ بعض حُذّاق لُغَوِيّيهم المحدثين ، مثل يوهانصن ، وصُلْمْصُن ، لا يعتمـد عليهِ ، بل ليس بشيء ، ولم يستحسـنهُ بُصَراؤُهم .

أما نحن ، فاذا أخذنا بقاعدتنا في هَذا البحث ، أي إذا حذفنا علامة الاعراب التي في لسانهم ، وهي os وقفنا على (تِنّ) وهي اللفظة العربية المقابلة للاغريقية أتمّ

مقابلة مبنًى ومعنًى. قال ابن مكرَّم في لسانهِ: «التَّنّ، والتِّنّ: الصبيّ الذي قصعهُ المرض فلا يشبّ، وقد أتنَّهُ المرض. [قال] ابو زيد: يقال: أتنَّهُ المَرَضُ: اذا قَصَعَهُ، فلم يلحق بأَتْنَائهِ، أي بأَقْرَانهِ فهو لا يشبّ» اه:

فمن هذهِ المعارضة الوجيزة، ترون خطورة هذا البحث، وما ينشأ منهُ من الفوائد والعوائد الجليلة، والوقوف على أسرار الالفاظ، ومعانيها الاولى الاصلية، وتشعّبها، واتصال بعضها بالبَعْض الآخر من سائر اللغى، وهو درس لذيذ طريف، لم يطأ أرضهُ البكر أحدٌ من الانس ولا من الجنّ الى يومنا هذا. وبعبارة أخرى، لم يعالج موضوعهُ أحد من العرب، أو من أبناء الغرب. وعسى أن يقوم من معهدكم من يُعْنَى بمثل هذهِ المباحث البديعة، التي مع عقمها من جهة النفع المادي، تزيد العقل نشاطاً. واللغة سعة، والوطن شهرة، والصلة بالامم توثُّقاً، والإمعان في الحقائق جراءة واكتشافاً، وتوسعاً، ولعل العقم المادي هو السبب الذي حال دون التبسط في هذا الموضوع، ومعالجتهِ معالجةً صادقة.

والآن دعوني أروي لكم ما وقع لي من الأحداث، بخصوص هذهِ المباحث اللغوية التي توخَّيت مزاولتها:

كان يتردَّد إليّ في بغداد، في سنة ١٩٣٥، في أوقاتٍ معينة، وفي مكان عزلة، أحد شبان الهنود النصارى، من خرِّيجي كُلّيّةِ اليسوعيين في كَلْكُتَّة، من ديار الهند، وكان مِمن أولعوا بدرس اللغات من حَيّةٍ وميتة، ومقابلتها أو معارضتها بعضها ببعضٍ، وكان يباهي كل المباهاة بالهندية الفصحى (بالسنسكريتية)، لأنها أم اللغات الغربية الآرية كلها قاطبة، ولا سيما أم اللغتين المؤتمتين: اليونانية واللاتينية.

وكان قد اطلع في المقتطف، والهلال، ولغة العرب، وغيرهن من المجلات والصحف على ما كنت كتبتهُ في هذا المعنى، أي «أن اللغة العربية أم اللغات» أو «مفتاح اللغات»، فكان يضحك بملء شدقيهِ من هذا الرأي، ويعدهُ في منتهى

السخافة ، ويسخر مني ، لأني أنا أول القائل بهِ . ويرى أن هذا الرأي ، رأي شرقي غيرّ ناضج ، وهو لا يجد فيــهِ سوى المبالغة والاغراق في الوصف ، والتعظيم للغــة الضاد ليس إلاّ .

وكان مع ذلك متأثراً من قولي ، لأنهُ فعل في فكرهِ فعل الصاعقة في جسمهِ ، وان كان يُرِي انهُ يستخفّ بهذهِ الفِكْرَى . فكان جاء الى بغداد في السـنة التي أشرت اليهــا ، لاشتغالٍ تتعلق بشؤون والدهِ ؛ ثم بحث عني حتى وجدني ، وزارني مراراً لا تُحصى ، وحاول أن يقنعني أن أعدل عن فكري الى رأيهِ ، فألفاني كالجلمود ، أو أصلب في وجهه ؛ وكان يقول لي ، ويعيــد قولهُ مراراً : إن رأيك فائل ، أيها الأب المحــترم ، لا يرضى بهِ كل لغويّ ، وأرجو منك أن تعدل عنــهُ احتراماً لشخصك ، ولا جرم انهُ لا يُعَمَّر ، لضعفهِ ، وسقمــهِ وعدم قبول العلمآء لهُ ، وقد ردّلهُ جماعة المستشرقين الذين قتلوا هذا الموضوع خَبَرَاً وخُبْراً ولا سبيل الى هدمهِ ، بل لا مطمع في الزيادة عليهِ قيــد شعرة . – الى كلام طويل مُمِلّ لا محل لايرادهِ هنا ، لأن الشاب كان مفتوناً بمذاهب أهل الغرب وباحثيهم ، كسائر أبناء الشرق ، حين يتصــلون لأول مرة بأناس غير أناس وطنهم ، وبأفـكار غير أفـكار قومهم . لا بل ما كان يريد أن يسمع برأي جديد لم يذهب إليهِ الافرنج ، أو لم يقــل بهِ الافرنج ، أو لم ينص عليهِ الافرنج ، أو لم يمرّ بخــاطر الافرنج ؛ فهو من عَبَدَة الافرنج لا غير ، أصابوا أم أخطأوا ، ولا يريد أن يحاكهم بأي شيء كان . وكان يقول : ليس أدنى صــلة بين اللغة الضادية وأي لغة باقية قديمة أم حديثة ، كالهندية الفُصحى ، واليونانية ، واللاتينية ، والفارسية القديمة ، كالفهلوية ، والزندية ، والدَّرِية .

فقلتُ لهُ : يا سيدي ، ان الحقيقة ابنة البحث . فان أنت اختلفتَ إليَّ مراراً عدة ، فانك تعــدل عن رأيك هذا الى رأيي ، وعن تصلبك في مخالفتك اياي ، وتنقلب آخذاً بفكري ، من غير أن أمنعك من أن تشايع المستشرقين في بعض آرائهم الصائبة ، والتي أنا أوافق عليها أيضاً .

فكان يأتيني في مكان ناء عن كل زائرٍ ، لا يدري بهِ أحد . وكنا قد اتفقنا على الاجتماع فيهِ أياماً وساعاتٍ معلوماتٍ . فكنا نتجاذب أطراف الجدل في جوٍّ يسود فيهِ الهدوء ، والطمأنينة ، وحرّيّة الفكر ، والقول ، وليس ثمّ من يزعجنا ، أو ما يزعجنا .

ومن غريب أمر هذا الشابّ المتنوّر ، انهُ كان يأبى أن يزورني ، وأنا في الدير ، لاسبابٍ لم يَبُحْ لي بها ؛ مع انهُ كان نصرانياً دَيّناً . فتركتهُ وشأنهُ ، وجاريتهُ في هواهُ : فكنا نجتمع في المكان القصيّ عن المدينة وأهلها ، وكان الحديث يجري بعض الايام ساعاتٍ طوالاً ، ونحن لا نشعر بانسلالها من أيدينا .

وكان صاحبي الشاب يُحسن الهندية الفصحى ، والانكليزية ، كأنهُ أحد أبنائها ، ويكتب بها ، ويتكلم ، ويخطب بها بسهولة عظيمة،وكذلك كان يتقن الفارسية وهي لغة أغلب علماء الهنود الذين يتفرغون للعلوم والدروس العالية . وكذلك كان يحسن العربية ويجيدها كأنهُ أحد أبناء العرب ، إلا انهُ كان في لسانهِ شيء من اللكنة، لا سيما في أحرف الحَلْق كالحاء ، والعين ، والقاف . ويشدو شيئاً من الالمانية،واليونانية،والرومية. وهو من بيت عريق في الشرف ، غنيّ ، ثريّ ، نبيل ، يمكّنهُ من الدرس ، والتفرّغ لهُ ، من غير أن يخالف أوامر والدهِ . فكان كلُّهُ للتخصّص في معارضة اللغات ، بعضها ببعض ، على الاساليب الحديثة العلمية ، الجارية في ديار الغرب ، في عهدنا هذا ، وعلى ما هو متعارف عند أهل البحث ، والامعان في التحقيق .

وفي أول بحثهِ معي ، كان يكاد يقتلني قتلاً ، لمخالفتي إياه في رأيهِ ، ومخالفتهِ إياي في رأيي . فقلتُ له : لا يتمّ التحقيق بالغضب ، والتهوّر ، والتسرّع في الكلام ؛ ان الحق يَنجلي لمن يمتاز بالصبر والجلَد ، ولا يحتقر رأي من يخالفهُ ، ولا يتهكم منهُ ، بل يجدّ كل منا في إقناع صاحبهِ بالتي هي أحسن . فانكسرت حينئذٍ سورة غضبهِ ،

وزايلتهُ حدَّتُهُ ، وأخذنا نتباحث في الهدوء ، والراحة ، والسكينة ، والوقار ، واحترام كل منا رأي صاحبهِ .

وفي مطاوي بحثهِ معي ، أظهرت لهُ أن رأيي حديث بلا شك ولا ريب ، لكنهُ قائم على قواعد راسخة لا تتزعزع ، وعلى أحكام هي وليدة سُنَنٍ بيّنةٍ واضحةِ المعالم . فاذا أخذ بها الباحثُ الصادقُ النية والطوية ، الخالي من كل غرضٍ وسوء قصدٍ ، ومن كل سبقٍ في الوهم ، وروح المعاداة ، أدَّت بهِ مساعيهِ إلى أحسن النتائج ، وأبهجها للخاطر .

أما المستشرقون ، فانهم لا يريدون أن يكون بين العربيـة وبين لغاتهم أدنى صلةٍ ، أو مجانسة ، أو ملابسة ، أو مشابهة ، خوفاً من أن يقال لهم ، أو أن تقول لهم نحنُ العربَ : بيننا وبينكم ، يا قوم ، لحمة نسب قديم ، وصلة رحم ؛ وهو مما يتبرأون منهُ ، وينبذونهُ من مسامعهم ، بل ينفضون ثيابهم عند سماع هذهِ الكلمات ، كأنها تدنِّسهم ، وتدنّس ثيابهم ، بل لا يريدون أن يتصوَّروا مثل هـذه الفكرة ، الهادمة لأبنيتهم المتصدّعة المتشعثة ، تلك الأبنية التي أقاموها منذ أن وضع أُسُسها إمامُهم الألماني الكبير مَكْس مُلّر .

ثم أخذتُ أسرد له ألفاظاً لا تُحصى ، مُؤيّداً لهُ إياها بالأدِلَّةِ الناصعة ، والبراهين النيِّرَةِ ، ومُبَيِّناً لهُ أن هذهِ الكلمة العربية ، هي عَيْنُ الكلمُ اليونانيةُ ، أواللاتينية . وأنا لم أذكر لهُ سوى ما كان منها أحاديَّ الهجاء ، أو ثُنائيَّةً لا غيرُ ، ولم أتجـاوز هذا التركيب ؛ لأني أقفُ عند هذا الأُفقِ من فقهِ اللغة ، ولا أذهب الى أبعدَ منهُ . وكنتُ قد نشرتُ بعض ذلك في الصُحُف والوَضائع والمجلاّت .

وثابرنا على عقد مجالسنا زُهاء ثمانيةِ أشهر ، في جَدَلٍ لا يخـرج موضوعهُ عما توخَّيناهُ من البحث . وفي الآخر - ومن بعد أن بلغت روحي التراقي - ، وافقني على رأيي ؛ فلم يذهب سعيي سدًى ، لأنهُ أصبح أحد كبار الدُعاة اليـهِ : بكل إخلاص

وصدق نية ، وبذل نفس . فنشر في مجلة ديارهِ الهندية ، وصحفها عدة مقالات ، أثبت فيها صحة هذا الرأي الحديث ، ودعا أهل وطنهِ الى الأخذ بهِ ودراسة العربية الفصحى ، لأنها « أمُّ اللغات ومفتاحها المُحكم » والتي لا يستغني عنها من أراد التفرغ لمقابلة الألسنة بعضها ببعض ، والتوغُّل في حناياها ، وخفاياها، وزواياها .

ورحل بعد ذلك الى ديار الغرب ، وجوَّل تجويلاً في فرنسة ، وأسبانية ، و إيطالية ، والمانية ، والنمسة ، و بلجكة ، وهولندة ، وانكلترة ، وجالس كثيرين من متقني اللُغى الشرقية والغربية . فدافع عن رأيي أحسن دفاع ، بل دَافع عن الحق والصدق ، ونافح عنهُ كأنهُ صاحب الرأي ، وواضعهُ، ومبدعهُ ، وليس كالآخذ برأي رجلٍ آخر سبقهُ ، اليهِ أو وضعهُ قبلهُ .

وقد كانت كلمة المستشرقين أوأجوبتهم – على اختلاف قومياتهم ولُغَاتهم وديارهم – لهذا الأديب الفاضل الهندي واحدة في المآل ، وان اختلفت في المبنى . وهي : أننا لا نرى أدنى صلةٍ بين العربية وسائر اللغات اليافثية ، ولا أدنى مناسبة بيننا و بين الناطقين بالضاد . فكان يجادلهم في الموضوع على حدّ ما كان يقارعني لما كان في بغداد، لكنهُ كان كمن يكلم الموتى ، لأنهم كانوا يصمُّون آذانهم عن سماع أدلتِهِ . وفي الآخر ، أشاروا عليهِ تصريحًا أو تلويحًا بأن يقطع عنهم زيارتهُ إياهم ، أو ما يشبه هذهِ الاشارة ، بتصرفهم مع هذا الاديب الفاضل الكامل الآداب ، فعجب من آداب أولئك العلمآء الأفاضل ، آداب لم يكن يتوقعها منهم .

لم أستَغرِب ما أخبرني بهِ الاديب الهندي ، وقد عاملتني لجنة تحرير المجلة الخاصة بمجمع اللغة العربية الملكي في مصر مثل هذهِ المعاملة ، بل أقسى منها ، مع أني أحد أعضائها .

فقد كنت أنشأتُ ثلاثَ مقالاتٍ ، موضوعها البحث في مقابلة العربية باللغتين المؤتمتين اليونانية واللاتينية ، ودفعتها الى رئيس لجنة التحرير، فأطلَعَ عليها المستشرقين

أعضاء المجمع ، فلم يقرؤوها ، وقالوا : هـذا موضوع خياله أكثر من حقيقته ، أو مايقارب هذا المعنى . فأعادها إليَّ رئيس اللجنة وهو لم يقرأ منها كلمة واحدة ، وكذلك لم يفعل شيئاً المستشرقون ، اذ لم يقفوا على كلمة واحدة منهـا ؛ بل اجتزأوا بمعرفة العنـاوين والموضوع ، فلم يستحسنوا شيئاً منها ؛ بل سخروا من البحث ورذلوهُ ، وهكذا نُحَكِّم الأجانب في أمورنا جميعها ، ونسلّطهم علينا وعلى لغتنـا ، وندخلهم في صميم شؤوننا ، ولساننا ، وقوميتنا ، ونسـلمهم قيادنا ، ثم نشكو أمرنا الى الله وأنبيـائهِ ورسلهِ ، ونتأسف ، ونتحسَّر ، ونطعن بذا وذاك ، ونلقي الملامة على الناس ، وما اللوم والعتب إلا علينا نحن الضعفآء في كل شيء .

ثم إني فرَّقتُ تلك المقالات الثلاث على ثلاث ، من الصحف والمجلات ، وما انتشرت بين الأدبآء والعلمآء ، حتى جاءتني رسائل عدة تسـتزيدني في البحث ، وتستحسن الموضوع ، وتُلِحّ عليَّ بمتابعتهِ ، ونشرهِ في كتاب قائم بنفسهِ ، ليستفيد منهُ أولو العرفان ، ومن لم يطالع ، أو لا يطالع الجرائد ، ولا الموقوتات .

فأين هذا الصنيع من إساءة المجمع إليَّ ، وأنا أحد أعضآئهِ ؟ فعلى من الملامة ؟ - أعلى الأعضآء العـرب أم على المستشرقين ؟ - فعندي أن اللائمة على الأعضآء العرب ، أو لا أقلَّ من أن تقع على لجنة المجلة ، ولا سيما على رئيسها ، اذ لم يفحص الأمر بنفسـهِ ، ولا على يد أحد أعضآء لجنتهِ ، ولا على استشـارة أعضآء المجمع الموقَّر ، فحكم على إهمال نشرها ، من اشمئزاز المستشرقين من معالجـة هذا الموضوع - وكيف لا يشمئزُّون منهُ وهم أصحاب الغرض فيهِ - . ولا يريدون البتة أن يمسَّـهُ أحدٌ ، ولو من بعيد .

فلو كانوا مصيبين في رأيهم ، لأذنوا بنشرها . ثم عمدوا الى تزييفها ، أو تفنيدها ، فحينئذٍ نؤمن بعلمهم ، ووقوفهم على أسرار العربيـة ، ولكن لا حياة لمن تنادي ، بعد ان أسلمنا أمورنا الخاصة بنا الى أيدي الأجانب .

ولا أريد أن استرسل في الكلام أكثر من هذا ، وان كان المجال ذا سعة ؛ إلا أن الموضوع جافّ يابس ، ناشف ، لمن لا يتفرّغ له ، ولهذا أقف عند هذا الحدّ ، طالباً منكم العفو والصفح ، متوقعاً مع كل ذلك أن يقوم بينكم من يحاول طرق الموضوع ولو على سبيل الفضول والتبسّط في الآداب واللغة . وعسى أن لا يخيب في مسعاه .

٤٠ . خاتمـــة

هـذا آخر ما أردنا أن نكتبهُ في هذا الموضوع ، ونحن نتقبّل بصـدر رَحْب ، وقلب شاكر ، كل نَقدأو تهكُّم يرسل بهِ الينا ، إذ الكمال لله وحده » !

تصحيح أغلاط

وقع عدة أغلاط في ضـبط بعض الألفاظ ، ولا نريد أن نتعرّض لتصحيحها ، اعتماداً على نباهة المطالع ، اذ لا تخفى على الشادِين في الادب ، فكيف على الممعنـين فيهِ ؟ – ونحن نعتذر اليهم على كل حال .

فهرس اول للفصول والموادّ

صفحة

صفحة

فهرس ثان يحوي أسماء الحيوانات الواردة في هذا الكتاب

(١) البَجَعُ

كثيراً ما خَلط الكتاب ، والادباء ، والنقلة ، والمترجمون ، اسم هذا الطائر ، بما يشبهه بعض الشبه ، (بالفوق) - راجع ما حققناهُ هنا في هذا الفهرس - او (اللَقْلَق).

ونحن نذكر هنا ما يتعلق بالبَجَع ، فاننا لم نجد من عرف حقيقة هذا الطائر إلا النفر القليل ، والسبب هو : ان اسمهُ يختلف باختلاف الديار العربية . فأهل الشام يُسَمُّون (اللَقْلَق) (بجعاً) [كذا] وعليهِ درج صاحب دائرة المعارف ، فانهُ وصف (البجع) وصفاً يوافق مرةَ (اللقلق) ، ومرة (ٱلبَجَع) . فجاء هذا الطائر في تلك الدائرة ، يدور مع أصحاب البلاد المختلفة ، أو قُل : جاء طائراً ، لا هو (البجع) ولا هو (اللَقْلَق) .

وأهل مصر الأقدمون يسمونهُ (الكُيّ) بضم الكاف وتشديد الياء (راجع

ابن البيطار في (البَجَع) و (الحَوْصَل) وقد ذكر نَقَلَتُهُ الى الالمانية والفرنسية أنهُ هذا الطائر العظيم الحَوْصَلة ، أي pélican وهذهِ التسمية الفرنسية مأخوذة من اللاتينية PELLICANUS أو PELECANUS وكلتاهما من اليونانيــة πελεκάν,ανος المشتقة من (فَلَقَسْ) πελέκυς أي القدوم . وعندنا أن الهَلِنِّية فَلَقَسْ من العربيــة (الفلق) ، لأن العوام تزعم أن هذا الطائر الجليل ، يشق صدرهُ شقاً ليطعم فراخهُ ، أو ليغذيها من دمهِ .

أما الحقيقة فان هذا الطائر يخرج غذآء أولادهِ – وهو اللِّبَأ على ما سمّاه الجاحظ – من صدرهِ ، على حدّ ما يفعلهُ بعض الطيور ؛ إلا ان هذا الامر يبدو أظهر في البجع ، لانهُ أكبر حجماً ، وحوصلتهُ بيّنة لكل ذي عينين ؛ فاطعام فراخهِ من لِبَإِهِ أَبْيَن الناظرين ، وأعظم تأثيراً في نفوسهم من سائر الطير .

والقول بأن (البجع) يُغذي أولادهُ من دمهِ ، كان شائعاً عند الاقدمين ، من الغربيين والشرقيين ، ولا سيَّما عنــد أبناء القرون الوسطى ؛ ولا يزال ثَمَّ اناس على هذهِ العقيدة إلى وقتنا هذا ، فان صاحب المعجم المسمَّى (دليل الراغبين ، في لغــة الآراميين) في الصفحة ٦٩٧ ، في الكلام على الطائر المسمَّى بالارميَّة (قَقّا) ما هذا نقلُهُ بحروفهِ :

« قَقّا : قيق . ابو زُرَيْق . بجع . طائر مائي أبيض في صدرهِ حُمْرة ، يحب فراخهُ حبّاً شديداً ؛ فاذا مات أحدها ، يشق صدرهُ ، ويرش عليهِ من دمهِ ، فيعيدهُ حيّاً . ولذا قد شُبِّهَ بهِ السيّد المسيح » اه .

ففي هذا الكلام عدة أوهام : الاول ، ان ليس في صدرهِ حُمرة . – الثــاني ، ان حبهُ لفراخهِ كحبّ سائر الطير لفراخها . – الثالث ، لا يشق صــدرهُ ، بل يخرج اللِبَأ من صدرهِ كما تفعل بعض الطير ، وانمــا ذهب العوام الى هذا الوهم ، لأن اسمهُ الارمي يشبه مادة (قاء يقيء) العربية بمعنى القيء ، وهو إلقاء ما في الصــدر (أو

المعدة) من الطعام والشراب ، كأنهُ عند زَقّهِ فراخهِ يخرج ما فيــهِ لها . - الرابع ، اذا ماتت الفراخ فلا طمع في إحيائها ، بدم الأب ولا بسائر الادوية - الخامس ، ان القبق غير ابي زريق وهذا غير البجع .

فالارسية (قَقًّا) هي البجع دون ســائر اللفظين ، وكذلك (القَاتْ) عند العِبْرِيّين .

ومن أسماء البجع التي لم نذكرها في صدر هذا المقــال : (العُلْجُوم) و (جَمَلُ الماء) ، وقد وردت في بعض الكتب (حَمَل الماء) بالحاء المهملة ، وهي غير صحيحة ، و (ابو جِراب) و (السَّقَّاء) وزان شــدَّاد ، لحوْصَلتِهِ التي تشبهُ زق السَّقّــاء . وعوامّ أهل العراق يسمونهُ (نُعَيْجِ الماء) .

وكان المصريون يُسَمونهُ في سابق العهد (بجمَا) و (كُياً) وقد ذكر لي الاستاذ النــابه مصطفى افندي جواد ، فكتب إليّ في ٢٠ / ١ / ١٩٣٨ من باريس يقول لي : « قال في مسالك الابصار في حوادث سنة ٦٨٢ للهجرة : « وفيها ، رمى السلطان الملك الصالح علاء الدين عليّ بن الملك المنصور قلاوون ، بجماً بجهة العبَّاسيَّة بالبندق » ا ه . ثم قال الاستاذ المذكور ما هذا نصُّهُ :

« وقال مؤلف (تشريف الايام والعصور ، بسيرة الملك المنصور) في حوادث هذهِ السنة نفسها : « ذِكْرُ خروج مولانا السلطان الملك الصالح ، والملك الاشرف ، الصَّيْد ، وصَرْع مولانا السلطان لِكُيِّ مباركٍ . في رابع عشري شوال من هذهِ السنة خرج مولانا السلطان الملك الصالح ، وأخوهُ المتولّي ، الملك الاشرف للصَّيد . . . الى جهة العبَّاسيَّة . . . صرع مولانا السلطان الملك الصالح كُياً مباركاً . » ا ه ما نقــلهُ لنا حضرة الاستاذ المصطفى .

فهذان اسمان مُخْتَلِفان لمسمّىً واحد . وكانا معروفين في المائة السابعــة في ديار مصر ، لهذا الطائر الضخم ، (الحوصل) ، فهما حرِيَّان بأن يقيّدا لمعرفة لغة ذلك العصر .

وأما اشتقاق لفظ (البجع) نفسهُ فاما أن يكون من بَجَعَهُ ، أي قطعهُ بالسيف ، وهنا سيف الطائر منقارهُ ، لانهُ يُشْبِه السيف حقيقة ، فيؤيد الرواية المشهورة من شقّ صدرهِ لاطعام فراخهِ ؛ واما تصحيف مقصود قصداً عَمْداً ، « من فَجَعَهُ ، أي أوجعهُ ، لانهُ يوجع نفسهُ بعملهِ المذكور . وقد قالوا ان الفَجْع ان يُوْجَعَ الانسانُ بشيء يَكْرُمُ عليهِ فيَعْدَمَهُ » (القاموس) فتصحّ أيضاً على هذا الطائر الرواية المذكورة . والله أعلم بالحقائق .

وأما (اللقلق) فطائر آخر معروف بالعراق بهذا الاسم حكاية لصوتهِ . وأهل فلسطين ، ولا سيما في جهات حيفا ، والكرمل ، والناصرة ، يسمونهُ (ابو سَعْد) بفتح السين ، وآخرون يصغرونهُ فيقولون (ابو سَعَيد) لكن باسكان السين وفتح العين ، وهم كثيراً ما يصغرون بعض الاسمآء على الوجه المذكور . واللقلق كان معروفاً عند عوام العراقيين في عهد العباسيين بـ (أبي خُدَيْج) وكان أهل الاندلس يسمونهُ (فَا لَرْغَس) بالغين ، وفي كتاب مفردات ابن البيطار جاءَت بالعين المهملة . وأهل شمالي افريقية يسمونهُ (البلَارج) . وهذه الاسمآء الثلاثة الاخيرة من اليونانية PELARGOS واليونان لفظة أخرى لهذا الطائر تشبه العربية وهي LOKALOS وهو بالفرنسية CIGOGNE و بالانكليزية STORK . وللعرب اسم طائر آخر هو اللقلق وهو غير اللقلق على ما حققناهُ ، بل أول من حققهُ بأدلة لا ترد الاستاذ الجليل مصطفى افندي جواد .

(٢) القوق

أغلب الادباء الذين كتبوا على هذا الطائر ، لم يهتدوا الى حقيقتـهِ ؛ ولا سيا النقلة الذين ترجموا التوراة ، منذ أقدم العهد الى عصرنا هذا . وكذلك قُلْ عن نقلة كتب الاعاجم الى لساننا الفصحى . فانّهم خلطوا بينهُ وبين (البجع) ، وبينهُ وبين (القَلَق). ونحن نذكر هنا ما يتعلّق بالقوق :

اننا قلنا في ص ٤٨ من هذا الكتاب ان (القوق)- ونزيد عليها هنا (القُقْنُس) أو (القُقْنُوس)- هو نفس الطائر المسمَّى باليونانية KYKNOS ، أو الرومية CYCNUS ، أو الفرنسية CYGNE . وهو طائر من بنات الماء من القواطع وقد يكون من الاوابد ، طويل العنق ، عريض المنقار . والنوع المشهور منهُ ، أبيض الريش ، وبياضهُ يقق . ولهذا سمي أيضاً بالعربية (قيق) ، مقلوب (يقق) ، أي الابيض الناصع البياض .

وقد اشتهر عند الغربيين بـ(قُوق مَنْطُو) وهو (فِرْجِيل)، و(قوق كَمْبَرِيْ) وهو (فَنلُون) .

وقد عدل أغلب الكتاب من النقلة عن كتابة (القُوقُنس) ،بصورة (القُقْنُس)، لمشابهتهِ لاسم طائر آخر ، لكنهُ خرافي : وهو (القَقَنَّس) أي phénix . وقد جاء عنهُ في تاج العروس ما هذا نِصاب نَصّهِ :

« القَقَنَّس ، كعملَّس ، أهملهُ الجماعة . قال الدميري في حياة الحيوان : هو طائر عظيم ، بمنقارهِ اربعون ثقباً ، يصوّت بكل الانغام والالحان العجيبـة المطربة . يأتي الى راس جبل ، فيجمع من الحطب ما شاء ، ويقعد ينوح على نفسهِ أربعين يوماً ،

ويجتمع اليهِ العالَمُ يستمعون اليهِ ويتلذّذون بحسن صوتهِ؛ ثم يصعد على الحطب، ويصفق بجناحيهِ، فتنقدح منـهُ نار، ويحترق الحطب والطـائر، ويبقى رَمَاداً، فيتكوّن منهُ طائر مثله ». ذكرهُ ابن سينا في الشفاء والعهدة عليهِ.

« وقد ذكروهُ في شرح قولهِ: « والتي حارت البريّة فيه ». بيت التلخيص، وشرحهُ في المطوّل وحواشيـهِ؛ وكأنهُ سقط من نسخة شيخنا فنسب المصنف الى القصور، وهو كما نرى، ثابت في سائر النسخ.

« وقال القزويني: « هو (قوقيس)، ثم ذكر قصتهُ بمثل ما ذكرها الدميري، وزاد: « فاذا سقط المطر على ذلك الرماد، تولّدَ منـهُ دود، ثم تنبت لهُ أجنحة، فيطير طيراً، فيفعل كفعل الاول من الحك والاحتراق » اه كلام الشارح.

قال الأب أنَسْتَاسُ مَارِيّ الـكَرْمِليُّ: إني لم أجد في كتاب القزويني والدميري إلا (القوقيس) وذكرا القصة على ما يضاهي الرواية المنقولة عن التاج.

وقد وردت (الفنقس) بصورة (بَنْجِس) في كتاب البلدان ص ٢٠٧ من طبع الافرنج. فالبنجس إذن، هي أقدم صورة للكلمة (فنقس) لأن صاحب الكتاب المذكور هو ابن الفقيه، وقد أنشأ كتابهُ في سنة ١٨٩ للهجرة (أي ٩٠٢ للميلاد).

وقد صحف أدبآء الترك الاقدمون (الفَنِقْس) أو (القَقنَّس) نقلاً عن بعض كتاب العـرب فقالوا: (قُقْنُوس) و (قُوْقْنوس) و (قُوْقْنُس). (راجع المعجم التركي للمستشرق الفرنسي بَرَبيـه دي مَيْنَار) وراجع أيضاً ما كتبناه في المشرق (المجلة البيروتية) ٢: ٩٢٦ (أي في سنة ١٨٩٩).

و (القوق) يسـميهِ الشاميون (وز عراقي) وهو واضح الخطأ. والمصريون (التَمّ). قال في صبح الأعشى: « التَمّ، بفتح التآء وتشـديد الميم: طائر في قدر الإوَزّ، أبيض اللون، وهو أعظم طيور الواجب، وأرفعها قدراً (٢: ٦٤)

وقد وردت روايات أُخر (للقُقْنُس)، باختلاف نُسخ التآليف، منهـا:

(القُوقُنُوس) ، و (القَوْقِيس) ، (والفنقس) ، و (القُقْنُس) ، و (القُقْنُوس) ، و (القُوقش) . والصحيح من هذه جميعها (القُوق) ، و (القوْقنُس) ، و (القُقْنُس) .

وأما بمعنى (القَقَنُّس) ، فالصواب من اختلاف رواياته: (القَنِقْس) و(البَنجس). وأما (القَقَنُّس) فخطأ ، وان كانت مشهورة ، بل أشهر من سائر اخواتها .

وكنا قد ذهبنا الى أن (القوق) هو (البجع) ، اعتماداً على ترجمة قديمة للتوراة ، نقلها سعيد بن يعقوب الفيوميّ ، المشهور عند الغربيـين باسم سعديا المتوفى سنة ٩٤٣ للميلاد ، وتابعهُ في النقل جميع من تأثرهُ من التراجمة ، والنقلة .

والآية التي ورد فيها هذا اللفظ هي هـذه : « شابهتُ قوق البرّيَّة ، صِرتُ مثلَ بومة الأخربة » (المزمور ١٠١ الآية ٧) . فأراد الناقل بالقوق هنا (البجع) أو (الحَوْصَل) وهو غير صحيح، والسبب هو : أن هذهِ الآية الزبورية ، نقلها الشيوخ السبعون قبـل المسيح بنحو مائتي سنة أو أكثر . وسموهُ باليونانية PELFKANOS (پَلَـكَانُس) وهو بالعبرية (قَأَتْ) ، وزان سبب ، بهمزة في الوسط .

وقد أجمع أعظم فريق من علماء اللغات على أن (القَأَتْ) ، هـذهِ ساقت كثيرين من المعرّبين الى هـذا الوهم . وكنا نحن من الهاوين في هوّتهِ (راجع لغة العرب ٨ : ٣٥٨ الى ٣٦٠) أما الآن فنعدل عنهُ الى الحق ، تابعين فيهِ رأي الاستاذ الجليل (كرلو نَلّينو) – رحمهُ الله – على ما صرَّح بهِ في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق (١٠ : ٦٥ إلى ٧٦٠) .

ومن أسماء (القوق) التمّ (راجع ما حققناهُ في مجلتنا لغة العرب ٨ : ٣٦٠) . وأخذ الفرس منّا اسم القوق فقالوا : (قُو) و (غُو) ؛ والترك ، فقـالوا : (قوغو) جامعين بين اللفظـين الفارسيين ، أو أنهم صحفوا (القوق) تصحيفاً يوافق لغتهم . وراجع أيضاً البجع في هذا الفهرس .

(٣) و (٤) اللغلغ غير اللقلق

على ان الاقدمين من اللغويين كانوا يجعلون الواحدُ الآخر، ولا يميزون بينهما، اعتقاداً منهم ان ما كان بالغين لغة في القاف، على ما ورد في كلامهم ا كثر من أن يحصى. فقد قالوا مثلاً : سمعت نَغْية حقّ أو نقية حق، وامتشقهُ كامتشغهُ، وتزيّغ وتزيق، الى آخر ما عندهم. ونرى اليوم في انحاء العراق وبعض مُدُن ديار ايران من لا يستطيع أن يلفظ (القاف)، بل يقول دائماً (الغاف) فلا يمكنهم أن يقولوا (الحقّ)، و (القرآن)، و (القرابة)، بل (الحَغّ)، و (الغُرآن)، و (الغرابة) وكل ذلك غريب. ولهذا كان رأينا مرة ان اللقلق هو اللغلغ.

وفي حياة الحيوان : « الغَلْغ : طائر أعجمي طويل العنق، وكنيتهُ (ابو حُدَيْج) وعبّرعنهُ الجوهري بالقاف، وهو اسم اعجمي. قال : وربما قالوا : « الغلغ » وفي القاموس في لغغ. « اللغلغ : طائر غير اللقلق » ا ه. وقال في لقق : « اللَّقْلق .... طائر، أو الأفصح اللقلاق. والجمع لقَالق. » ا ه

وفي اللسان في لغغ : « اللغلغ : طائر معروف. غيرهُ : اللغلغ طائر معروف. قال ابن دُرَيْد : لا أحسبــهُ عربياً. » وقال في مادة (ل ق ق) : « اللَّقْلَق واللَّقْلاَق

طائر أعجمي ، طويل العنق ، يأكل الحيات . والجمع لقالق ، وصوتهُ القلقة ، وكذلك كل صوت في حركةٍ واضطراب » . اهـ

« وفي محيط المحيط : « القلاق : طائر أعجمي نحو الاوزة ، طويل العنق ، وكنيتهُ عند أهل العراق « ابو حُدَيج » وربما قالوا اللقلغ [كذا] ، وهو يأكل الحيات ، ويوصف بالفطنة والذكاء ، ومن ذكائهِ انهُ يتخذ لهُ عشَّين ، يسكن في كل واحد منهما بعض السنة ، وانهُ اذا أحسَّ بتغيُّر الهواء ، عند حدوث الوباء ، ترك عشّهُ وهرب من تلك الديار . » اهـ .

على ان البصراء من علماء الحيوان من أبناء هذهِ اللغة مَيَّزوا بين القلق والغلغ. فقد قال القلقشندي في صبحهِ (٢ : ٦٣) : « اللغلغ : الثالث من طير الجليل أو طير الواجب . وهو دون الاوز في المقدار ، لونهُ كلون الاوزّ الحبشيّ الى السواد ، ابيض الجفن ، أصفر العَيْن ، ويعرف بمصر بالعراقي ، ويأتي اليها في مبادىء طلوع زرعها ، في زمن إتيان الكراكيّ اليها . ومن شأنها أن يتقدمها واحد منها كالدليل لها ؛ ثم قد تكون صفّاً واحداً ممتداً كالحبْل ، ودليلها في وسطها متقدم عليها بعض التقدم ؛ وقد يصف خلفهُ صفَّيْنِ ممتدين يلقيانهِ في زاوية حادّةٍ ، حتى يصير كأنهُ حرف جيم بلا عراقة ، متساوية الطرفين .

« ومن خاصّتها ، انها اذا كبرت ، حدث في بياض بطونها وصدورها نُقَطٌ سُودٌ . والفَرْخ منها لا يعتريهِ ذلك . » اهـ .

كان رأينا في السابق ان اللغلغ لغة في القلق ، متأثرين أقوال بعض اللغويين كما ذكرنا قُبَيْلَ هذا . فكتبنا بذلك إلى الاستاذ الجليل المحقق المدقق مصطفى جواد ، وهو اليوم في باريس ، فكتب الينا منها في ٢٠ / ١ / ١٩٣٨ ما هذا نصّه :

« . . . وأما الغلغ فليس بلغة في القلق ، كالذي ذكرتم ، وانما هو طائر آخر ، اشتق اسمهُ من لقلقتهِ . والقلق هو السبيطر ، كما ذكرت لكم ، وليس بمالك الحزين . قال شارح ديوان المتنبي — وأظنهُ شمس الدين ابن الخبّاز الإربليّ في قول المتنبي :

وملمومةٍ سَيْفِيَّةٍ ربعيّةٍ ، تصيح الحصَا فيها صياح اللقالق

ما صورتهُ . . . « والقَالِقُ جمع لَقْلَق ، وهو طـائر يسكن العُمران في أرض العراق ، وهو كثير في قُرى العراق . . . وهو من طيور الجليل . والجليل أربعة عشر صنفاً . . . اوزة ، نَسْر ، انيسة ، صَوْغ ، ارنوق [كذا ، لعلها غُرْنُوق] ، الغلغ ، كركي ، عنّاز ، مِرْزم ، عقاب ، سبيطر ، وهو هذا اللقلق» اه . — ثم قال الاستاذ متمماً كلامهُ :

« فهو لم يذكر كل هذا إلا ليؤكِّد ان اللقلق هو السبيطر [وغير الغلغ] ثم ان الاوصاف تمنع أن يكون السبيطر غير اللقلق . ففي قصيـدة الشاعر العـامي عُمَرَ بْنِ السِفْتِ ، الذي هرب من الامام الناصر لدين الله الى حلب ، وامتنع من الادعآء للامام — بعد وَصْفِهِ (المرزم) في مُخَمّسِهِ :

وبعدهُ السَبَيْطَرُ المُـكَنَّى ، أبيضُهُ أسْوَدُ ما ذكـرنا
فيهِ لمن قد يَتَمَعْنَ معنى ، مِفْرَزهُ أحْسَنُ ما وصَفْنَا

وقال شهاب الدين محمود الـكاتب الحلبي ، الشـاعر المشهور في كتابهِ (حُسْن التوسُّل ، الى صِناعة الترسُّل) في وصفهِ بعد المِرْزَم :

«والتحق بهِ سبيطر ، كأنهُ مُدْيَةُ مُبَيْطِر ، يَنْحَطُّ كالسَيْل ، ويكرّ على الكواسر كالخَيْل ، ويجمع من لونهِ بين ضِدَّيْنِ ، يقبل بالنهار ، ويُدْبِر بالليل ، يتلوّى في منقارهِ الأيْمُ تَلَوّي السَنا في الغَيْم :

تراهُ في الجوّ مُمْتَدًّا وفي فمِهِ ، من الافاعي شجاعٌ أرقم ذَكَرُ
كأنهُ قَوْسُ رامٍ عنقـهُ يدهـا ، ورأسُـهُ رأسها والحيّةُ الوَتَرُ

فهذا وصف اللقلق وصيدهُ للحيات وطيرانهُ بها الى عُشّهِ » اه .

« ومن أعجب ما اوكّد لكم بهِ ذلك ، ما ورد في ديوان سِبط التعـاويذي . ونصّهُ : (وقال في ناظرٍ يُلقّبُ باللقلق ، وكان جماعة من خواصّ الخليفة ، — خلّد الله ملكهُ ، — يخرجون الى معاملتهِ للبرزة [أي الخَرْجة الى الصيد] بطريق الولع بهِ :

يا ابن عبـد الحميـد ، اني نصيح لك فاقبل نصيحتي ووصـاتي :

أنتَ من جملةِ الجليلِ او ما زِلْـ ـتَ كثيرَ الاصحابِ والفلواتِ
فتَخَيَّشْ في طريقِ خُرَاسَا نَ رُمَاةٌ أكرِم بهم من رُمَاةِ
وتحرَّزْ حِفظًا لنفسِكَ مِن وَجْـ ـهِ عِشَاءٍ فهم ووجه عداة
واعتَصِمْ بالجدار لا تَنْأَ عن عُشِّكَ في مثل هذهِ الأوقاتِ
وتيقَّنْ ان السَبَيْطَرَ لا يُقْـ ـصَدُ إلاَّ في مَهْمَهٍ أَوْ فَلَاةِ
أو فَدَعْهَا ولايةً أنت فيها غَرَضًا للهُمُومِ والآفَاتِ

يقول لهُ : يا فلان القلق ، أنتَ من الطير الجليل ، فكيف خَرَجْتَ من أعالي الجدْران ، وفيها عُشُّك ، فتعرَّضت لأن تُرْمَى ، مع انك لو بقيت على الجدار ، لم يَجُزْ للرامي رَمْيُكَ ، لأن السَبَيْطَر ، أي القلق ، أي إياكَ أعني ، لا يُعَدُّ صَيْدًا جليلاً ، إلا إذا خرج الى المَهْمَهِ والفلاةِ ، وأما وهو على الجدارِ ، فلا .

« وقال الشيخ الامام الفقيه الشافعي ، محمد بن اسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقَّال ، من أهل الظَفَرِيَّةِ ببغداد ، والمُعِيد في المدرسة النظامية ، المتوفّى سنة ٥٨٨ ، في كتابهِ (المقترح ، في المصطلح) ما نصُّهُ :

« وقد اشترطوا في الاعتداد بالسَبَيْطرِ ، أن يُصْرَعَ في موضع يكون بينهُ وبين الجدران خمس مقامات . » - وقال في موضع آخر : « وأما موضع صرْعِهِ ، فاعلم أن لا يشترط إلا في السَبَيْطَرِ ، دون باقي الأصناف . فاشترط الرماة أن يكون بين موضع صرعهِ وبين الجدران خمس مقامات فما زاد . . . وانما اشـترطوا ذلك ، لأنهُ يتخذ الجدران سَكَنًا . فاذا قرُبَ [لرامي] منهُ توقَّفَ في الطيران توقُّفًا يصير بهِ كالمساعد لهُ ، لا كما إذا بعُدَ ، فانهُ يجدّ في طلب مأواهُ ، بخلاف ماعداهُ من الطيور العتيق »

اه . ثم قال الأستاذ المصطفى : أما القلغ فقد قال فيهِ عُمَرُ بن السِفْت في مخمَّسِهِ :

والقهـقريَّات من القالغِ ، والخَزَرِيُّ خـبّي اليهِ بالغي

والجفن كالمَسْجَدِ عند الصائغِ والقلبُ منْ حُبّي لهُ بفارغ
وبعد ذا حسن المعانيّ اكتمل

يا حُسنها تحنّ في صياحِها ، إن هبت النسمة في صباحها ،
حتى اذا ما نشرت جناحها عند حواشي الفيض في مراحها
هُناكَ يرتاح لها قلب البطل .

بحَلقةٍ تُشْبِهُ طرف الرِيمِ ، مُسْوَدَّةٍ في غُنْجِها كالميمِ
في مشيها تخطر كالعظيمِ ، «ان لَغْلَغَتْ» في الصُبح والنسيمِ
تهتف بالأسحار صوتاً لم يُمَلْ .

طول الشِتا تسكن في العِرَاقِ وفي الرَبيع تعزم الفراقِ
تقتلني في حُبها أشواقي ، ثم يصير الدمع كالمهراقِ
إذا نأتْ عني وفي الخدّ هَطل .

وقال في قصيدة أخرى :

هل ذاكَ بالرقّ ، بالغُوَيْرِ ، أثارًا ، أم أضْرَمُوا بلوى المُحَصَّبِ نارا ؟
وصبا إلى البَرَزَاتِ قلبٌ كُلَّمَا ، طارت بهِ خُزَزُ الغَلَالِغِ طارا !

فـ (الغلغ) يترك العراق في الربيع ويشتو بهِ ، وهو من بناتِ المَاء ، وليس من طير العمران ، وليس في الجليل من طيور العمران سوى السبيطر أي القلق . ولذلك جعلوا لصيدهِ المقبول الفَتَوِيّ شروطاً ، وقد تقدّم ذكرها » اه كلام الاستاذ مصطفى جواد المحقق . ونحن نشكر لهُ هذهِ الافادات الجليلة التي لم ترد مجموعة في كتابٍ . وقد آثرنا درجها هنا افادة لعلماء الطير من أهل هذه اللغة ، لان الكتب التي ذكرها السرسور المحقق هي من مخطوطات خزانة الكتب الباريسية ، ولم ترد في مصنف مطبوع الى يومنا .

وفي هذا الكلام تحقيق بديع للسبيطر فضلاً عن القلق ، والغلغ ، وطير الجليل ،

ونزيد القراء فائدة أننا سمعنا في أثناء إقامتنا على جبل المُخرَّقة ،(وهو ذُؤابة الـكرْمِل)، في سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥، كلة اللُغْلُغ بضم اللامين كهُدْهُد.

وقد سبقنا فقلنا أنهم يسمون القَلَق أوالسَبَيْطَر (أبوسَعَد) بفتح السين والعين، أو (أبو سَعِيد) باسكان السين وكسر العين لا بفتحها ، ولا يعرف الفتح الا القليلون .

وليس هنا مكان هذا المقال الطويل العريض،إنما دوّناه للاحتفاظ بهِ ، ورداً على كثيرمَنْ كتبوا في هذا الموضوع ، وخبطوا فيــهِ خبط عشوآء ، ولا نريد أن نسمي أحداً ،فانهم فيأغلاطهم الجريئة، ومماحكاتهم الوقحة ، وبجادلاتهم الفارغة ، واحتقارهم للنــاس ، غنًى عن ذكرهم بأعيانهم .

فائدة فى الطيور المُـلْقِمَةَ

بقي علينا أن نذكر هنا فائدة لغوية ، تتعلق بعلم الطيور وهي هذهِ :

ذكرنا في كلامنا على (البجع) انهُ يطعم فراخهُ والآن نقول أن هذه الطيور التي تفعل ذلك (كالقلق أو السبيطر ، والحبارج) ، والعصفورتُسَمّى: (المُلْقِمَة)، بضم الميم، واسكان اللام ، وكسر القاف وفتح الميم وفي الآخر هآء . وقد جاءت هذهِ اللفظة في لسان العرب مصحفة بصورة (الملعمــة) في مادة (حبرج) قال : « ابن الاعرابي : الحبارج : من طير المآء » اه . فسألت السيد محمود السيد شكري الآلوسي عن معنى (المُلَعّمة) فكتب إليَّ يقول : الملعمــة تصحيف قبيح (للمُلْقِمَة) وهي الطيور التي تُلقِمُ فراخها القاماً ولا تزقها زَقّاً . اه . قلنا يؤيد هذا الرأي ما قالهُ الجاحظ في كتاب (الحيوان) ذاكراً أقسام الطير ، قال:« ومنها. . . والمشترك عندهم كالعصفور فانهُ ليس ذي مخلب معقف ، ولا منسر، وهو يلقط الحب ، وهو مع هــذا يصيد النمل ، اذا طار ، ويصيد الجراد ، ويأكل اللحم ، ولا يزق فراخهُ كما تزق الحمام ، بل يلقمها كما تلقم السباع من الطير فراخها وأشباه العصافير من المشترك كثير» اه .

فهذهِ فوائد فرائد لا يستغني عن الوقوف عليها كاتب ولاعالم أياً كان .

فهرس ثالث للكتب والرسائل والصحف والمجلات من مطبوعة ومخطوطة

فهرس رابع للمواضع من مدن وبلاد وبحار وأنهار وجبال واودية

فهرس خاص للأعلام الرجال والأقوام ولغاتهم

فهرس سادس يحوي الألفاظ اللغوية والقواعد الصرفية والنحوية

(ويعتبر فيها الحرف الزائد كالأصيل لتسهيل العثور عليها لأول نظرة).

{ ت }

﴿ ث ﴾

﴿ ج ﴾

(ح)

{ خ }

﴿ د ﴾

﴿ ذ ﴾

﴿ ص ﴾

ὑβός, bosse. Etymol. inconnue. En arabe قُبَّة (Kubbah) signifie construction en bosse, bosse. Le ὑ avec l'esprit rude représente toujours en arabe une lettre gutturale, ك ou ق Ici, ὑ correspond à un ق.

ὕβρις, orgueil, insolence, fougue, ardeur excessive. Arabe كِبْر (Kibr) signifie le même sens exactement. Ici ὑ = ك.

Je cite pour le latin les mots qui suivent : SANTIS, IS, Ronces, buissons. Ar. سَنْط. (SANT), arbre épineux

Sero, is, sevi, satum, serere. Semer. Ar زرع (Zara'), même sens.

Sequor, eris, secutus sum, sequi. Suivre. Ar ساق (Saq). Même sens.

On pourrait multiplier les exemples dans les langues grecque et latine, mais ce serait bien inutile. Ce que je viens d'indiquer, est chose acquise à la science étymologique, et ne saurait être mise en doute. Pour le prouver, j'ai composé deux dictionnaires, l'un grec et arabe, l'autre latin et arabe. Je me contente d'exposur ici ce qui est le fruit ou le résultat de mes longues études dans le domaine indiqué.

Le Père Anastase - Marie de St Elie,
O. C. D.
de l'Academie Royale de Langue arabe
au Caire.

معجم

يحوى الألفاظ المكتوبة بالحرف الرومانى ،

من فرنسية ، ولاتينية ، وانكليزية ، ويونانية .

تنبيه : الحرف L يدل على ان اللفظ لاتيني — . والحرف A يدل على انه انكليزي — . والحرف G يدل على انهُ يوناني او هلني — . وما لا علامة لهُ فهو فرنسيّ . وما لا رقم وراءه فهو من الزيادات لايضاح الكلمة على وجهٍ لم يذكر في مطاوي الكتاب .

إصْفَنْط ، إسْفَنْط ، إصْفَد ، إصْفَعْد ، إصْفَنْد ، إصْفَعِيد ٣٨ — ABSINTHIUM (L)

قِبْطِيّ ٤٨ مصري صميم — AEGYPTIUS (L)

مُطَرِّف ٣ حرف يزاد في طرف الكلمة أي اما في الأوّل واما في الآخر . — AFFIXE

عَقَّة ٥١ (البَرْقة المستطيلة في السماء) — aiglè (G)

مَلَع ، حَلَبَ ٧٢ مَلَج (المَلْج اللبن وتنقلاتهُ في اللغات الغربية) — AMELGEIN (G)

أَنَسْتَاس . نِسْطاس ، أَنَسْطَاس (معناها البعيث) ٤٦ — ANASTASIOS (G)

عُتُلّ ٨٦ (الغليظ الجافي) — athèlus (G)

أَسْطُرْلاب ، أَصْطُرْلاب ٣٧ و ٣٨ (آلة فلكية) — ASTROLABE

مُفَتِّم ٣ حرف موسّع الكلمة — AUGMENTATIVE (PARTICULE)

بَيْذ ، رَدِيء ٧٠ سيّء ، غير جيد — BAD (A)

بال ، فال ، اول ، أوَال ، افال ، شال ، آل ، والي ، أَوْل أَوْك ، وَاك ، أَكْيَال ، بَالام ٨٢ ، ١٣٧ (حوت عظيم) — BALAENA (L)

GEPHURA (G.)	ضفيرة ، مُسَنَّاة ، جِسر ٥٣
GIGAS, GIGANTOS (G.)	قيق . فاق ٤٨
GRAISSE	دُهْن ٧٥ (كل مادة دسمة ، على ما هو مشهور)
GROSCHEN (ALL.)	غرش ، قرش . ج : غروش ، قروش ٨٥
HELIOS (G.)	إيليوس ، هَلْيوس (أُقْلِيدِس؟) شمس ٤٣
HIERAX, AKOS (G.)	حُرّ ، بازيّ ، صَقْر ١٥٢ و ١٥٣
HIEREUS (G.)	حَوَارِيّ : حَبْر ، قُدْمِيّ ، قِسِّيس ، كاهِن ، مطران ، أُسْقُف ١٥٣و١٥٤ و١٥٥
Hòdè (G.)	حُدَآء ١٥٩ – عُوذَة ١٦٠ و١٦١
Hydòr (G.)	عِدّ ١٢٣ و ١٢٤ – عَذْر ١٢٥
HYDRA (G.)	عُدَار ، (هُذْرَة) شِجاع ١٢٥
HYDRA LERNAIA (L.) L'HYDRE DE LERNE	عُدَار لرْن . هُذْرة أو هِذْرا لَرْن ١٢٥
HYPER (G)	شَرَف ، سَرَف ١٣٢
ICE (A.)	حَسّ ، حِسّ ، جَمَد ٧٣
IGNIS (L)	أنيسة ، مأنُوسة ، ماموسة ٤٥ (نار)
IKRION (G.)	قَرِيّ ، قَرِيَّة ، عُود الشراع ١٣٥
INFIXE	حَشْو ٣ (حرْف يُزاد في قلب الكلمة أي وسطها)
Jerôme	هِيرُونِمُس ١٤٩ (علم رجل)
KALOS, é, ON (G)	قالون ٨٢ (جَيِّد ، صالح ، حَسَن ، حَلْو)
Kanthareos (G.)	خَنْدَريس ٣٩ (ضرب من الخمر الفاخرة)

KANTHAR (G.)	جُنْدُع ٣٩ (ضرب من صغار الخنافس)
KANTHARIS (G.)	جِنْطة خندريس ٣٩
KERAMIS, IDOS (G.)	قِرْمِيد ج قرَاميد ٨٤ (ضرب من الآجُر)
Kètos (G.)	حوت،قاطوس،اطوس،غاطوس،قِيْطُس،قَاغُوس،قَطًّا،حوت الحَيْض ٨٢
KHALIS, IKOS (G.)	خمر خالص ١٣٩
Khartès (G.)	قِرطاس ٨٠ (ورق ، كاغد ، كاغذ)
KHRONOS (G.)	قَرْن ج قرون ٨٤ (الوقت من الزمن)
Konyzitès oinos (G.)	قُنْسَطِيط ٧٨ (اسم خمرة لا شجرة)
LANE (A.)	لَيْن (اسم لغوي انكليزي) ٧٥
LAUDARE (L.)	مدح ١٢٩ (يمدح مدحاً)
Mairè (G.)	النَّيِّرَة ٧٦
MANGONNEAU	منجنيق ، منجنوق ، منجليق ٤١
MARIN	عَدَّار ، بحار ، مَلاَّح ١٢٦ بحريّ
MARTYRIUM (L.)	مَاطِرُون ٧٦ (اسم مكان كان في السابق مَقْدِسَ شهيد)
MATELOT	عَدَّار ، مَلاَّح ، بَحَّار ، ١٢٦ (بحريّ)
MESSAGER	حَوَارِيّ ، رسول ، فَيْج ١٤٦ (مُرْسَل)
MILK (A)	مِلْح، لبن ، حليب ٧٢
MULGERE (L)	مَلَحَ ، حَلَب ٧٢ مَلَجَ
Myrmèx, èkos. (G.)	(بَرَمَة) نملة ١٠٦ (وبرمة للنملة مماتة في العربية)
Nai mèn (Gr)	نَعَمْ ، نحَمْ ٥٦ (إي ، بلى)
NANOS (G.)	نغّ ٨
NOE	نوح ١٦٠ (علم رجل)

LE PÈRE ANASTASE-MARIE DE St ELIE,

O. C. D.

De l'Académie Royale de Langue Arabe.

Nushu' al-Lughati al-arabiyeh wa Numuuouha wa Iktihâluhâ,

(DE LA FORMATION DE LA LANGUE ARABE, DE SON DÉVELOPPEMENT ET DE SA FIXATION.)

SE VEND AU CAIRE

A LA LIBRAIRIE LOUIS SARKIS.

Rue Faggala 53.

A Bagdad (IRAQ),

AU COUVENT DES R R. P P. CARMES.

Imprimé par ELIAS' MODERN PRESS

CAIRO.

LE PÈRE ANASTASE-MARIE DE St ELIE,

O. C. D.

De l'Académie Royale de Langue Arabe.

Nushu' al-Lughati al-arabiyeh wa Numuuouha wa Iktihâluhâ,

(DE LA FORMATION DE LA LANGUE ARABE, DE SO
DÉVELOPPEMENT ET DE SA FIXATION.)

SE VEND AU CAIRE
A LA LIBRAIRIE LOUIS SARKIS.
Rue Faggala 53.

A Bagdad (IRAQ),
AU COUVENT DES R R. P P. CARMES.

Imprime par ELIAS' MODERN PRESS
CAIRO.

CE QUE VEUT ÊTRE CE LIVRE.

Le but de la présente étude est de mettre sous les yeux des amis de la langue arabe, un aperçu général, et comme à vol d'oiseau, de la formation, du développement et de la fixation de cette langue.

Je n'ai pas grand mérite à présenter ce travail, ou plutôt mon unique mérite est d'avoir coordonné les travaux de plusieurs auteurs, de les avoir condensés, afin de les présenter ainsi au public, dans un ordre méthodique.

Je suis arrivé à établir le fait que voici: à l'origine de l'arabe comme de toute autre langue d'ailleurs, les mots, d'une seule syllabe, ont été formés par onomatopée. A cette unique syllabe en ont été bientôt adjointes une on deux autres, selon la nécessité, afin d'ajouter une nouvelle idée à la première. C'est là une assertion admise aujourd'hui par tous les lexicologues.

Mes études m'ont paralèllement conduit à une autre constatation: on trouve dans la langue arabe, des termes monosyllabiques qui correspondent exactement, quant au sens, aux mots latins ou grecs, d'une ou deux syllabes, mots qui n'ont point pareil équivalent dans les autres langues. Ainsi le savant Emile Boisacq avoue n'avoir trouvé aucun pendant au mot τυννός, qui veut dire petit, tout enfant, rachitique. Or تَنّ ou تِنّ (tann ou tinn), signifie un enfant qui ne pousse pas, qui est atteint de rachitisme.